

الإنسان الروحي

The Spiritual Man *BY H.H. Shenouda III*

Ist . Print
MaY 1992
Cairo

الطبعة الأولى
مايو ١٩٩٢
القاهرة

• الكتاب : الإنسان الروحي

• المؤلف : قداسة البابا المعظم الإيتبا شنوده الثالث

• الناشر : الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذكس

• الطبعة : الأولى – مايو ١٩٩٢

• المطبعة : الأنبا رويس الأوفست – العباسية – القاهرة

مقدمة الكتاب

محاضرات كثيرة متفرقة ، ألقيناها في الكاتدرائية الكبرى ، و في القاعة المرقسية بدير الأبا رويس ، و في الإسكندرية . . . ولكنها بقيت كذلك متفرقة و متنوعة ، لا يجمعها موضوع واحد .
ثم أنتقينا من تلك من تلك المحاضرات العديدة حوالي العشرين ليتألف منها هذا الكتاب ، تحت عنوان [الإنسان الروحي]

وربما موضوع (الإنسان الروحي) قد يشمل الحياة كلها . فيشمل كل ما نلقيه من محاضرات روحية . ولكننا أردنا في هذا الكتاب أن نحدثك عن أساسيات تضم في داخلها تفاصيل كثيرة . .
وكل بند من هذه التفاصيل ، وقد يحتاج إلى كتاب خاص .
وهناك موضوعات أخرى تتعلق بالإنسان الروحي أصدرنا لك بها كتبنا من قبل ، مثل حياة الإيمان وحياة الشكر ، و الرجاء ، و الوجود مع الله ، ، و حياة التوبة و النقاوة ، و البقظة الروحية ، و السهر الروحي ، الغيرة المقدسة . . الخ .
وموضوعات أخرى في صفات الإنسان الروحي ، سأحاول أن أصدر عنها كتبنا في هذا العام إن شاء الله مثل المحبة ، و ثمار الروح ، و مخافة الله ، و التواصل ، و الوداعة . .
وكذلك [الوسائط الروحية] التي ينبغي أن يسلك فيها كل إنسان روحي . .

وموضوعات أخرى قد تصدر في جزء الثاني لهذا الكتاب .

لكنني أردت في هذا الكتاب أن أتحدث عن الأساسيات ، أو بوجه أصح : عن بعض الأساسيات ، تاركا ما سبق أن نشرنا عنه من قبل . .
والكتاب الذي بين يديك هو ثمرة محاضرات ، ألقينا بعضها في الستينات ، و البعض في و الثمانينات وقد شاء الله لها أن تجتمع معا من عبر السنين . و نشرناها قبلا ، في مقالات اسبوعية متتابعة في جريجة (وطني) . ثم جمعناها في هذا الكتاب .
وهي تنشر هنا بأسلوب مختصر . وربما بعض هذه الموضوعات نعيد نشرها في كتاب خاص ، أو في كتيب صغير أتركك الآن أيها القارئ العزيز بين صفحات هذا .

وأود في قراءتك لكل موضوع ، أن تحفظ بعضا من الآيات الكتابية المذكورة فيه ، لكي تشكل

مبادئ روحية ترسخ في نفسك .

وهذه الآيات تذكرك بالمعلومات الخاصة بها ، وتمثل مبادئ روحية تسير بمقضاها في حياتك . .
ستجد آيات كثيرة جدا في كل موضوع . اختر منها ما يتحرك به قلبك ، وما يسهل عليك حفظه .
خذها مجالا للتأمل . .

وإلى اللقاء في الجزء الثاني ، إن أحببت نعمة الرب .

وأرجو أن تصلى لكي يعطيني الرب وقتا .

كن بخير ، معافى في الرب . .

البابا شنودة الثالث

الباب الأول

الإنسان الروحي :

صورة الله

لعل هذا السؤال يوجه إلى إنسان : من أنت ؟ وما هو الإنسان
ويجيب البعض : الإنسان جسد وروح ونفس .
ويجيب آخر : إن إنسان كائن حي عاقل ناطق حر مريد . ويقول البعض بشعور من الإلتضاع إن
الإنسان تراب ورماد ، كما قال عن نفسه أبو الآباء إبراهيم (تك ١٨ : ٢٧) .
كل هذا يقال عن أى إنسان . فما هى أدق اجابة نقول فى تعريف الإنسان الروحى حسب الكتاب :

هو صورة الله

فهكذا قال الرب الإله فى قصة خلق الإنسان : " نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ، فخلق الله
الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه " (تك ١ : ٢٦ ، ٢٧) .

ولعل الإنسان فى صورته ، هو ما كان يبحث عنه ديوجين الفيلسوف ، أو هو ما يقصده المفكرون
بعبارة "سوبرمان " Super Man
وطبعا ليس المقصود بالصورة الإلهية ، أن الإنسان يشابه الله فى صفاته الإلهية ، مثل الإزلية ،
وعدم المحدودية ، و القدرة على الخلق !! حاشا أن يكون هذا ! إنما المقصود هو الصفات النسبية
مثل :

خلق الإنسان على صورة الله فى الطهارة والبر

الإنسان الروحى قبل السقوط كان بريئا بسيطا ، لا يعرف الخطية على الإطلاق أعنى أبوينا آدم و
حواء قبل السقوط ، حينما كانا عريانيين ولا يخجلان (تك ٢ : ٢٥) . لم يكونا قد أكلنا بعد من
شجرة معرفة الخير و الشر . لذلك ما كانا يعرفان الشر . كانا كالأطفال البرياء الذين أحبهم المسيح
، و قال " إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأطفال ، فلن تدخلوا ملكوت السموات " (مت ١٨ : ٣) .
الحية خدعت أمنا حواء وكذبت عليها . وأمنا حواء لم تشك فى كلام لأنها لم تكن تعرف شيئا اسمة
الكذب أو الخداع أو الشك . هذه ألفاظ لم تكن موجودة فى قاموسها الفكرى فى ذلك الوقت .

الإنسان خلق على صورة الله فى القداسة :

حقا ما أجمل تلك الأوقات التى كان فيها آدم وحواء قديسين قبل السقوط . ولكن الذى حدث هو أنه
بالخطية هو أنه بالخطية فقد الإنسان قداسته ، و بالتالى فقد صورته الإلهية .
وأصبح الإنسان أسير ثنائية عجيبة تلازمه ، هى الخير و الشر ، الحلال و الحرام ، وما يتبع ذلك
من الحياة و الموت . و هكذا قال له الله " هوذا قد جعلت اليوم أمامك : الحياة و الخير ، و الموت و
الشر . البركة و اللعنة . فاختر الحياة لكى تحيا " (تث ٣٠ : ١٥ ، ١٩) .
وإذ فقد الإنسان صورته الإلهية بفقدان القداسة ، فقد النقاوة و البساطة ، بل فقد معرفة هذه الصورة
الإلهية أيضاً . . .

وجاء السيد المسيح " صورة الله غير المنظور (كو١ : ١٥) ، فأعاد إلينا بتجسده صورة الله حتى

نحاكيها . .

فكيف يصل الإنسان الروحي إلى هذه الصورة ؟
يقول القديس يوحنا الحبيب ينبغي " أنه كما سلك ذلك ، هكذا يسلك هو أيضاً " (ايو ٢ : ٦) . وبهذا
اختار الله قديسية " ليكونوا مشابهين صورة ابنه " (رو ٨ : ٢٩) . وإذا سلك البشر هكذا على
الأرض ، فإن سيدنا المسيح – فى القيامة العامة – سيغير جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد
مجده " (فى ٣ : ٢١) .

ومن جهة الرجوع إلى صورة الله فى القداسة ، يقول السيد الرب " تكونون قديسين لأنى أنا قدوس " (لا ١١ : ٤٥) . وكرر الرب هذا العبارة فى (لا ٢٠ : ٢٦) . و اقتبسها القديس بطرس الرسول
حينما قال :

"نظير القدوس الذى دعاكم ، كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة" (ابط ١ : ١٥)

واضاف " كونوا قديسين لأنى أنا قدوس " (ابط ١ : ١٦) أى أرجعوا إلى صورتكم الإلهية .
وبهذه القداسة نستحق التناول من الأسرار الألهية . . و هكذا يقال " القدسات للقديسين " ونسمى
القداس الذى يتناول فيه الشعب " قداس القديسين " . . بالقداسة يستعد المؤمنون للتناول . أيضاً
يتقدسون . وما أجمل العبارة التى قالها صموئيل النبي لبنت يسى يوم اختياره داود ملكا . قال "
تقدسوا و تعالوا معى إلى الذبيحة " (اصم ١٦ : ٤) . وهنا نسال :

كيف يدعى الإنسان الروحي قديساً؟

* إنه قديس ، لأنه خلق على صورة الله و مثاله .
* وهو قديس ، لأنه هيكل للروح القدس ، وروح الله ساكن فيه (اكو ٣ : ١٦) . ولا يمكن أن
يسكن روح الله فى الهيكل نجس ، اذ يقول المرتل فى المزمور " ببيتك تليق القداسة يا رب " (مز ٩٣ : ٥)
* و المفروض فى الإنسان الروحي أن يكون قديساً كابن لله . و الكتاب يقول " المولود منت الله لا
يخطئ . . و الشرير لا يمسه " (ايو ٥ : ١٨) . . " ولا يستطيع أن يخطئ ، لأنه مولود من الله " (ايو ٣ : ٩) .

***والإنسان الروحي قديس بفعل الأسرار الإلهية .**

العاملة فيه . قديس بسر المعمودية الذى صلب فيه الإنسان العتيق (رو ٦ : ٦) . و غسل من
خطاياها (أع ٢٢ : ١٦) . بغسل الميلاد الثانى و تجديد الروح القدس (تى ٣ : ٥) . وهو قديس
بسر التوبة الذى تغفر فيه خطاياها ، وبسر الأفخارستيا الذى به يثبت فى المسيح ، و يثبت المسيح
فيه (يو ٦ : ٥٦) .

***وهو قديس ، لأنه عضو فى جسد المسيح .**

(اكو ٦ : ١٥) و جسد المسيح مقدس هو . فما دام عضوا فيه ، لابد أن يكون قديساً . لأنه أية
شركة للنور مع الظلمة؟! وأية خلطة للبر مع الإثم؟! (٢كو ٦ : ١٤) .
وهكذا كان المؤمنون يدعون قديسين فى الكنيسة فى أيام الرسل . وقد تكررت عبارة " الكدعوين
قديسين " فى رسائل القديس بولس ، كما فى (رو ١ : ٧) (اكو ١ : ٢) (أف ١ : ٤) (كو ١ : ٢٢)
ويقول فى سالتة إلى فيلبى : " سلموا على كل قديس فى المسيح يسوع " (فى ٤ : ٢١) .

خلق الإنسان أيضاً على صورة الله في الكمال .

و المقصود طبعاً الكمال النسبي ، نسبة لما يستطيع الإنسان الروحي في جهاده أن يصل إليه ، حسب إمكانية و مقدار عمل النعمة فيه . أما الكمال المطلق فهو لله وحده . وهكذا قيل عن ايوب الصديق أنه " رجل كامل ومستقيم " (أى ١ : ٨) وقيل " كان نوح رجلاً باراً كاملاً " (تك ٦ : ٩) . وقال الله لأبينا ابراهيم " سر أمامى وكن كاملاً " (تك ١٧ : ١) . وقال الرب فى العظة على الجبل

" كونوا كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) .

و السيد المسيح كان كاملاً فى كل مرحلة من مراحل السن ، اثناء تجسده على الأرض . و هكذا أظهر لنا كيف نكون فى الصور الإلهية فى كل فترة من فترات السن : فى الطفولة و الصبوة و الشباب و الرجولة . علينا إذن أن نسعى باستمرار نحو الكمال ، لكى نكون صورة اللهو نحقق وصيته لنا . .

* * *

ونقول كذلك أنه لما خلق الله الإنسان على صورته ، لم يخلقه على صورته فقط فى القداسة و البر و الكمال ، وإنما :

خلق الله الإنسان على صورته فى السلطنة .

وهكذا قال الرب " اثمروا وأكثروا ، واملأوا الأرض واخضوعوا . وتسلطوا على سمك البحر ، و على طير السماء ، و على كل حيوان يدب على الأرض " (تك ١ : ٢٨) . نفس هذه البركة منحها الله لأبينا نوح وأولاده بعد رسو الفلك ، و قال فى ذلك " ولتكن خشيتكم ورهبتم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء . . وكل اسماك البحر " (تك ٩ : ٢) . هكذا كان نوح الفلك ، مع كل الكائنات .

حينما كان الإنسان صورة الله ، كان ملك و سيد الخليقة و كائنها .

ولما فقد الصورة الإلهية ، بدأت الخليقة تتمرد عليه . . الحية تسحق عقبه (تك ٣ : ١٥) وإن عمل فى الأرض ، لاتعود تعطيه قوتها " (تك ٤ : ١٢) . وبدأ الإنسان يصيد الحيوان و الحيوان يفترس الإنسان الذى فقد احترامه ، إذ فقد صورته الإلهية . .

* * *

أيضاً خلق الله الإنسان على صورته فى القوة :

فالإنسان الروحي هو إنسان قوى ، لا أقصد القوة الشمشونية الجسدية ، إنما أقصد قوة الشخصية : قوة الروح ، والفكر و الإرادة ، قوة الاحتمال ، القوة فى حروب الشياطين وفى الجهاد الروحي . قوة المعنويات : فالإنسان الروحي لا يهتز ولا يخاف ولا يتردد ولا تسيطر عليه أفكار اليأس ولا الفشل .

و الذى على صورة الله ، ولا يمكن أن يخاف .

وفى هذا قال داود النبى " إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبى . وإن قام على قتال ، ففى ذلك أنه مطمئن (مز ٢٧ : ٣) . إن الخائف ليس هو صورة الله . لذلك فالخائفون لا يدخلون المكوت (رؤ ٢١ : ٨) . آدم بعدما أخطأ خاف (تك ٣ : ١٠) وقاين بعدما أخطأ أدركه الرعب " (تك ٤ : ١٤) . لأن كليهما فقدتا الصورة الإلهية .

إن القديسين والأنبياء قد أعطوا صورة عميقة لعدم الخوف .

القديس الأنبا أنطونيوس سكن أولاً في مقبرة ، ولم يخف من حروب الشياطين ، ولم يخف حينما كانوا يظهرون له على هيئة وحوش تصيح بأصوات مرعبة وتهجم عليه ، و الشهداء لم يخافوا من كل تهديدات الحكام و تعذيباتهم ، ودانيال النبي لم يخف من جب الأسود ، ولا الثلاثة فتية من أتون النار .

* * *

و الذى على صورة الله يكون دائماً ناجحاً

ولذلك فالإنسان الفاشل ، أو الساقط أو الراسب ، ليس هو على صورة الله ، فالذى على صورة الله ، يكون " كالشجرة المغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى حينه . و كل ما يفعله ينجح فيه " وهكذا قيل عن الرب مع يوسف . فكان رجلاً ناجحاً " (تك ٣٩ : ٢) .

* * *

و الذى على صورة الله يكون متواضعاً:

حقاً إن الله هو المتواضع الوحيد بالمفهوم الدقيق الذى للكلمة ، لأنه وهو العالى فى سمو علاه ، يتنازل إلى مستوانا ، ويتعامل معنا ، ويتخاطب معنا ويسمع صلواتنا لكن الإنسان أيضاً يمكن أن يكون متواضعاً حسب مستواه . على الأقل يعرف ذاته أنه تراب ورماد ، ولا يقبل لنفسه أفكار وتصرفات الكبرياء و التعظيم و المجد الباطل ، والإنسان المتواضع تخافه الشياطين ، لأنها ترى فيه صورة الله المتواضع الذى هزمها و حطمها ، حينما أخلى ذاته (فى ٢ : ٦) أما الإنسان المتكبر فهو فاقد الصورة الإلهية .

الإنسان الروحى على صورة الله فى صفات كثيرة

فمن صفات الله المحبة . و الذى يكون على صورة الله ، ينبغى أن يكون محباً مثله و " من يثبت فى المحبة ، يثبت فى الله ، و الله فيه " (ايو ٤ : ١٦) . إنه وديع ومتواضع . وهو يطلب منا أن نتعلم ذلك منه (متى ١١ : ٢٩) . و بالمثل فى باقى الفضائل . . . الله هو نور العالم (يو ٨ : ١٢) . بل هو النور الحقيقى . (يو ١ : ٩) . وقد دعانا أيضاً أن نكون نورا للعالم " (متى ٥ : ١٤) . على اعتبار أننا صورته ومثاله .

وقال الرب " أنا هو الراعى الصالح " (يو ١٠ : ١١) . وفى نفس الوقت دعا البعض أن يكونوا رعاة (أف ٤ : ١١) . ومع أنه هو المعلم ، وكان يدعى هكذا ، إلا أنه أيضاً دعا البعض أن يكونوا معلمين (أف ٤ : ١١) (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .

* * *

وقال البعض أن الله خلق الإنسان على صورته فى تجسده : كان يعرف طبعاً الصورة التى سيتخذها حينما سينزل لخلصنا ، فخلقنا بهذه الصورة بهذه الصورة التى تجسد بها . و خلقنا على شبيهه ومثاله . . .

* * *

الله يريدنا أن نكون مثله ، صورته ، حتى فى العمل . نسير فى طريقه ، تكون لنا نفس مشيئته و ارادته ، " كما فى السماء كذلك على الأرض " (لو ١١ : ٢) . نتكلم كما لو كان الله هو المتكلم على افواهنا . ننطق بكلامه هو " لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم هو الذى يتكلم فيكم " (مت ١٠ : ٢٠) . وفى تصرفاتنا " كما سلك ذاك ، نسلك نحن أيضاً " (ايو ٢ : ٦) . ونعمل عمله . وفى كل ما نعمله ، نسأل أنفسنا أولاً : لو كان السيد المسيح فى مكاننا ، لكان يعمل هذا . . . وفى كل حياتنا ، كل من يرانا يقول : حقا هؤلاء أولاد الله ، هم يشبهون أباهم ، كأبناء حقيقيين له . . .

* * *

إن رسالة أولاد الله هي أن يحملوا صورة الله في أشخاصهم إلى العالم . كل من يراهم يعرف الله ويحبه ، لأنه أحب صورته .
كل من يراهم في محبتهم وهدوئهم وشخصياتهم المتكاملة وأمثلتهم الحية ، يمجّد أباهم الذى فى السموات . السيد المسيح صعد إلى السماء . . ولكنه ترك صورته فى تلاميذه ، يحملها جيل إلى جيل ، مع تعاليمه .

* * *

ولعل البعض يسأل : كيف يكون الإنسان على صورة الله ، بينما الله وحده غير محدود؟! فهل الإنسان على صورته فى هذا أيضاً؟!
والاجابة هي أن الإنسان محدود بلا شك . ولا يمكن أن يكون مثل الله غير محدود . ومع ذلك فإن الله الذى خلقه على صورته ، وضع فى داخله الاشتياق إلى كل ما هو غير محدود . ومن هنا كان الطموح عند الإنسان ، و النمو أيضاً وعدم الاكتفاء . فهو باستمرار ينسى ما هو وراء و يمتد إلى ما هو قدام ، يسعى نحو الغرض ، يسعى لعله يدرك (فى ٣ : ١٢ - ١٤) . .
وطبعا الإنسان الذى على صورة الله ، يكون له الطموح الروحى و النمو الروحى ، وليس الطموح فى الماديات و العالميات .

* * *

و السؤال الثانى : كيف يكون الإنسان على صورة الله و الله خالق؟!
طبعا الله هو الوحيد الخالق . ولكن أيضاً وهب الإنسان موهبة الابداع و الفكر الخلاق ، الذى يقدم باستمرار شيئاً جديداً لم يكن موجوداً من قبل . . ولكن الفرق هو أن الله يخلق من العدم . أما الإنسان فيستخدم ما خلقه الله ليكون منه شيئاً جديداً .

* * *

أستطيع أيضاً أن أقول أننا صورة الله فى التثليث و التوحيد

الإنسان ذات لها عقل وروح ، و الذات و العقل و الروح كيان واحد . وهو فى ذلك صورة الله ، الذى هو ذات و عقل وروح ، هؤلاء الثلاثة هم واحد ، كائن واحد .

* * *

أخيراً أقول أننا مادنا صورة الله ، ينبغى أن نحفظ بهذه الصورة ، ونجاهد ألا نكون صورة للعالم . إننى أعجب من الذين يريدون أن يقلدوا أهل العالم فى كل شئ ، حتى يقال عنهم إنهم عصريون ، وليسوا متخلفين . وينبغى أن نكون حكماء هذا الأمر ، لأن القديس بولس الرسول يقول :
" لا تشاكوا أهل هذا الدهر . . " (رو ١٢ : ٢)

أى لا تصيروا شكله ، لأن شكلكم أسمى من العالم بكثيرة ، أنتم بكثير ، أنتم صورة الله . وفى هذا يقول القديس يوحنا الرسول " بهذا أولاد الله ظاهرون " (ايو ٣ : ١٠) . إذن لا يليق بالإنسان الروحى أن يقلد أهل العالم ، بل يكون قدوة لهم ، نورا للعالم يرون فيه صورة الله ويحبون صورته

* * *

الإنسان الروحى يقارن نفسه بالصورة الإلهية ، يسأل ذاته باستمرار : أين أنا الآن؟ وإلى أين وصلت . وفى الأبدية السعيدة توجد صورة واحدة ، و هى الله و من هم على صورته . أما الذين ليسوا على صورته ، فيطرحون فى الظلمة الخارجية .

* * *

إنكم يا اخوتى ، لم تخلقوا لتكونوا مجرد تراب ورماد . فقد خلقكم الله ليعطيكم مجده ليكون جمالكم كاملاً ببهائه الذى جعله عليكم " (خر ١٦ : ١٤)

و القديس بولس الرسول ، إذ أراد أن يوضح هذه الصورة ، قال في عبارة تحتاج هي الأخرى إلى توضيح " لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح ، قد لبستم المسيح " (غل ٣ : ٢٧) . فما معنى عبارة " لبستم المسيح " ؟

اتراني أقف أمامها مفسرا ، أم أقف في دهش وذهوب ؟ أمام صورة الله . .
* * *

الباب الثاني

الإنسان الروحي :

يجعل الله الأول

في كل اهتماماته

الشواهد : (أش ٤٤ : ٦ ، رؤ ١ : ٨ ، ١٧ ، رؤ ٢١ : ٦ ، رؤ ٢٢ : ١٣)
إن الله هو الأول دائما ، وهو أيضاً قال عن نفسه " أنا هو الأول والآخر " (أش ٢٢ : ١٣) .

**وكما كان الله الأول ، اهتم بأوائل الأشياء ، وطلبها وبذلك وضع لنا وصية البكور ، فى تقديمها
و مباركتها** ♦♦

فقال " قدس لى كل بكر ، كل فاتح رحم ، إنه لى " (خر ١٣ : ٢) . وطلب البكور أيضاً فى البهائم
و الأغنام (خر ١٣ : ١٢ ، ١٥) . وأيضاً أبكار الغلات ، و الثمار (خر ٣٣ : ١٦) . وكان يقدم
لله أول حزمة من الحصيد (لا ٢٣ : ١٠) . وكانت قطاف باكورة الثمار ، أول سنة تعطى للرب بل
حتى باكورات الجز أيضاً (حز ٢٠ : ٤٠) حينما يجزون صوف الغنم وكذلك أوائل كل الباكورات

ولم يطلب الله الأبكار فقط ، وإنما باركهم أيضاً ♦♦

كل شئ له هو مبارك ، بل هو مقدس . لذلك قال " قدس لى كل بكر " . وكان الله يبارك البكر ، له
البركة ، وله البكورية ، وله نصيب أتنين من اخوته . وله رئاسة العائلة بعد أبيه ، وله الكهنوت
أيضاً " قبل نظام الكهنوت الهارونى "

كان شعور كل إنسان يقدم البكور ، أن الله فى الأول ♦♦

خيرات أرضه ، ونتاج غنمة وبهائم ، بل أول ثمر البطن ، كله لله ، وليس له وكان يفرح بأن يكون
الله أول من يأخذ .

* * *

وهكذا إذا نظرنا إلى أول وصية ، نجدها للرب ♦♦

بل ليست الوصية الأولى فقط ، بل الوصايا الأربع الأول ، كل وصايا اللوح الأول ، كانت خاصة
بالرب . أما وصايا اللوح الثانى فهى خاصة بالعلاقات البشرية ، لأن الله أولا .

كذلك المحبة موجهة لله أولا ثم للناس فيما بعد ♦♦

الوصية الأولى والأهم هى هذه " تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ،
ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى " (مر ١٢ : ٢٨ - ٣٠) و الثانية هى " تحب قريبك
كنفسك " فالله أولا .

ولأن المحبة هى لله أولا ، لذلك قال الرب " من أحب ابا أو أما أكثر منى ، فلا يستحقنى . ومن أحب
إبنا أو ابنه أكثر منى ، فلا يستحقنى " (مت ١٠ : ٣٧) .

حتى النفس لا تكون أولا ، بل الله ♦♦

وهكذا قال أنه من أجل ينبغى أن تنكر ذاتك و تتبعه . بل قال أكثر من هذا " من وجد حياته يضيعها
ومن أضاع حياته من أجل يدها " (متى ١٠ : ٣٩)

* * *

الإنسان الروحى يجعل الله باستمرار هو الأول فى حياته وفى إهتماماته :

ولا يسمح لأية إهتمامات أن تعوقه عن محبة الله ، أو أن تحظى بالأولوية فى حياته .
قال السيد المسيح لمرثا " أنت تهتمين و تضطربين لأجل أمور كثيرة ، ولكن الحاجة إلى واحد " (
اكو ١٠ : ٤١) . أما مريم فقد اختارت النصيب الصالح ، اهتمت به .

* * *

**وأنت يا أخى بماذا تهتم ؟ ما هى الأولويات فى حياتك ؟ حسب أولوياتك ، يكون حماسك ويكون
عملك ، و تكون أراذلك** ♦♦

إن الناس يختلفون فى اهتمامهم ، كما اختلفت مريم ومرثا . كان اهتمام مريم بمجيبته ، و الجلوس عند قدمية والاستماع اليه .

وصارت احداهما للخدمة ، والأخرى مثالا للتأمل .

وقليلون — مثل القديس بولس الرسول — من جمعوا بين الأمرين الرعاية اهتموا بالخدمة ، و الرهبان بحياة التأمل وحسب اهتمام كل واحد ، هكذا انت حياتك . .

* * *

فهل الله هو الأول فى حياتك ؟

ولكى نفهم هذا السؤال نضع أمامنا قصة أبينا ابراهيم ، الذى منحه الله ابنا فى شيخوخته . فلما فرح به قال له " خذ ابنك ، وحيدك ، الذى تحبه ، اسحق ، وقدمه لى محرقة . . " فماذا فعل أبونا ابراهيم ؟ لم يفكر اطلاقا ، بل جعل الله اولاً ، ومشاعره هو كأب لاسحق اخيراً ، وكذلك مشاعر سارة أو الصبى . الله هو الأول ، نحبه و نطيعه . ثم اسحق يأتى فى محبته بعد ذلك ، لا يتقدم الله إطلاقاً . الله يرديه محرقة ، فليكن أمر الله نافذا . . و ننفذه بسرعة ورضى . قصة أخرى هى قصة حنة أم صموئيل ، التى رزقت به بعد عمقها سنوات ، وبعد صلوات وبكاء . ولكنها جعلت الله اولاً . وقدمت هذا الطفل صموئيل لخدمة الرب فى الهيكل .

إنه درس لكل أم . تبخل على الله بتقديم ابنها لخدمته .

سواء طلبه الله للرهبنة أو طلبه للكهنوت . . الله أولاً ، ومشاعر الأمموة ثانياً أو ثالثاً بل الواجب أن تقدم هذا الابن بفرح . وهذا أيضاً درس لكل زوجة ، يطلب زوجها للكهنوت . لا يصح أن يقول : ستشغله الخدمة عنى وعن البيت !! بل يجب أن تقدمه للرب ، و تقول : الله أولاً * * *

الإيمان الروحى يجعل الله أولاً فى الطاعة . .

ويقول مع الرسول " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢٩) . وصايا الله أولاً ، وبعد ذلك كل ما يطلبه الناس ، وبعدئذ كل رغباتنا وطلباتنا الخاصة وكل طاعة للناس يجعلها الإنسان الروحى فى نطاق طاعته لله . أما إن تعارضت معها فينبغى أن يطاع الله أولاً .

وإذ يجعل الله أولاً ، يضع ذاته أخيراً ، ولا ينظر إلى ذاته مطلقاً . .

انظروا إلى قصة يوحنا المعمدان ، الذى لما ظهر المسيح ، تخلى يوحنا عن كل خدمته ، وعن كرازته ، وعن تلاميذه أيضاً ، وسلم العروس للعريس ، ووقف من بعيد يفرح كصديق للعريس ، قائلاً : ينبغى أن هذا يزيد وأنا أنقص " (يو ٣ : ٣٠) * * *

إن السيد المسيح كان كل اهتمامه بالآخرين وملكوت الله :

كان " يجول يصنع خيراً " (أع ١٠ : ٣٨) " يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب (مت ٤ : ٢٣) . يتحنن على الكل ، ويشبع كل حى من رضاه . . يبشر المساكين ، يعصب منكسرى القلوب ، ينادى للمسيبين بالعنق ، و للمأسورين بالاطلاق " (اش ٦١ : ١) . وفى نفس الوقت لم يعتم بذاته ، ولم يكن له أين يسند رأسه (لو ٩ : ٥٨) لم يهتم المسيح بكرامته لما أغلقت أحدى قرى السامرة أبوابها فى وجهه ، ووبخ تلميذه اللذين طلبا أن تنزل نار من السماء لتهلكها . وقال لهما " لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص " (لو ٩ : ٥١ : ٥٦) .

وحتى على الصليب كان كل اهتمامه بخلص البشر و بالمغفرة حتى لصالبيه ، وبالفردوس حتى للص كما اهتم بأمه القديسة العذراء وبتمليذه القديس يوحنا . وأنت ما هو اهتمامك الأول ؟ أهو ذاتك ؟!

* * *

الإنسان الروحي يخرج من دائرة الذات ، لكي يهتمم بالآخرين ، ويهتمم بهم بأسلوب روى .
اهتماما من عمق القلب ، تصل فيه خدمته إلى مستويات عالية من العطاء و البذل ، إلى حد بذل النفس أيضاً ، وبذل راحته من أجل راحة غيره

* * *

أحيانا يكون كل اهتمام الإنسان أن يصل إلى غرض ما

وربما لا يكون غرضا روحيا ، وإنما هو لإثبات الذات ووجودها ، أو " لارتفاعها " بطريقة ما . .
وفي سبيل هذا الوصول ، لا يهتم بالوسيلة ماذا تكون : روحية أو غير روحية . . لا يهمة أن تكون حيلة بشرية أو عالمية ، أو طرقا خاطئة . . تركيز الاهتمام كله في الوصول إلى الغرض ، حتى لو ضيع هذا الإنسان نفسه . . مثلما فعل آخاب الملك في الحصول على حقل نابوت اليزرعيلي ، وما فعلته الملكة إيزابل في سبيل أن يصل زوجها إلى عرضه ، ولو بالجريمة ، و الاتهام الباطل لنابوت ، شهود الزور . . حتى نال كلاهما عقوبة من الله تناسب ذنوبهما (امل ٢١)
وبالمثل ما فعلته رفقة لكي ينال ابنها بركة أبيه . ومع أن الغرض هنا كان روحيا ، إلا أن التركيز عليه أفقدهما الوسيلة الصالحة . فاستخدما أسلوب الخداع " (تك ٢٧) .

* * *

وبالمثل قد يهتم خادم آخر أن يملأ عقول سامعيه بالمعلومات ، دون أن يضع اهتمامه في حياتهم الروحية كيف ينمون . . كل اهتمامه في المعلومات لا في الروحيات !
أو أب كل اهتمامه أن يلحق أولاده كلاما من الكتاب يحفظونه . ولا يهتم بالتدريبات الروحية التي تعمق صلتهم بالله . و الكتاب يقول " افعلوا هذه ولا تتركوا تلك " (٢٣ : ٢٣)
إنسان آخر في الخدمة ، يهتم كيف تمتلئ الكنيسة بالناس هذا هو كل هدفه ، ولا بهتم بأن يصل هؤلاء الناس على الله . وربما يلجأ إلى وسائل عالمية !!
مثلما تلجأ بعض الطوائف إلى منح المعونات المالية والاجتماعية لجذب بعض المحتاجين إليهم ، و يخرجونهم بذلك من كنائسهم !! الاهتمام كله ليس في الملكوت إنما في أن يزيد عددهم ولو على حساب كنائس أخرى .

* * *

ولعلنا بعد كل هذا ، نسأل بأى شئ يجب أن تهتم ؟ إن ربنا يسوع المسيح يقول في العظة على الجبل : " اطلبوا أولا ملكوت الله وبره " (مت ٦ : ٣٣)

هناك مشكلة نجدوها في انفاقات ومشروعات بعض الكنائس . .

غالبية المال قد تنفقه على البناء و التعمير ، أو على تجميل الكنيسة وتزيينها بالديكور وبالأيقونات وبالنجف الغالى . ولا يعطى مجلس الكنيسة ولا كهنتها نفس الاهتمام لخدمة الفقراء و الحالات المحتاجة من أجل الأحياء المجاورة المحتاجة إلى رعاية روحية ، ولا حتى الاهتمام بالخدمة الروحية في نفس الكنيسة . . للأسف كل الإهتمام مركز في البناء و الديكور . .

* * *

نفس الوضع في رعاية الأسرة بالطفل .

يقول الأب والأم ان إهتمامها الأول هو تربية أطفالهما ورعاية مستقبلهم . وحسنا يقولون . ولكن أى نوع من التربية يهتمون به ؟ إنهم يهتمون بصحة أولادهم ، وأكلهم وشربهم ولبسهم ، وإيضاً تعليمهم واعدادهم لوظيفة لأتقة . ثم بعد ذلك بتزويجهم . . . ويقول الأب بعد ذلك ، ويقول الأم كذلك : " أشكرك يا رب ، إنى أدبت رسالتى نحو أبنائى . الآن ضميرى استراح من جهتهم " .

و مع ذلك لا يضعون إهتمامهم الأول بتربيتهم الروحية وبمصيرهم الأبدى . . .

لا يعطونها الغذاء الروحى اليومى ، مثلما يعطونها غذاءهم الجسدى . وإن سألتهم عن واجبهم فى ذلك ، ربما يجيبون " إننا أرسلناهم الى مدارس الأحد" . . . دون متابعة لما أخذوه أو حفظوه من دروس ، ودون اضافة شئ خلال الأسبوع . كأب الأب غير مسئول عن معلومات ابنه الدينية ، وعن تربيته روحيا !! وكأن الأم غير مسئولة ، وهى التى استلمت ابنها من المعمودية كاشبينة له تتعهدة بالرعاية الروحية ، و بالتعليم الدينى ، و بالتدريب على الفضائل . . .

* * *

وفى الخدمة الاجتماعية ، قد نجد نفس الظاهرة . إهتمامنا الأول أو الوحيد هو فى الرعاية بالفقراء ماديا ، سواء فى المساعدات المادية ، أو مشاكل التعطل أو المرض أو الاسكان . . . وما إلى ذلك . ويندر أن يعطى إهتمام حقيقى بروحيات هؤلاء المحتاجين . . . وإن عقد لهم اجتماع روحى ، قد يكون شكليا . . . لا إهتمام فيه يربط هؤلاء الناس بالله ، و بالاطمئنان على حياتهم الروحية ، و على تناولهم واعترفاتهم وتوبتهم . . .

* * *

نفس الوضع نقوله بالنسبة إلى الصلاة فى مجال الخدمة ، وفى حياة كثير من الخدام . . . إنهم يهتمون بتحضير الدرس ، أكثر من إهتمامهم بتحضير أنفسهم روحيا . . . يهتمون بمواعيد الخدمة ، واجتماعاتها ، و الصور و الهدايا ، و المكتبة و النادى ، و بالافتقاد وبالأشطة . . . و نادرا ما يهتمون على نفس القياس بصلواتهم ! فلا نجد اجتماعات الصلاة ، مثل اجتماعات الشبان و الشابات النشاط يأخذ الإهتمام الأول ، وليس الصلاة .

ولو دخلنا فى التفاصيل ، لوجدنا أيضاً العمل الروحى لا يأخذ الإهتمام الأول . . . فالنادى مثلا : قد نهتم بمكانه وترتيبه ، وما توجد فيه من ألعاب ومن أنشطة رياضية وتسلية . وقد نهتم بتنظيم الكارنيهات و المواعيد ، و المسابقات ، و فرق التمثيل و الكورال . . . وفى كل ذلك قد لا يوجد الإشراف الروحى الكامل . و نجد النوادى فى ضوضائها وفى اخطائها ، ولا تعطى الصورة الروحية المرجوة ، وربما لا تختلف عن النوادى العادية لعدم وجود المشرف الروحى . . . لماذا ؟ الجواب الصريح . . . لأننا لم نضع الله فى قمة إهتمامنا .

* * *

وأنت مثلا حينما تستيقظ كل يوم ، بماذا يكون إهتمامك ؟ هل تهتم بحياتك اليومية ، تغسل وجهك ، تفطر ، تعد ملابسك ، تستعد للذهاب إلى عملك ؟ أم إهتمامك الأول كيف نبدأ اليوم مع الرب ، بالصلاة و القراءة التأمل . . . ؟ حسب إهتمامك سيكون تصرفك . . . البعض يعتذر احيانا ويقول : لم يكن لدى وقت للصلاة . . . ! وأنا دائما أرفض هذا العذر ، ولا اعتبره السبب الحقيقى ، واقول :

لو وضعت الصلاة و التأمل فى قمة إهتماماتك ، لأمكنك أن تجد لهما وقتا . . . لذلك اجعل الله له الأولوية . فى كل شئ . . .

* * *

فى الراحة مثلا : لا تفضل راحتك الجسدية ، على عملك الروحى مع الله ، سواء فى الصلاة أو الخدمة • لا تستسلم للنوم أو للاسترخاء ، وإنما ينبغى أن تضحى براحتك من أجل الرب • كذلك فى الصوم ، لا تقل " صحتى " لا تقل : احتياجى إلى البروتينات ، والاحماض الأمينية الرئيسية ، إنما قل : الله أولا • هكذا ليكن الله أولا ، فى موضوع العطاء والعشور •• لا تهتم بكل انفاقك الأخرى ، وتضع الله فى آخر القائمة ، إن بقى له شئ ، كان بها • وإن لم يبق شئ ، تعتذر للرب ، أو نؤجل حقوقه • ذلك لأن اله ليس هو الأول * * *

كذلك ، ليكن الله فى أول كل عمل ، وكل يوم • أول شخص تكلمة فى كل يوم ، هو الله • وكل عمل تعمله ، تضع فيه الله أولا تصلى فى دخولك ، وفى خروجك ، وفى أكلك وشربك ، وفى عملك ، تكلم الله أولا •• إن وضعت الله فى الأول ، لن تخطئ إليه : ذلك لأنك تضعه فوق رغباتك العالمية ، وفوق كل لذة أرضية • ويكون الله أمامك باستمرار ، و العالم خلفك •• الإنسان يخطئ لأنه لم يضع الله أمامه ، ولم يسبق فيتذكره قبل كل سقوط • ولم يحسب حسابا لمشاعره • اجعل الله الأول ، من جهة الوقت ، ومن جهة الأهمية ، ومن جهة الرغبات • ومن جهة الحب والاشتياق ، ومن جهة الطاعة أيضاً •• ليكن الأول فى كل شئ • وحينما يقول الرب " يا ابنى اعطنى قلبك " إنما يقصد أن تكون له هذه الولوية " ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه " وخسارة نفسه ما هى إلا حرمانها من الله •• * * *

إن الإنسان الروحى ليس فقط يجعل الله أولا وقبل كل شئ • بل تكون علاقته بالله هى كل شئ فى حياته ••

ويقول مع الرسول " لى الحياة هى المسيح " (فى ١ : ٢١) • ويقول أيضاً " لأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا فى " (غل ٢ : ٢٠) • وأخيرا لست أريد أن ثقل عليك بنصائح كثيرة • إنما أقول لك نصيحة واحدة إن نفذتها تكون قد نفذت جميع الوصايا ، وهى : اجعل الله فى بدء اهتماماتك ، ولا تعش مستقلا عنه أو غريبا عنه ، ابدأ به يومك ، ابدأ به كل عمل

الباب الثالث

الإنسان الروحي
من صفاته : العمق

العمق فى الصلاة

لقد تأثرت جدا من المزمور الذى تضرع فيه داود النبى (مز ١٣٠) و الذى نبدأ به صلاة النوم ، ونقول فى أوله :

من الأعماق صرخت إليك يا رب • يا رب استمع صوتى •

من الأعماق صرخت : من عمق القلب و العاطفة • من عمق الاستغاثة ، مثلما نقول فى المزمور الكبير " من عمق قلبى طلبتك " (مز ١١٩) • من عمق الإيمان و الثقة بأنك ستستجيب • نعم من الأعماق صرخت : من عمق تعبى و احتياجى ، من عمق صغفى و عجزى و عدم قدرتى • من عمق الهاوية التى أنا فيها ••

* * *

إنما صلاة عميقة ، كصلاة يونان وهو فى بطن الحوت •

نعم ، من الأعماق صرخت إليك ، لأنه لا يوجد غيرك مخلص و منقذ •• تماما كصلاة الشعب مثلا ، قبل نقل الجبل المقطم •• صلاة يتوقف عليها مستقبل الكنيسة كلها •• أو لعلها كصلاة فى قلب دانيال ، وهم يلقونه فى جب الأسود •• أو صلاة فى قلب الثلاثة فتية ، وهم يلقونهم فى أتون النار •• من عمق القلب • من عمق الاحتياج •• مثل صوت غريق ، وهو ينادى قارب النجاة •• ليسرع فى الوصول قبل أن يغرق •• كصلاة إيليا ، وهو يطلب نزول الماء على محرقتة (امل ١٨) •• أو صلاة الشعب وهو يطوف حول أسوار أريحا (يش ٦) •

* * *

ليس المهم طول الصلاة ، أو انتقاء الفاظها ، إنما عمق المشاعر فيها ••

صلاة الفريسي كانت أطول من صلاة العشار • ولكن العشار " نزل إلى بيته مبررا دون ذلك " (لو ١٨ : ١٤) • لماذا ؟ لأنها كانت صلاة من العمق : من عمق الاتضاع و النسحاق ، والشعور بالندم و الخزى •• وقف من بعيد ، ولم يجرؤ أن يرفع نظره إلى فوق •• وكانت ألفاظه القليلة كافيته • لأن الرب نظر إلى أعماقه ••

ومثل صلاة العشار ، كانت صلاة اللص اليمين •

صلاة قصيرة ، ولكنها عميقة • صلاة إنسان فى ساعاته الأخيرة ، وهو على حافة الموت • ومن أعماقه يتطلع إلى أبديته كيف يكون ، فيطلب من الرب أن يذكره • يقول ذلك وهو فى عمق الاتسحاق ، وقد قال لزميله من قبل " أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا " (لو ٢٣ : ٤١) •• حقا إنها صلاة مصيرية ، لذلك قيلت بعمق •• واستجيبت •• جملة واحدة يقولها إنسان بعمق " يارب ارحم " مثلا • فيتقدم واحد من الأربعة و العشرين قسيسا ، فيأخذ هذه الصلاة فى مجمرته الذهبية ، و يصعد بها إلى عرش الله كرائحة بخور مع صلوات القديسين (رؤ ٥ : ٨) • وإنسان آخر يقول هذه الصلاة عشرات المرات ، ولا تصل واحدة منها ، كأنه لم يكن يصلئ !!

* * *

كيف نميز إذن الصلاة التى بعمق ؟

إنها صلاة فيها شعور صلة بالله • صلاة بعاطفة ، بفهم ، بتأمل ، بتركيز •• بحرارة ، بشعور ، بحب •• صلاة باتضاع بانسحاق •• بإيمان ، بثقة ، برجاء • صلاة بروح وليست مجرد ألفاظ ••

ليس المهم فيها مقياس الطول ، بل مقياس العمق ، لأن الكتبة و الفريسيين أمثالهم ، كانوا لعله يطيلون صلواتهم !! (مت ٢٣ : ١٤) .
إن بولس كان يجب أن يقول خمس كلمات بفهم ، أكثر من عشرة آلاف كلمة بلا معنى (اكو ١٤)
٠٠ هكذا ينبغي أن نكون في صلواتنا ، و نحرص أن تخرج من أعماقنا ٠٠ وإن اجتمع الطول مع العمق ، يكون أفضل جداً

أهمية العمق

ما أجمل قول المرتل في المزمور : **" كل مجد ابنة الملك من داخل " (مز ٤٥)** .
على الرغم من أنها " مشتملة بأطراف موشاة بالذهب ، ومزينة بأعمال كثيرة " ولكن كل مجدها في عمقها ٠٠ في داخلها ، في قلبها .
صدقوني ، إن عملاً واحداً يعمله الإنسان بعمق ، ربما توزن به حياته كلها ويبقى هذا العمل ، يسجل في التاريخ ، من أجل عمقه . وسأضرب لذلك مثلاً :

عمق العطاء

خذوا العمق الذي أخذ به ابراهيم ، ليقدمه محرقة :

كان في تقدمته في عمق المحبة الله ٠٠ كان يحب الله بكثير من ابنه ، وحيدته ، الذي تحبه نفسه ، ابن المواعيد ، الذي ناله بعد صبر سنوات طويلة ٠٠ وفي تقدمته أيضاً كان في عمق الطاعة لله ، وفي عمق التسليم
للإرادة الإلهية . بل أيضاً كان في عمق الإيمان ، لأنه كان يؤمن أنه على الرغم من تقدمته ، لا بد سيأتيه منه نسل مثل رمل البحر ٠٠

وفي تقدمته اسحق ، كان ابراهيم في عمق العطاء .

لا يوجد عطاء أعمق من هذا ، أن يقدم ابنه الوحيد ، ابن المواعيد . وكمثال لعمق العطاء أيضاً الأملة التي قدمت فلسين . لذلك مدحها الرب ، وقال إنها أعطت أكثر من الجميع ، ليس لمقدار عطائها ، إنما لعمقه ، لأنها أعطت من أعوازاها (مر ١٢ : ٤١ - ٤٤) .
لعله من أمثلة عمق العطاء أيضاً ما قدمته أرملة صرفة صيدا لإيليا النبي . كل ما قدمته هو " ملء كف دقيق ، وقليل من الزيت في الكوز " (امل ١٧ : ١٢) . ولكن عمق هذه التقدمة ، كان في أنها كل ما كانت تملكه في وقت المجاعة ٠٠ لتأكله هي وابنها ، ثم تموت ٠٠ ولكنها فضل النبي و على ابنها ٠٠

وعمق العطاء نراه أيضاً في أمثلة أخرى :

مثل الذي يقدم عشور أمواله ، وهو في منتهى العوز و الحاجة ، أو يقدم بكور مرتب كان ينتظره منذ زمن ليسدد ديونه ٠٠ أو خادم يقدم وقته للخدمة ، في أهم أيام الامتحانات ، وهو في حاجة للإمتحانات ، وهو في حاجة إلى كل دقيقة ٠٠ أو الذي يقدم أحد أعضاء جسده ، لينقله إلى مريض محتاج إليه حبا في هذا المريض واشفاقا عليه ، أو الذي يستدين ليعطي إنسانا معوزاً ٠٠

العمق في الكرازة

إن المسيحية بدأ تاريخها بالعمق في العمل الكرازي ، الذي تركز في اثني عشر رسولا ، بعضهم من جهال العالم و المزدري و غير الموجود (١كو ١ : ٢٧ ، ٢٨) ، ولكنهم بكل جدية وأمانة و التزام ، دخلوا في الخدمة ، بكل جهد ، و تحملوا الجلد و السجن والإضطهاد ، لكي يوصلوا كلمة الله إلى كل أحد . و هكذا الذين " ليس لهم صوت ولا إلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم " (مز ١٩) .

ويعبر بولس الرسول عن عمق هذا العمل الكرازي و احتمالة فيقول :

" في كل شئ نظهر أنفسنا الله ، في صبر كثير ، في شدائد في ضرورات في ضيقات ، ضربات في سجون في اضطهادات ، في أتعاب ، في أسهار في أصوام . . كمشلين . . كمجهولين . . كماتنين . . كحزاني " (٢كو ٦ : ٤ - ١٠) .

وعمقهم ظهر في غيرتهم المقدسة التي لم تكن تهدأ .

يعملون من أجل الرب في كل وقت ، مناسب و غير مناسب (٢تي ٤ : ٢) . حتى أثناء محاكمتهم أيضاً ، مثلما وقف بولس أمام فيلكس الوالي (أع ٢٤) وأمام أغريباس الملك (أع ٢٥) وكانوا يتكلمون بكلمة الله بكل مجاهرة (أع ٢٨ : ٣١) .

بذكرنا هذا بالمبشرين الذين نقلوا الإيمان إلى بلاد شعبها من أكلة لحوم البشر . .

هنا يبدو العمق في محبة الله و ملكوته ، و العمق في خدمة الكلمة

العمق في الخدمة

بعض الخدام يقيسون خدمتهم بمقاييس خاطئة ، لها المظهر الشكلي من الخارج وليس لها العمق . مثل من يقيس خدمته بكثرة عدد تلاميذه ، أو بكمية الدروس و نوعيتها ، و وما يتلقاه التلاميذ من المعرفة الدينية . أو خادم يقيم خدمته بارتقائه من خادم ابتدائي إلى خدمة ثانوي أو اعداد خدام ، أو بمظهريات أخرى من تنظيمات في الخدمة ، كراسات تحضير الدروس أو كراسات الافتقاد . و ينسى الخادم في كل ذلك ما يتعلق بعمق الخدمة ، و عملها في قيادة التلاميذ إلى التوبة ، و إلى محبة الله * * *

وقد يوجد خادم بلا فصل ، وخدمته أكثر عمقا .

كخادم يشتغل في العمل الفردي . وكل من يلتقى به يجذبه إلى محبة الله ، ويلهب قلبه بكلمات النعمة التي تخرج من فمه . وفي كل يوم يضم إلى الكنيسة أعضاء جدد ما كانوا يدخلون الكنيسة من قبل . .

أو أنه يخدم في حل المشاكل العائلية ، بكل تعب و عمق و مثابرة . وقد يقضى أيام طويلة ويسهر ويقنع ، لكي يدخل سلام الله إلى البيت . ولا أحد من كبار الخدام في الكنيسة يعرف عن خدمته شيئاً وأعرف خادم كان يعمل معنا منذ أكثر من أربعين عاما ، كنا نسمى فصله (فصل الشواذ) ، لأنه كان يجذب الأولاد المتسكعين في الشوارع ، أو في المقاهي وأمام دور اللهو ويحولهم ليس فقط إلى تلاميذ ثابتين في الكنيسة بل أن بعضهم صاروا خداما . . * * *

ومن أمثلة الخدمة العميقة ، قصة فيلبس مع الخصي الحبشي . .

فيلبس ، وهو سائر في الطريق ، يرى مركبة الخصى و هو يقرأ سفر اشعياء ، فيبدأ أن يشرح له في عمق ، حتى يجذبه إلى الإيمان ، إذ يعلن الخصى إيمانه من كل قلبه ، ينزل الإثنان فيعمده . . هل أخذت هذه الخدمة ساعة أو أكثر أو أقل . لكنها كانت عميقة و مثمرة . .

• مثالها أيضاً خدمة المعمدان واسطفانوس الشماس

في عمق شديد خدم المعمدان حوالي ستة أشهر أو أكثر بقليل . وفي خلال تلك المدة القصيرة ، مهد الطريق أمام الرب ، بشعب مستعد ، قادة المعمدان إلى التوبة ومعمودية التوبة . . حتى أن الرب قال : لم تلد النساء من هو أعظم من يوحنا المعمدان ، وقال إنه أعظم من نبي (مت ١١ : ١١ ، ٩) .

كذلك اسطفانوس الشماس ، كانت خدمته قصيرة ، ولكن عميقة جداً . سيرته بدأت في (أع ٦) واستشهاده في (أع ٧) . واستطاع في تلك الفترة القصيرة أن يجعل جماهير كثيرة تنضم إلى الإيمان ، وأفحم كثيراً من المجامع . ولم يستطيعوا أن يقاوموا القوة ، ولا الروح الذي كان يتكلم به (أع ٦ : ١٠) .

* * *

• إن الكلمة العميقة تستطيع أن تأتي بثمر كثير

عظة واحدة بعمق عمل الروح القدس فيها استطاعت أن تضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف تعمدوا معا في يوم الخميس . .

إنسان يكلمك كلمة فتلمس قلبك ، و لا تفارق ذهنك مطلقا ، تتمشى معك في الطريق ، وتصاحبك في نومك وفي صحوك . و تعمل فيك عملا كثيرا . إنها كلمة خرجت من العمق ، ووصلت إلى العمق . وكان لها تأثيرها وفعاليتها وقوتها . وأصبحت تعمل عملا عميقا مثلها . .

* * *

نتنقل إلى نقطة أخرى وهي العمق في العبادة :



كثيرون يهتمهم المقياس الطولي في الصوم مثلا ، وفي الصلاة وعدد المزامير ، وفي المطانيات ، دون أن يهتموا بالعمق في العبادة . وقد يصوم الإنسان أربعين يوما أو خمسة و خمسين ، وربما يشتد على نفسه من جهة الطعام . ولكن بغير عمق في العمل الروحي ، في الانتصار على النفس ، في بط الإرادة و الحواس ، الفكر أثناء الصوم . وكأن الصوم مظهر خارجي ، وفي الداخل في الأعماق ، لا شئ على الاطلاق . ويخرج من الصوم بنفس الطباع والأخطاء . أما الذي يصوم بعمق روحي ، وتصوم نفسه مع جسده ويصحب صومة بانسحاق القلب و التوبة و الخشوع و التدراب الروحية ، فهذا يأتي بثمر كثير .

• كذلك المطانيات ، في عمقها لا في عددها

إنسان تلتصق بالتراب نفسه ، ليست مجرد رأسه تنحنى ، دون أن تنحنى كبرياؤه من الداخل .

* * *

• و نفس الوضع في القراءة و عمقها وتأثيرها

ليس المهم أن تقرأ عدداً كبيراً من الاصحاحات ، وإنما ما تتركه هذه القراءة في نفسك من عمق وتأثير . إن آية واحدة سمعها الشاب أنطونيوس ، وأخذها بعمق ، أمكنها أن تغير حياته كلها ، و تنشئ منهجا روحيا كبيراً اتبعه الآلاف من الملائكة الأرضيين و البشر السمايين . وامتد تأثيرها إلى أجيال طويلة سارت على نفس النهج . . فهل أنت تقرأ بنفس العمق الذي استمع به القديس أنطونيوس إلى تلك الآية .

إن الكتبة و الفريسيين كانوا يقرأون كثيرا ، بل كانوا ، بل كانوا من علماء عصرهم بالكتاب . ولكن لم يكن لهم عمق ، لا فى الفهم ولا فى التطبيق . فلم يستفيدوا شيئا ، بل أعثروا غيرهم .

أنظر إلى داود النبي فى عمق قراءاته .

إنه يقول للرب " الكل كمال رايت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً (مز ١١٩) . ويقول " اكشف عن عيني ، لأرى عجائب من شريعتك . وعمقه فى القراءة ، كان يجلب له الفرح و اللذة ، كمن وجد غنائم كثيرة . ويكون كلام الله أحلى من العسل و الشهد فى فمه (مز ١١٩) .



كثيرون تابوا ، ورجعوا كما كانوا ، لأن توبتهم لم تكن بعمق .

أما الذين تابوا بعمق ، فلم يعودوا إلى الخطية مرة أخرى .

كانت التوبة نقطة تحول مصيرية فى حياتهم ، تدرجوا منها إلى النمو فى حياة البر ، حتى وصلوا إلى درجات عالية من الكمال المسيحى ، مثل داود النبي فى انسحاقه ودموعه . . و اوغسطينوس الذى ترهب و صار أسقفا ، ودافع عن الإيمان المسيحى ، وله تأملات روحية عميقة جدا . . وموسى الأسود الذى نما فى الحب و الوداعة وخدمة الناس ، و صار من آباء البرية . . ومريم القبطية التى سمت فى حياة الوحدة ، حتى صارت فى مرتبة السواح ، وباركت القديس زوسيمما القس * * *

الذين لهم خطايا بكررونها فى كل اعتراف ، لم يتوبوا بعد . .

و الذين لا تصحب توبتهم مشاعر الانسحاق و الندم ، و الشعور بعدم الاستحقاق هؤلاء ليس لهم عمق فى التوبة ، وما أسهل رجوعهم إلى الخطية . ومثلهم أولئك الذين فى توبتهم يسرعون إلى حياة الفرح ، دون أن تنضج توبتهم و تثمر .



الإيمان العادى يدعية الكل . ولكن ليس كل مؤمن عميق فى إيمانه . بطرس الرسول آمن إلى حين ومشى مع المسيح الماء . ثم ضعف إيمانه فسقط . ووبخه الرب قائلا " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت " (متى ١٤ : ٣١) . الإيمان العمق لا يشك ولا يخاف ، بل يمكن أن ينقل الجبال (مت ١٧ : ٢٠) . بل أعظم ما قيل عن الإيمان العميق ، قول الرب :

كل شئ مستطاع للمؤمن (مر ٩ : ٢٣) .

إيمان له قوته ، و له نصرته ، وله فاعليته حتى يشمل الحياة كلها .



قد يوجد صديق لك ، تدوم صداقته عشرين عاما ، ثم بسبب لفظة معينة ، أو وشاية ، أو خبر غير صحيح قد سمعه ، ينقلب و يتغير . وتقول له " عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى " (رؤ ٢ : ٤) . أما المحبة العميقة فيقول عنها الكتاب :

" مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة " (نش ٨ : ٧)

" المحبة قوية كالموت " (نش ٨ : ٦) " المحبة تسقط أبدأ " (اكو١٣ : ٨) سواء كانت محبة نحو الله أو الناس .

عميقة مثل محبة الأم لرضيعها . مثل المحبة بين داود ويونانان . محبة تتبع إلى الصليب ، مثل محبة يوحنا للمسيح . محبة " ليست بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل و الحق " (ايو ٣ : ١٨) .

اعمق محبة هي التي تبذل ، حتى ذاتها

كمحبة الرب على الصليب . أحب جتى بذل (يوس ٣ : ١٦)

عمق الشخصية

هناك أشخاص يتميزون بالعمق ، وآخرون بالسطحية . فالشخصية العميقة ، لها عمق في التفكير و التدبير ، عمق في الذكاء و الفهم الشخص منهم له ذكاء شمولي ، يشمل كل شئ . إذا بحث موضوعا ، يفكر فيه من جميع زواياه ، ويعمل حسابا لكل النتائج وردود الفعل . وإذا تكلم يتكلم بعمق . كذلك في العمل و المسؤولية ، يتناول كل شئ بعمق ، مثل يوسف الصديق وهو وزير تموين لمصر . ومثل يوكابد في عمق تربيتها لابنها موسى النبي . فمثلا التلميذ الذي يذاكر بعمق ، يذاكر بفهم و تركيز ، ويعقل منتبه ، لا ينسى . ليس المهم عدد ساعات مذكراته ، إنما عمق الفهم و الحفظ .



الإنسان الروحي ، حياته ليست مظهرية من الخارج ، ولا هي مجرد ممارسات يمارسها ، ولا مجرد ناموس (أى وصايا تنفذ حرفياً) ، إنما حياته الروحية قبل كل شئ ، هي " حياة القلب مع الله " .

لأن الرب يقول : **" يا ابني اعطني قلبك ، وتلاحظ عيناك طريقي " (أم ٢٣ : ٢٦)** .

المهم أن تعطيني قلبك . وإن أعطيتنى هذا القلب ، سوف تلاحظ عيناك طريقي . ويقول الوحي الإلهي في سفر الأمثال أيضاً " فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة " (أم ٤ : ٢٣) . حياة الإنسان الروحية كلها تخرج من هذا القلب . لذلك على الإنسان أن يهتم بقلبه ونقاوته . ومن أهميته قال الرب في تطويباته فى العظة على الجبل :

" طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يهاينون الله " (مت ٥ : ٨)

حقاً ما أعظم مكافأة القلب النقي . إنه يرى الله !! فليست الحياة الروحية كلاماً ، ولا مظهرية خارجية . فإن المرتل يقول فى المزمور " كل مجد ابنة الملك من داخل " على الرغم من أنها " مشتملة بأطراف موشاة بالذهب ، و مزينة بأنواع كثيرة " (مز ٤٥ : ١٣) .

* * *

ولهذا نجد أن الرب قد قال من جهة وصاياه :

" ولتكن هذه الكلمات التى انا أوصيك بها اليوم على قلبك " (تث ٦ : ٦) .

وقال المرتل فى ذلك " خبات كلامك فى قلبى ، لكى لا أخطئ إليك " (مز ١١٩) . و حينما تكون وصية الله داخل القلب ، تكون مختلطة بالمشاعر و العواطف و الأحاسيس . وتكون أيضاً مرتبطة بالمحبة التى فى القلب ، كما قال داود فى المزمور " أحببت وصاياك جداً " " ممحص قولك جداً . عبدك أحبه " (مز ١١٩) . القلب هو مركز المشاعر . والله يريد مشاعر قلبك .

يريد محبتك . ولذلك قال : **تحب الرب الهك من كل قلبك ، و من كل فكرك .** (مت ٢٢ : ٣٧)

وكذلك : تحب قريبك كنفسك " . وقال الرب عن هذه المحبة ، إنه بها " يتعلق الناموس كله والأنبياء " (مت ٢٢ : ٤٠) . وعبارة " من كل قلبك " تعنى أنه لا يوجد فى القلب أى شخص أو أى شئ ينافس الله فى محبة القلب له . ولهذا قال الرب " من أحب ابا أو أما أكثر منى ، فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى " (مت ١٠ : ٣٧) . كل القلب لله .

والله يطلب هذا ، فيقول فى سفر النشيد : **اجعلنى كخاتمك على ساعدك " (نش ٨ : ٦)** .

كخاتم على قلبك من جهة الحب ، وعلى ساعدك من جهة العمل . وهكذا يكون العمل الذى يقوم به الإنسان الروحي ، هو نتيجة طبيعية لمحبه لله وللناس . و كلما كان القلب عميقاً فى محبته ، فعلى هذا القدر يكون عمله لأجل الله قويا .

* * *

و القلب النقي يكون كلامه نقياً ، ويكون فكره أيضاً نقياً ، لأن الفكر يصدر عن القلب ، و الكلام يصدر عن القلب ، و الكلام يصدر عن القلب . وقد قال الرب فى ذلك .

" الإنسان الصالح ، من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح " (لو ٦ : ٤٥) .

" و الإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر " . إذن المهم هو القلب ، " لأن منه مخارج الحياة " . هو النبع الذى يخرج منه الفكر و الكلام و العاطفة ، بل هو المؤثر على الحواس أيضاً . إن البعض قد يدافع عن إنسان غضوب تخرج من فمه ألفاظ قاسية شديدة ، فيقول " على الرغم من غضبه ، فإن قلبه أبيض " ! كلا ، فالقلب الأبيض تخرج منه ألفاظ بيضاء مثله . وقد قال الرب

" من فضة القلب يتكلم الفم " (لو ٦ : ٤٥) (مت ١٣ : ٣٤) (مت ١٥ : ١٨) .

ولذلك فخطية اللسان هي خطية ثانية تابعة . أما الخطية الأولى السابقة لها فهي فى القلب فيه نفاق تخرج منه ألفاظ نفاق . القلب فيه غضب ، تخرج منه ألفاظ غضب . القلب فيه حنو وعطف .

وهكذا مع باقى الأمور . وهكذا يقول المرتل فى المزمور : **" فاض قلبى بكلام صالح " (مز ٤٥ : ١)**

هذا يكون مع الصالحين ، الذين قلوبهم والسنتهم فى مجرى واحد ، كما نقول فى التسبحة " قلبى و لسانى يسبحان القدوس . وعكس ذلك المرءون الذين قلوبهم غير ألسنتهم ! أولئك الذين وبخهم الرب قائلاً " . كيف تقدر أن تتكلم بالصالحات وأنت أشرار ؟! " (مت ١٢ : ٣٤) .
هذا المرأى الذى يتكلم بغير ما فى قلبه ، قد تكشفه نظرات عينيه ٩ فإن العين كثيرا ما تكون مرآة للقلب ، تظهر فيها أحاسيسه كلها . . . وقد تكشفه ملامح وجهة ، أو نبرات صوته .

* * *

والإنسان الروحى بسيط القلب ، لا يضمّر غير ما يظهر !

هو إنسان صريح . ما يقوله بلسانه هو نفس الذى فى قلبه . إذا امتدح إنسانا ، فهو يثق به هكذا فى قلبه . وإن اعتذر لإنسان عن خطأ ، يكون هذا الاعتذار صادرا حقا من قلبه . . . بينما غيره قد يعتذر ، ولا يكون اعتذاره مقبولا ، لأنه لم يصدر من القلب ! وقد يقول لشخص " الله يسامحك " ، وهو يقصد " الله يجازيك حسب عملك !! " . . .

إن الله أعلم بما القلب ، فهو وازن القلوب (أم ٢١ : ٢) .

وقد قال الكتاب عن الله إنه " فاحص القلوب الكلى " (أر ١١ : ٢٠) " هو يعرف خفيات القلب " (مز ٤٤ : ٢١) " الرب يعرف أفكار والإنسان " (مز ٩٤ : ١١) . وقيل " القلب أذع من كل شئ ، وهو نجس من يعرفه ؟! أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطى كل واحد حسب طريقه . . . " (أر ١٧ : ٩) . أما الإنسان الروحى ، فقلبه مستقيم أمام الله .

و الرب يعرف القلوب المستقيمة ، و القلوب المتلوية .

ويقول الكتاب " نور أشرق للصديقين ، وفرح للمستقيمي القلب " (مز ٩٧ : ١١) . ويقول " كراهة الرب ملتوو القلب " (أم ١١ : ٢٠) . والمستقيمون بقلوبهم يقول عنهم الكتاب إنهم " يدعون الرب من قلب نقى " (٢ تي ٢ : ٢٢) . وعن هذا القلب يقول داود النبى فى مزمور التوبة :

" قلبا نقيا أخلق فى يا الله وروحا مستقيما جدد فى أحشائي " (مز ٥١ : ١٠) .

* * *

وهذه النقطة تنقلنا إلى التوبة وعلاقتها بالقلب . . .
التوبة الحقيقية ليست هى مجرد ترك الخطية بالفعل ، إنما ترك الخطية من القلب . أى أن القلب لم يعد يحبها . وكمال التوبة هو كراهية الخطية . وإذا كره الإنسان الخطية ، فلن يعود إليها مرة أخرى . وهكذا تصبح توبته هى خط فاصل بين حياة بعيدة عن الله ، وحياة مع الله . وهكذا قال الرب فى التوبة :

" ارجعوا إلى بكل قلوبكم " (يوء ٢ : ١٣) .

" مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ، وارجعوا إلى الرب إلهكم " (يوء ٢ : ١٣) . فالتوبة هى اشتياق للرجوع إلى الله ، واستجابة لصوته ولعمل نعمته فى القلب . أما الإنسان الذى لا يستجيب لصوت الله ، فهو إنسان قاسى القلب . وفى ذلك يقول الرسول :

" إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (عب ٣ : ٨ ، ١٥) .

ويكرز ذلك فى (عب ٤ : ٧) . وهذا نفس ما قيل قديما فى المزمور " ليوم إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم " (مز ٩٥ : ٧ ، ٨) . إذن فالله ينظر إلى عدم التوبة ، من خلال القلب الرفض ، قبل العمل العاصى . و لذلك فهو فى قيادتنا إلى التوبة ، يعدنا بتغيير هذا القلب . فإن تغير ، يتغير السلوك طبقاً لذلك . و هكذا يقول الرب : " اعطيكم قلبا جديداً ، واجعل روحاً جديدة داخلكم ")

حز ٣٦ : ٢٦) .

" أنزع قلب الحجر من لحمك ، و أعطيك قلب لحم " . فهو يعتبر التوبة تبدأ من القلب . و القلب التائب هو قلب حجر ، قلب صخر ، قلب قاس ، كما كان قلب فرعون قلباً قاسياً .
ويكرر الرب نفس الكلام في سفر ارمياء النبي فيقول " وأعطيتهم قلباً ليعرفوني أنى أنا الرب ، فيكونوا لى شبعاً ، وأنا أكون لهم إلهاً . لأنهم يرجعون إلى بكل قلوبهم " (أر ٢٤ : ٧) .
* * *

ورجوع الإنسان معناه ان ارادة قلبه تتجدد مع ارادة الله .

الله يعمل فى قلبه ، و هو يرجع بقلبه إلى الله . و هكذا يقول الرب فى سفر يونس النبي " ارجعوا إلى بكل قلوبكم " (يو ٢ : ١٢) . ويقول فى سفر حزقيال النبي " اطرحوا عنكم كل معاصيكم التى عصيتم بها . واعملوا لأنفسكم قلباً جديداً وروحاً جديدة " (حز ١٨ : ٣١) . وعن نتائج هذا القلب الجديد ، يقول القديس بولس الرسول " . . . تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو ١٢ : ٢) .
فإن القلب إذا تغير من الداخل ، تتغير افكاره ايضاً . لأن الأفكار الشريرة تخرج من القلب ، كما قال الرب (مت ١٥ : ١٩) . إذن لا بد من تغيير القلب .

عيب الكثيرين أنهم يظنون التوبة مجرد الاعتراف بالخطايا ، و يستبقون خطية محبوبة فى

القلب .

وبسبب هذه الخطية المحبوبة يرتدون عن توبتهم ، ويسقطون مرارا كثيرة ، لأن القلب ليس كله الله ، ولأنهم لم يرجعوا على الله بكل قلوبهم . . . ولم تتجدد أذهانهم ، إذ لا يزال الفكر متعلقاً بالخطية ، كالقلب ايضاً . . . هؤلاء توبتهم من الخارج و ليس من الداخل . و ينظر الله إلى الداخل ويقول " يا ابنى اعطني قلبك " . . . جنائياً وسفيراً وضعوا المال تحت أقدام الرسل . ولكن لم يضعوا الله فى قلوبهم . كانت فى قلوبهم محبة المال ، و لو بعض المال (أع ٥ : ١ - ٤) .
* * *

كثيراً من ندعو أولادنا إلى الحشمة فى ملابسهم ، دون أن ندخل الحشمة إلى قلوبهم !

بينما لو دخل الله إلى قلوبهم ، لاقتنعوا بالحشمة قلباً وفكراً . و حينئذ تأتى الحشمة فى الملابس و الزينة كعمل تلقائى طبيعى ، دون ضغط من الخارج ، يكون فيه القلب مشتاقاً إلى غير ذلك !

ينبغى أن نسمو عن مستوى الأعمال الظاهرة ، إلى مشاعر القلب من الداخل .

يوجد ابن قد طبع أباه خوفاً أولمجرد فضيلة الخضوع ، بينما قلبه متمرد من الداخل على أوامر ابيه ، ولم يخضع بعد قلباً ولا فكراً . . . وقد إنسان العشور ، وقلبه غير مستريح . فهو قد دفعها من جيبيه ، وليس من قلبه . . .

أما الإنسان الروحى إذا أعطى ، يعطى ، يعطى من قلبه ، يرضى وسرور ، حسب قول الكتاب " المعطى بسرور يحبه الرب " .

وقد يصوم إنسان عن الطعام بقمه ، وقلبه غيرزاهد فى هذا الطعام ، ويتحائل على الطعام بألوان وطرق شتى ، فيبحث عن المسلى الصيامى ، و الجبنة الصيامى ، و الشيكولاته الصيامى . كما يبحث عن طريقة الطهى التى تجعل الطعام الصيامى شهياً . . .!! أين جوهر الصوم هنا ؟ وما علاقته بالقلب ؟!

وقد يضرب إنسان مطانية بجسده ، بينما قلبه لم ينجن مثل انحناء رأسه .

ولا نكون فى مطانياته روح الندم ، ولا روح الخشوع ، ولا روح التوبة . ولذلك حينما بتعذر لغيره بمطانية ، لا تكون مقبولة منه . . . وقد يعترف إنسان بخطاياها ، وقلبه غير نادم عليها !

وقد يصمت إنسان عن الكلام بلسانه ، ويكون فى فكرة كلام كثير !

وقد يتكلم إنسان بكلام إتضاع ، ولا يكون قلبه متضعاً ، وقد تكون كلماته ألين من الزيت ، وهى سهام (مز ٥٥ : ٢١) . وفى كل ذلك يقول الرب " يا ابنى اعطني قلبك "

الإِنسان الروحي يعطى القلب لله ، لأن القلب فيه كل المشاعر و الروحيات •

خذوا الإيمان مثلاً : فرق كبير بين المؤمن اسماً ، وبين المؤمن من أعماق القلب ، الذى يظهر إيمانه فى كل أعماله (يع ٢ : ١٨) • المؤمن الذى يرى الله أمامه فى كل حين • ووجود الله بالنسبة إليه ، ليس مجرد عقيدة ، بل هو حياة يحيها ويحسها • و الغيرة المقدسة ليست مجرد عمل أو كلام ، بل من القلب تصدر و الوداعة و الاتضاع وباقى الفضائل ، ليست هى مجرد أعمال ظاهرة • فهناك فرق كبير بين المتواضع بلسانه ، و المتواضع بقلبه المقتنع فى داخله بأنه خاطئ وضعيف ، ولولا نعمة الله التى تسنده لسقط كغيره ••

* * *

و القلب أيضاً هو مصدر الأحلام و الظنون والأفكار و الشكوك •• وهو أيضاً مصدر كل ثمار الروح)

غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣ •

المحبة مثلاً ، و الفرح ، و السلام •• كلها صادرة من القلب •• وطول الأناة و اللطف و الصلاح و التعفف •• كلها صادرة عن القلب ، إلا فإنها تفقد معناها وما فيها من بر •• الصلاح ليس قبوراً مبيضة من الداخل (مت ٢٣ : ٢٧) ، وإنما هو صلاح القلب • الطهارة ليست مجرد الهرب من الخطية ، وإنما هى نقاوة قلب ••

* * *

الإِنسان الروحي فى كل عمل يعمل ، يدرك أن الله ناظر على قلبه وإلى نيته وقصده •

ومن كنز قلبه الطاهر ، يخرج كل عمل طاهر • حيث يكون كنزه ، يكون قلبه أيضاً (مت ٦ : ٢١) • و كنزه الوحيد هو الله •• وهو فى كل حين يقول للرب " مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى " (مز ٥٧ : ١) • حتى إن نام ، تقول نفسه لله " أنا نائمة ، وقلبى مستقيظ " (نش ٥ : ٢) •

* * *

الإِنسان الروحي فى صلاته ، تكون خارجة من قلبه •

وليس مثل أولئك الذين قال عنهم الرب " هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (أش ٣٩ : ١٢) (مت ١٥ : ٨) •• إنما قلبه متصل بالله تماماً • وهو يتكلم ويشعر بوجوده فى حضره الله ، وأنه يكلم الله • و يقول " قلبى و لسانى يسبحان القدوس " ويردد مع داود قوله فى المزمور :

" من كل قلبى طلبتك " (مز ١١٩) •

حتى فى القداس ، وفى التسبحة ، ولا تكون صلاته مجرد لحن ، أو مجرد الفاظ يرددتها ، أو تلاوة ، إنما هى مشاعر قلب انسكب أمام الله •• فى انسحاق ، فى خشوع ، فى إيمان ، فى حب ، فى فهم فى تأمل ، فى حرارة و التهاب قلب • ويتقدم واحد من الأربعة و العشرين قسيساً ويأخذ صلاته فى مجمرته الذهبية ، ويصعد بها إلى فوق

الباب الخامس

الإنسان الروحي:

إنسان قوي

الإنسان الروحي هو إنسان قوى • ونقصد قوة الروح •• كما أن القوة غير العنف
**هو إنسان قوى ، لأنه صورة الله و مثاله (تك ١ : ٢٧) ، والله قوى • وهو كإبن لله ، من المفروض أن
يكون قويا فى الروح ••**

الإنسان الروحي هو هيكل للروح القدس (١ كو ٦ : ١٩) • و الروح القدس ساكن فيه (١ كو ٣ :
١٦) • و هكذا ينال قوة من الروح الذى يعمل فيه بقوة •• و يتحقق فيه وعد السيد المسيح الذى
قال : **" ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم " (أعم ١ : ٨) •**
وقد قال عنها إنها قوة من الأعلى " (لو ٢٤ : ٤٩) • و ظهرت هذه القوة فى كرازة الآباء الرسل
• و هكذا ورد فى سفر أعمال الرسل " وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع
• و نعمة عظيمة كانت على جميعهم " (أعم ٤ : ٣٣) • وبذلك أيضاً تحقق قول الرب " إن من
القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت ، حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة " (مر ٩ : ١) •
* * *

قوة الإنسان الروحي هى من الله نفسه :

كما قال داود النبي فى المزمور " قوتى و تسبحتى هو الرب • وقد صار لى خلاصاً " (مز ١١٨ :
١٤) • وكما قال القديس بولس الرسول " تقووا فى الرب وفى شدة قوته • " (أف ٦ : ١٠) •
وقال أيضاً " أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣) • وعبارة " أستطيع كل شئ
" تدل على مدى القوة التى يحصل عليها الإنسان الروحي فى المسيح يسوع حتى أن الرب يقول :
" كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٣) •
ومادام كل شئ مستطاعاً له ، إذا لا يجوز أن يقع إنسان روحي فى اليأس أو الإهيار أو صغر النفس
• لأنه بإيمانه يصير قويا فى الداخل ، قوى النفس قوى الروح • لا يضعف ابداً ، ولا ، ولا يقلق
ولا يضطرب ، ولا يقف عاجزاً • إنه قوى بالله الذى يعمل فيه ، الله الذى يقويه ••
* * *

هذه القوة تنطبق على الأفراد و الجماعات :

تنطبق على الانسان الروحي كمؤمن ، وعلى الكنيسة كجماعة مؤمنين • وهكذا ورد فى سفر النشيد
عن تحت سليمان الذى يرمز على الكنيسة " تحت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة اسرائيل •
كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب • كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل " (نش ٣ : ٧ ،
٨) • وفى سفر النشيد أيضاً من أوصاف القوة التى وصفت بها الكنيسة و النفس البشرية :

" شبهتكم يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون " (نش ١ : ٩) •

الفرس - وأيضاً الفرسان - رمز إلى القوة (أش ٣١ : ١) و الفرس فى مركبات فرعون هو "
فرس معد ليوم الحرب " (أم ٢١ : ٣١) • ولم يكن فرعون يختار لمركباته إلا أقوى الأفراس
واشدها • وبهذا التشبيه يصف الرب بالقوة كنيسته التى تحبها ••
ولعل هذا التشبيه دليل على أن سفر النشيد له رموزه الروحية ، وليس مجرد أغنيات متبادلة بين
حبيب و حبيبته كما يتهمه البعض !! لأنه لا توجد فتاة تقبل أن يصفها حبيبها بفرس فى مركبات
فرعون • و بنفس المنطق نتحدث عن قول الرب فى سفر النشيد عن حبيبته الكنيسة بأنها :

مرهبة كجيش بألوية " (نش ٦ ك ٤) •

وكلمة ألوية هى جمع لواء من لواءات الجيش • و اللواء يضم عدداً كبيراً من الكتائب و السرايا و
الآليات • و قد تكرر وصف الكنيسة أو النفس البشرية بانها مرهبة كجيش بألوية فى نفس الاصحاح
من سفر النشيد (نش ٦ : ١٠) • وطبعاً من المستحيل أن تقبل حبيبة أن يصفها حبيبها بأنها
مرهبة •• ! وأنها مرهبة كجيش من عدة لواءات •• ! إن الحديث رمزى عن الكنيسة أو النفس
البشرية •

هذه هي النفس التي عاشت مع الله ، وأخذت من قوته قوة لحباتها •

فالإنسان الروحي تأخذ روحه قوة من الروح القدس الساكن فيه • إنه عضو في جماعة الغالبين المنتصرين ، الذين يحاربون حروب الرب بقوة • ويدعوهم الكتاب المقدس بأنهم " جبابرة بأس " نقرأ في سفر القضاة أن ملاك الرب خاطب جدعون بقوله " الرب معك يا جبار البأس " (قض ٦ : ١٢) • وداود النبي قيل عنه إنه يحسن الضرب بالعود وأنه جبار بأس وفصيح و الرب معه (صم ١٦ : ١٨) • وقيل عن البنين الصالحين إنهم " كسهام بيد جبار " (مز ١٢٨ : ٤) • وقيل أيضاً عن رجال يشوع الذين دخل بهم أرض الموعد إنهم كانوا جبابرة بأس (يش ٨ : ٣) • كل هذ وغيرها رموز للذين يدخلون الحروب الروحية ضد " أجناد الشر الروحية " • إنه الأقوياء في الروح يحملون سلاح الله الكامل ، ودرع الإيمان ، وترس البر ، و خوذة الخلاص وسيف الروح (أف ٦ : ١١ - ١٧) •

* * *

وقد ضرب الكتاب أمثلة كثيرة من أولئك الأقوياء •

مثال ذلك إيليا النبي ، الذي ظهر البلاد من كل أنبياء البعل وأنبياء السواري (امل ١٨ : ١٩ ، ٤٠) • وكذلك يوحنا المعمدان الذي قال عنه الملاك المبشر به إنه " يتقدم أمام الرب بروح وإيليا وقوته " • لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً " (لو ١ : ١٧) • واسطفانوس الشماس الذي كان مملوءاً من الروح القدس و الإيمان • وقد وقف أمامه ثلاثة مجامع يحاورنه " ولم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة و الروح الذي كان يتكلم به " (أع ٦ : ٩ ، ١٠) •

وقد سرد بولس أسماء سلسلة من هؤلاء الأقوياء •

وقد ختمها بقوله " و ماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت عن • الذين بالايمن قهروا ممالك ، صنعوا براً ، نالوا مواعيد ، سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار ، و نجوا من حد السيف ، تقووا من ضعف ، صاروا أشداء في الحروب ، هزموا جيوش غرباء • عذبوا ولم يقبلوا النجاة ، لكي ينالوا قيامة أفضل • وهم لم يكن العالم مستحقاً لهم " (عب ١١ : ٢٣ - ٣٨) •

وشرح لنا تاريخ الكنيسة أمثلة كثيرة من الأقوياء •

وأمثال أولئك الشهداء ، الذين كانوا أقوياء في إيمانهم ، أقوياء في احتمالهم ، أقوياء أيضاً في العجائب والآيات التي أجزاها الله على أيديهم • وهناك أمثلة أخرى من أبطال الإيمان الذين وقفوا بكل قوة ضد البدع و الهرطقات ، و دافعوا عن الإيمان بقوة في الفهم وقوة في الاقتناع ، وفي الصمود • ومن أمثلة أولئك القديس اثناسيوس الرسولي ، الذي وقف ضد الهرطقة الأريوسية ، و احتل العزل و النفي و المؤامرات و الاتهامات • وقيل له " العالم كل ضدك يا اثناسيوس " فقال " وأنا ضد العالم " • لذلك أسموه : Athanasius Contramondum أي اثناسيوس ضد العالم

* * *

لقد خلق الإنسان قويا • له سلطان :

وقال الله " أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض ، واخضعوها ، وتسلبوا على سمك البحر و على طير السماء ، وعلى كل حيوان يدب على وجه الأرض " (تك ١ : ٢٨ ، ٢٦) • ولكن الإنسان فقد قوته الطبيعية حينما أخطأ ، وبدأ يشعر بالخوف • وعاد الله يقوى الإنسان بعمل النعمة فيه ، بقوة الروح القدس • ويقويه بوعوده ، وبأنه معه • •

* * *

الإنسان الروحي يذكرنا بالأرواح ، بالملائكة •

أولئك الذين قال عنهم داود النبي " باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة " (مز ١٠٣ : ٢٠) • هؤلاء الملائكة الذين قال دانيال النبي عن واحد منهم " إلهي أرسل ملاكه ، فسد أفواه الأسود " (دا ٦ : ٢٢) • وقيل في سفر الملوك : ملاك الرب خرج وضرب من جيش سنحاريب ١٨٥ ألفاً (٢ مل

١٩ : ٣٥ ، ٣٦) . قوة الملائكة مصدرها أنهم أرواح قرييون من روح الله . يتشبه بهم كل من يسلك بطريقة روحية ، ويدخل في شركة الروح القدس ، ويعمل الله فيه .

لذلك فالإنسان الروحي الذي يعمل فيه روح الله ، لابد أن يكون قويا .

داود النبي الذي حل عليه روح الرب (اصم ١٦ : ١٣) كان قويا . وكان أقوى من شاول الملك . وكان حينما يتعب شاول من الروح الشرير ، يهدئه داود بعوده ، ويذهب عنه الروح الرديء (اصم ١٦ : ٢٣) ، لأن روح الله الذي في داود هو الذي يطرده . بل كان داود أقوى من الجيش كله الذي خاف من جليات . أما داود فتقدم لمحاربة جليات وقال له " في هذا اليوم يحبسك الرب في يدي " . (اصم ١٧ : ٤٦) .

* * *

الإنسان الروحي لا يخاف ، لأن الله معه :

وهكذا قال داود النبي للرب راعية " إن صرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معي " (مز ٢٣ : ٤) . واستطاع أن يغني أشودته الجميلة " إن يحاربني جيش ، فلن يخاف قلبي . وإن قام على قتال ، ففي ذلك أنا مطمئن " (مز ٢٧ : ٣) . وقال أيضاً " هولاء بمركبات ، وهولاء بخيل ، ونحن باسم الرب ننمو . هم عثروا وسقطوا ، ونحن قمنا واستقمنا " (مز ٢٠ : ٧) .

هنا قوة قلب الإنسان الروحي المستمدة من الله .

إنه لا يخاف ، لأن الله معه . الله الذي قال ليشوع " تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب " " لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك . كما كنت مع موسى أكون معك . لا أهلك ولا أتركك . تشدد وتشجع " (يش ١ : ٩ ، ٥) . هو أيضاً الذي قال لبولس الرسول في رؤيا بالليل " لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، و لا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) . وهو أيضاً الذي لأرميا النبي " هانذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة ، عمود حديد ، وأسوار نحاس على كل الأرض . فيحاربونك ولا يقدرين عليك ، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأتقذك " (أر ١ : ١٨ ، ١٩)

* * *

لذلك أنا أعجب ، حينما يضعف الخير ، ويقوى الشر أمامه !!

أعجب حينما أرى أهل العالم أقوياء ، ولهم شخصية وثقة ، ويجاهرون بأرائهم ، ويصلون إلى أغراضهم ، ولا يهتزون أمام العواصف . وبينما رجال الله يقفون كضعفاء ولا يصمدون ! كما لو كان الشر أقوى من الخير ! أو الشر هو الذى يغلب !! فلماذا هذا الضعف !؟ ولماذا يقف الخير صامداً ، يعلن عن البر ويدعو إليه ، كما كان الرسل " بكل مجاهرة وبلا مانع " (أع ٢٨ : ٣١) .

* * *

إن القوة الروحية ، ليست مطلقاً ضد الوداعة و التواضع .

كثيرون يحبون الوداعة ، ولكنهم يفهمونها بأسلوباً خاطئاً . الوداعة تتصف بالطيبة و الهدوء . ولكنها لا تمنع مطلقاً أن يكون الإنسان قويا في شخصيته ، ومع ذلك يكون وديعاً ومتواضعاً . وهنا التكامل و الفضائل ، وليس التناقض .

و السيد المسيح كان مثالا لهذا التكامل . فهو الذى قال " تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب " (مت ١١ ك ٢٩) . وفى نفس الوقت كان قويا في شخصيته ، قويا في حوارهِ مع كل معارضيهِ من الكتبة و الفريسيين و الكهنة و الشيوخ و الصدوقيين . وكان يفحهم ، و ينشر رسالته في قوة . وهو الذى قيل عنه " لبس الجلال . لبس القوة و تمنطق بها " (مز ٩٣ : ١) وقيل له أيضاً : " تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار . أستله وانجح واملك " (مز ٤٥ : ٣) . له القوة و المجد . إذن من الممكن أن يكون الإنسان وديعاً وقويا . و المهم ما هو مفهوم القوة ؟ وما هو أيضاً مفهوم الوداعة و التواضع ؟

ما هو مفهوم القوة ؟ وما الفرق بين القوة الزائفة و القوة الحقيقية ؟

القوة هي قوة الروح في الدال ، تعبر عن ذاتها في الخارج بأسلوب روحي .

القوة ليست هي العنف . فالمسيحية ضد العنف . وليست هي حب السيطرة وإخضاع الآخرين .
وليست هي التهور و الاندفاع و الجراءة على كل ما هو كبير . . . كتلميذ يتحدى معلمه ، أو ابن يتجرأ على أبيه . . . وليست القوة هي قوة شمشونية ، في الجسد و العضلات . . . ولا هي الاعتداد بالذات بأسلوب خاطئ ، والافتخار بهزيمة الآخرين ، ولا هي استخدام السلطان في غير موضعه . . .
ولا هي الإدعاء باللسان ، كما قال بطرس " لو أنكرك الجميع ، فأنا لا أنكر " .
" ولو اضطرت أن أموت معك ، لا أنكرك " مت ٢٦ : ٣٣ ، ٣٥) . ولما دخل إلى الواقع العملي ، لم تظهر هذه القوة !!

* * *

و القوة ينبغي أن تكون دائماً ومستمرة .

فما أسهل أن يظهر الإنسان قويا في موقف معين . ثم ما يلبث أن يفقد قوته في موقف آخر . كما أثبت شمشون قوته في مواقف عديدة . ثم ضعف أخيراً أمام دليلة (قض ١٦) .

* * *

وما أكثر الأسباب التي يضعف بها الإنسان ويفقد قوته .

فقد يضعف الإنسان أمام رجاء من يحب ، أو يضعف أمام دموع البعض . . . وقد يضعف أمام كثرة الألحاح ، أو أمام ضغط عاطفي أو مادي . . . وقد يضعف إذا ما أشد الإغراء ، كما حدث مع داود النبي . . . وعموماً يضعف في الخارج ، إذا ضعف من الداخل .
والإنسان الروحي يصمد أمام كل هذه الأسباب . وإن حدث أنه ضعف وسقط ، سرعان ما يقول . ويردد ما قيل في سفر ميخا النبي " لا تشمتي بي يا عدوتي . فإني إن سقطت أقوم " (مي ٧ : ٨)

* * *

الإنسان الروحي ، قوته قوة روحية . ولهذه القوة أسباب عديدة :

ما هي تلك الأسباب التي هي مصدر قوته ؟
وما هي أيضاً عناصر تلك القوة في روحه ونفسه وفكره ؟ وما مظاهرها في حياته وفي خدمته وفي فضائله ؟

* * *

مصادر القوة الروحية

وأسبابها ومظاهرها وعناصرها

مصادر القوة

لاشك أن مصدر القوة الروحية ، هو الله نفسه .

ولذلك يقول المرتل في المزمور " أحبك يا الله يا قوتي " (مز ١٨ : ١) ويقول " قوتي و تسبحتي هو الرب " (مز ١١٨ : ١٤) . ويقول أيضاً " الله ملجأ لنا وقوة (مز ٤٦ : ١) . وكما يقول القديس بطرس الرسول عن القوة في الخدمة " إن كان أحد يخدم ، فكأنه من قوة يمنحها الله ، لكي يتمجد الله في كل شيء " (ابط ٤ : ١١) . ويطرئ داود بقوة الله العاملة فيه فيقول " الله الذي يمنطقي بالقوة . . . الذي يعلم يدي القتال " (مز ١٨ : ٣٢ ، ٣٤) .

لذلك فإن كل قوة ، ليس الله مصدرها ، هي قوة باطلة ، ومصيرها إلى الزوال ◊

كقوة فرعون مثلاً ، وكقوة الشيطان ◊◊ وقوة آخاب الذى قتل نابوت اليزرعيلي ◊◊ وقوة مشورة أختيوفل ◊◊ ومثل قوة جليات ◊◊ وكل الأقوياء بدهائهم أو بكبريائهم ◊ أما الإنسان الروحي فقوته من الله العامل فيه ◊ وعن هذا يقول القديس بولس الرسول : الأمر الذى لأجله أتعب أنا أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذى يعمل فى بقوة " (كو ١ : ٢٩) " بحسب القوة التى تعمل فىنا " (أف ٣ : ٢٠) ◊◊ إنها قوة الروح القدس ◊

* * *

*مادامت القوة من الله ، فنحن نطلبها بالصلاة ، وننالها بالإيمان ونعمة الله ◊

الإنسان الروحي يقف أمام الله ضعيفاً ، يلتمس منه القوة يصلى قائلاً " أعطنى يا الله قوتك " " فأنا بدونك لا أستطيع شيئاً " (يو ١٥ : ٥) ◊ وبالصلاة يمنحه الله قوة مثل آخر صلاة صلاها شمشون ، واستجاب الرب له (قض ١٦ : ٢٨ ، ٣٠) ◊
والإيمان يمنح الإنسان قوة ، لأن كل شئ مستطاع للمؤمن (مر ٩ : ٢٣) ◊ حتى إن أدركه ضعف فى وقت ما ، فإن الإيمان يعيد عليه قوته ◊ ألم يقل الرب " لو كان لكم إيمان مثل حبه خردل ، لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل " (مت ١٧ : ٢٠) ◊ وإن شعر الإنسان الروحي أن إيمانه قد ضعف ، يصرخ إلى الرب قائلاً أو من يا رب : فأعن ضعف إيمانى ◊ (مر ٩ : ٢٤) ◊ وهكذا نجد أن الإيمان و الصلاة يعملان معا فى جلب القوة للإنسان ◊ وبالصلاة يصارع الله مع الإنسان ، ولا يتركه حتى ينال منه القوة ◊ يصلى وهو مؤمن أن القوة ستأهيه ◊◊

* * *

* وبنال الإنسان قوة بعمل الروح القدس فيه ◊

وهكذا فإن الذى يشترك مع الروح القدس فى العمل ، لا بد أن يكون قويا ◊◊ فإن وجدت نفسك ضعيفاً فى وقت ما ، راجع شركتك مع الروح القدس ◊◊ إن سبب فقد شمشون لقوته ، هو أن روح الرب فارقه (قض ١٦ : ٢٠) ◊ تمسك إذن إلى أبعد حد بعمل الروح فىك ◊ وهى نفسك بالنقاوة و القداسة ، حتى يكون هيكلك مستحقاً لسكنى روح الله فىك ◊◊ فتستمر قويا ◊

* * *

*والإنسان يحتفظ بقوته الروحية بثبات كلمة الله فيه ◊

طالما تضع وصية الله أمامك ، وتحب كلمة الله وتخبئها فى قلبك ، وترددتها بلسانك ، ستجد أن كلمة الله ستمنحك قوة ، تمنحك استحياء من الخطية ، لأن " كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين " (عب ٤ : ١٢) ◊ وما أجمل قول القديس يوحنا الرسول للشباب " كتبت إليكم أيها الأحداث ، لأنكم أقوياء وكلمة الله ثابتة فىكم ، وقد غلبتم الشرير " (ايو ٢ : ١٤) ◊

* * *

* وبنال الإنسان قوة من الله ، عن طريق الأنعام ◊

لأن " الرب يقاوم المستكبرين ، أما المتواضعون فيمنحهم نعمة " (يع ٤ : ٦) ◊ المتكبر يظن أنه بقوته البشرية سينتصر ، فيعتمد على قوته فيفشل ◊ أما المتواضع ، فإن يشعر بضعفه ، يعتمد على قوة الله ، فيمنحه الله هذه القوة " ليكون فخر القوة لله ، لا منا " (٢ كو ٤ : ٧) ◊
أنظروا كيف قال الشياطين للقديس مقاريوس الكبير " بتواضعك وحده تغلبنا " ◊ وكيف قال القديس الأنبا أنطونيوس : أبصرت فحاح الشيطان مبسوطة على الأرض كلها ◊ فقلت يا رب من يقلت منها ؟ فقال : المتواضعون يفلتون منها ◊◊
إن المتواضعين الذين يقفون أمام الله كضعفاء ، هم الذين قال عنهم الوحي الإلهي " اختار الله ضعفاء العالم ، ليخزى بهم الأقوياء " (١ كو ١ : ٢٧) " لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه " ◊◊

المتواضع لا يخاف ، لأن الله معه . ولكن متى يخاف الإنسان بحق ؟ يخاف عندما يتعجرف قلبه ، ويظن أنه قوى ، وأنه قد ارتفع إلى السماء ، وجلس على عرش الله ، و أصبح الشيطان تحت قدميه انظروا إلى قول القديس العظيم بولس الرسول " لأنى حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى " (٢كو ١٢ : ١٠) .

* * *

*الإنسان الروحي بصير أيضاً قويا ، بنقاوة القلب *

فالقلب النقي هو حصن لا ينال ، ومنه مخارج الحياة " (أم ٤ : ٢٣) . و القلب النقي هو الذى ارتفع عن شهوات العالم . وفى هذا المجال ، ما أجمل قول القديس أوغسطينوس " جلست على قمة العالم ، حينما أحسست فى نفسى أنى لا اشتهى شيئا ولا أخاف شيئا " . . . حقا إن القلب الزاهد هو قلب قوى ، لا توجد شهوة تغلبه ، ولا يوجد شئ يخيفه . وبهذا الزهد وعدم الخوف جاءت قوة الشهداء وقوة الرهبان . تعرض الشهداء لكل الإغراءات و التهديدات ، ولكل ألوان التعذيب ، وبقوا صامدين فى قوة عجيبة ، لأنه لم تكن هناك أية شهوة فى قلوبهم تستجيب للإغراءات ، ولا أى خوف تزعجه التهديدات ، ولم يكن فيهم خوف الموت أيضاً . فاحتفظوا بقوتهم أمام كل الملوك و الولاة و القضاة . كانوا أقوى من مضطهديهم .

كذلك الرهبان ، لأنهم نجردوا من الشهوات ، أمكنهم أن ينتصروا على العالم ، وكانوا أقوياء فى احتمال الوحدة وسكنى الجبال و البرارى ، بل وسكنى المقابر أيضاً وكانوا أقوياء فى حروب الشياطين . كانوا أقوياء أيضاً فى تأثيرهم الروحي على الآخرين . امراء صاروا رهبانا ، لأنهم كانوا أقوى من شهوة الملك . القديس الأنبا أنطونيوس حاول الشياطين أن يخيفوه بكل المناظر المفزعة ، ولكنه كان أقوى منهم . وأمكنه أن يغلبهم باتضاعه ويايمانه . و القديس مقاريوس لم يخف ، حينما بات فى مقبرة وقد أسند رأسه على جمجمة ، و تحدث الشياطين معها . ولكن قلبه كان قويا بالإيمان لا يخاف . . .

* * *

*هناك أيضاً أشخاص اقوياء بطبيعتهم *

شاء الله أن يولدوا هكذا ، بقلب قوى ، وعقل قوى ، وشخصية قوية . . . مثال ذلك شمشون ويوحنا المعمدان وايليا وداود . ننتقل إلى نقطة أخرى وهى عناصر القوة :



١- قوة الحب و البذل

تحدث سفر النشيد عن قوة الحب فقال " المحبة قوية كالموت . . . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة ، و السيول لا تغمرها " (نش ٨ : ٦ ، ٧) . وقال القديس بولس الرسول " المحبة لا تسقط أبداً " (١كو ١٣ : ٨) .

هذه هى المحبة الحقيقية ، التى ليست بالكلام و اللسان ، بل بالعمل و الحق (١يو ٣ : ١٨) . ولعل من أعمقها محبة الأم لرضيعها ، و محبة داود ليونathan (٢صم ١ : ٢٦) . بل محبته لابنه أبشالوم الذى خانة ، وكيف بكى عليه بمرارة لما سمع بموته (٢صم ١٨ : ٣٣) .

وتظهر قوة المحبة فى البذل . واقوى بذل هو بذل الذات .

ظهر هذا الأمر واضحاً في سيرة الشهداء ، وكيف بذلوا كل شئ حتى الحياة ، من أجل محبتهم لله . وكذلك ظهرت قوة هذه المحبة في حياة في حياة الآباء الرهبان و السواح ، الذين تركوا العالم وكل ما فيه . " وسكنوا الجبال و البرارى من أجل عظم محبتهم للملك المسيح " . كذلك محبة الآباء الرسل الذين من أجل محبتهم للرب وملكوته ، احتملوا الجلد و السجن و الرجم و التشريد و الموت أيضاً . وقالوا للرب أيضاً " تركنا كل شئ و تبعناك " (مت ١٩ : ٢٧) . وفى ذلك يقول بولس الرسول أيضاً " خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح " (فى ٣ : ٨) .

وقوة المحبة تظهر إن كانت من كل القلب .

وفى ذلك قال الكتاب " تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك " . (تث ٦ : ٥) (مت ٢٢ : ٣٧) . وعبارة " كل " تعنى أنه لا توجد محبة أخرى تنافس محبة الله فى قلبك . وفى ذلك قال السيد الرب " من أحب أباً أو أمأ أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى " . (مت ١٠ : ٣٧) . بل من أحب حياته أكثر من الرب ، لا يستحقه . وفى ذلك قال " من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته لأجلى يجدها " (مت ١٠ : ٣٩) .

المحبة نقود إلى البذل ، وقوة البذل لها أسباب .

يوجد بذل سببه الحب كما قيل " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل ابنه الوحيد " (يو ٣ : ١٦) . وكما بذل الشهداء لأجل محبتهم للرب . و هناك قوة فى البذل سببها الطاعة ، كما رفع أبونا ابراهيم السكين ليبدل ابنه وحيد ذبيحة للرب . توجد قوة فى البذل سببها الزهد ، كأبائنا الرهبان .

* * *

***ننتقل إلى قوة الإيمان :**

قوة الإيمان تظهر فى أنه يصدق كل شئ . يؤمن أن الرب يمكن أن يشق طريقاً فى البحر ، وأن يفجر من الصخرة ماء ، وأن يصنع المعجزات و العجائب . . . الإيمان الذى جعل بطرس يمشى على الماء (مت ١٤ : ٢٩) . الإيمان بأن الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤) . . . الإيمان الذى يجعلك تقدم الحياة لأجل الرب ، وتقدم عشورك وأنت تدفع من أعواذك . . . الإيمان الذى يقول " إن سرت فى وداى ظل الموت ، لا أخاف شراً لأنك أنت معى " (مز ٢٣) . . . الإيمان بأن كل لأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب " (رو ٨ : ٢٨) . . . الإيمان القوى بالأبدية الذى يجعل الإنسان يستعد لها بكل قوته . . .

* * *

***من عناصر القوة أيضاً قوة الصلاة :**

الإنسان الروحى إذا أخطأ وتاب ، تظهر قوة توبته فى انسحاقه العميق ، وندمه ودموعه ، كما حدث مع داود النبى الذى قال " تعبت فى تنهدى . أعوم فى كل ليلة سريرى ، و بدموعى أبل فراشى " (مز ٦) . وتوبة الإنسان الروحى تظهر قوتها فى استمرارها ، وعدم عودته مطلقاً إلى حياة الخطية بل أكثر من هذا يظل ينمو فى الحياة الروحية سائراً نحو الكمال . ومن أمثلة ذلك توبة أوغسطينوس وموسى الأسود ، ومريم القبطية وبيلاجية . توبة تحولوا بها من خطاة إلى قديسين

* * *

***قوة الإنسان الروحى تظهر فى انتصاره على المحاربات الروحية و على الإغراءات .**

كما ظهرت قوة يوسف الصديق فى انتصاره العجيب على اغراءات زوجة فوطيفار (تك ٣٩ : ٩) قوله فى حزم عملى " كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟! " الإنسان الروحى لا تظهر قوته فى انتصاره على غيره ، إنما فى انتصاره على الخطية ، مهما كانت الحروب شديدة ، سواء من الشيطان ، أو من الناس الأشرار ، أو من أخوة كذبة (٢ كو ١١ : ٢٦) أما الذى يضعف ويسقط فينطبق عليه قول الكتاب " وزنت بالموازين ، فوجدت ناقصاً " (دا ٥ : ٢٧) .

الإِنسان الروحي إذا أخطأ ، له القوة على الاعتراف بخطئه •

كثيرون يجدون صعوبة بالغة في الاعتراف بأخطائهم •• أما القديس أو غسطينوس ، فقد نشر اعترافاته في كتاب قرأه كل أهل جيله • وما تلتته من أجيال •• والإِنسان الروحي ايضاً ، إذا أحس أنه أساء إلى أحد ، تكون له القوة على الاعتذار إليه والاعتراف بإساءته ، دون محاولة للتبرير أو المجادلة ••

وإذا أحس أن رأيه مخطئ ، يكون قادراً بسهولة أن يتنازل عن رايه ، بغير عناد كما يفعل البعض
* * *

*القوة في ضبط النفس :

الإِنسان الروحي قوى من الداخل • يستطيع أن يضبط نفسه ، كما قال الكتاب " مالك نفسه خير ممن يملك مدينة " (أم ١٦ : ٢٢) • فهو يضبط افكاره فلا تسرح فيما لا يليق ، متبعاً قول الرسول " مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح " (٢كو ١٠ : ٥) يضبط أيضاً حواسه ، فلا يخطئ بالنظر ولا بالسمع ولا باللمس • كذلك يضبط مشاعر قلبه وعواطفه • ويضبط لسانه ايضاً ، فلا تخرج من فمه كلمة خاطئة ، ولا كلمة زائدة • وفي ذلك قال القديس يعقوب الرسول " إن كان أحد لا يعثر في الكلام ، فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد ايضاً " (يع ٣ : ٢) هنا القوة الداخلية في ضبط النفس ، وضبط الفكر و الحواس و المشاعر ، وضبط اللسان ايضاً •
الإِنسان الروحي يضبط ايضاً غرائزه و انفعالاته ، ويرفع فوق مستوى الإثارة ••
الإثارة الخارجية لا تثيره من الداخل ، بل يكون أقوى منها • لا يفعل مثلاً إذا تعرض لإساءة ما ، ولا يقاوم الشر بالشر (رو ١٢ : ١٧) • ولا يرد على الكلمة الخاطئة بمثلها • لا يغلبه الشر ، بل يغلب الشر بالخير (رو ١٢ : ٢١) • ويستطيع أن يسيطر على الغضب • ويكون قويا في أعصابه ، لا تفلت منه •

* * *

*الإِنسان الروحي يتميز بقوة الاحتمال :

يستطيع أن يحتمل الشدائد و الضيقات • وإن أصابته تجربة ، لا تهزه من الداخل ، بل يصمد • ويمكنه أن يحتملها ، كما فعل ايوب الصديق • كما يحتمل ايضاً أخطاء الآخرين • إن المخطئ هو الضعيف الذي لم يضبط نفسه • و المحتمل هو القوى • لأجل هذا قال الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء ، ولا نرضى أنفسنا " (رو ١٥ : ١) • الشخص القوى من الداخل ، يستطيع أن يغفر للمسيء أي له القدرة - ليس فقط على الاحتمال - بل على المغفرة ، و على الإحسان إلى المسيئين (مت ٥ : ٤٤) •
الإِنسان الضعيف يحتاج إلى من □□ يحتمله • أما القوى فيحتمل غيره ، يحتمل طباعه السيئة وأخطائه ، و الفاظه و غفاته •• هنا تظهر القوة الروحية ، في القدرة على تحويل الخد الآخر ، ومشى الميل الثاني ، و الصبر على كل شيء ••

*الإِنسان الروحي يتميز بقوة لشخصية :

إنه إنسان قوى في عقله ، فهمه ، في قدرته على الاستيعاب و على الاستنتاج ، قوى في ذاكرته ، في سرعة بديهته ، في حكمته وحسن تصرفه • هو ايضاً قوى الإرادة ، قوى العزيمة ، قوى في حكمة تصرفه ، حسن إراداته للأمر • وقوى ايضاً في أنه لا يهتز أمام أي تهديد أو تخويف • ينطبق عليه قول الكتاب " من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام زربابل تصير سهلاً " (زك ٤ : ٧) •
تظهر قوته ايضاً في كل عمل يعمل ، وكل مسئولية يحملها •
هو إنسان قادر على تحمل المسئوليات ، مهما بدت كبيرة أو خطيرة ، ويقوم بعمله بكل جدية ، وبكل أمانة ودقة و التزام ، ويأتى بالنتائج المرجوة في انجاز سليم • وهو ايضاً حازم ، ولا يتردد •

ومهما حدثت من عوائق ، ولا يلق ولا يضطرب و لا يخاف . . بل يقف كالجبل الراسخ ، و اثقا بأن كل مشكلة لها حل . وواتقا بالله يعمل معه ويعمل به . .

• له تأثير المجتمع الذي يعيش فيه ، ربما يمتد إلى أجيال •

إن الروحيين الأقوياء لا يتأثرون باخطاء البيئة التي يعيشون فيها " ولا يشاكلون أهل هذا الدهر " (رو ١٢ : ٢) . بل لهم القدرة التأثير في المجتمع ، في فكره . واتجاهه وروحياته ، كما فعل الآباء الأول ، حتى ليقال : عصر اثناسيوس ن عصر أنطونيوس . . يؤثران بقدوتهم ، أو بكتاباتهم التي يمتد تأثيرها إلى أجيال و أجيال . . ننتقل إلى نقطة أخرى و هي :

* * *

*القوة فى الكلمة و الخدمة و الكرازة :

الإنسان الروحى ، كل كلمة تخرج منى فمه تكون قوية وفعالة ، ولا ترجع فارغة ، بل تعمل عمل الرب (أش ٥٥ : ١١) . كلماته قوية فى تأثيرها على الآخرين ، وخدمته ملتهبة و مثمرة . بولس الرسول ، وهو أسير فى سلاسل أمام فيلكس الوالى ، حينما تحدث عن البر و الدينونة و التعفف ، ارتعب فيلكس (أع ٢٤ : ٢٥) . ولما تحدث أمام أغريباس " بقليل تقتنعى أن أصير مسيحيا " (أع ٢٦ : ٢٨) . ويعوزنا الوقت أن تحدثنا عن خدمة القديس بولس فوقوتها و انتشارها . وكذلك قوة الخدمة فى أيام الآباء الرسل . .

فى قوة خدمة الآباء ، ووقفنا المسيحية العزلاء أمام الامبراطورية الرومانية بكل سلطتها

• وفسوتها •

وأمام اليهود بكل دسائسهم وموامرتهم . ووقفت أمام فلسفات العصر . وبعظة واحدة من القديس بطرس إنضم إلى الإيمان ثلاثة آلاف ، نالوا نعمة العمداد فى نفس اليوم (أع ٢ ك ٤١) . وإنها قوة الروح القدس العاملة فى الكلمة . وبقوة (كو ١ : ٢٩) . إنه قوى فى شهادته للرب ، يقول مع داود النبى " تكلمت بشهادتك قدام الملوك ولم أخز " (مز ١١٩)

انواع الضعف أسبابها و علاجها

تحدثنا كثيرا عن القوة ، و عن أن الإنسان الروحي ينبغي أن يتصف بالقوة . . ومع ذلك لا ننكر أن هناك ضعفات .

حتى أن بعض الروحبيين - على الرغم من قوتهم العامة - توجد في حياتهم ضعفات . .

راينا هذا في حياة إيليا النبي العظيم (امل ١٩) ، وفي حياة داود النبي والملك (اصم ٢٥) ، (اصم ١١) . وأيضاً رأينا هذا الضعف في حياة شمشون الجبار (قض ١٦) ، وفي حياة سليمان الحكيم (امل ١١) ، وفي حياة بطرس الرسول (مت ٢٦) ، (غل ٢ : ١١) . . وغير هؤلاء كثيرين .

ما هي إذن أنواع الضعف ؟ وكيف نتخلص منه ؟ وما هي نظرتنا إلى الضعفاء ، وما أسلوب معاملتنا لهم ؟

أنواع من الضعف

١- قد يوجد عند إنسان ضعف ، لا ذنب له فيه .

مثال ذلك ضعف وصل إليه عن طريق الوراثة ، سواء في جسده ، أو في قواه العقلية . ولد بصحة ضعيفة ، أو في مستوى اجتماعي ضعيف ، أو شاء الله له هذا ، كما قال عن المولود أعمى " لا هذا أخطأ و لا أبواه ، ولكن لتظهر أعمال الله فيه " (يو ٩ : ٣)
ضعف الجسد قد يقاسى الإنسان الروحي منه أيضاً . وعن ذلك قال الرب لتلاميذ في بستان جنسيمانى " أما الروح فنشيط . وأما الجسد فضعيف " (مت ٢٦ : ٤١) . وقد يقف ضعف الجسد عائقاً أمام بعض الممارسات الروحية . و على الإنسان الروحي ألا يتضايق من هذا ، إنما يعمل ما يستطيعه على قدر ما يحتمل جسده . المهم أن تكون روحه قوية وصالحة . .
* * *

٢- وقد يوجد إنسان أعصابه ضعيفة :

وهو من هذه الناحية ضعيف احتمال ، يثور ويغضب بسرعة ، ويحتاج إلى إنسان قوى ليحتمله . . كما قال الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات الضعفاء " (رو ١٥ : ١) . وإذن الإنسان القوى هو الذى يستطيع أن يحتمل . أما الغضوب الذى يخطئ إلى غيره في غضبه ، فهو الضعيف . .

على أن هذا الغضوب يلزمه أن يعالج الضعف الذى فيه فيه ، أعنى الغضب .

وذلك بأن يبعد عن أسباب الغضب ، وعن المجاملات التى تجعله يقع في النرفزة يمارس تداريب روحية في البعد عن الغضب . يقوى أعصابه من الناحية الجسدية . يتأنى في تصرفاته وفي ثورته ، ويفكر في النتائج السيئة للغضب ن قبل أن يغضب . يقرأ كثيرا عن الودعاء و الهادين . و لا يترك نفسه إلى هذا الضعف . وليس مقبولا منه أن يقول " طبعى هكذا ! " فالمفروض أن ينتصر على طبعه .
* * *

٣- هناك نوع آخر من الناس ضعيف في إرادته •

ضعيف في تنفيذ ما يريده من الخير ، كما يقول الرسول بلسان هذا النوع " لست أفعل الصالح الذي أريده ، بل الشر الذي لست أريده ، إياه أفعل " " حينما أريد أن أفعل الحسنى ، أجد أن الشر حاضر عندي " (رو ٧ : ١٩ ، ٢١)

أو قد يكون هذا الإنسان ، من طيبة التردد ، فإرادته لا تستطيع أن تقرر ما ينبغي أن يفعله • وإن قرر شيئاً ، لا يستطيع أن يثبت ، تراودة أفكار أخرى • على أن هناك تداريب كثيرة لتقوية إرادة • ومنها أن يستشير أبا روحيا موثوقا به ، وينفذ ولا يبيطئ • ومنها تقوية الإرادة عن طريق الصوم ، وعن طريق التغصب ، وعن طريق الفهم السليم والاعتناع القوى • وإن كان خاضعا لعادة تسيطر عليه ، يقاومها بكل قوته ولا يستسلم لها ، لأن هذا الاستسلام يزيده ضعفا على ضعف ••

* * *

٤- إنسان آخر ينعبه ضعف إيمانه :

له إيمان نظري • ولكن هذا الإيمان من الناحية العملية يضعف • وإن تعرض لمشكلة ينهار أمامها ويخاف • ويدل خوفه على ضعف إيمانه في الله الذي يحفظه ويحميه • وبينما الإنسان القوى لا يضعف مطلقا ، و لا ينهار ولا يخاف أمام المشاكل • لقد خاف بنو إسرائيل أمام البحر الأحمر بسبب ضعف إيمانهم • أما موسى النبي فلم يخف ، بل كان إيمانه قويا ، وأدخل القوة في نفوس هؤلاء الضعفاء الخائفين • وقال لهم " لا تخافوا • قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم •• الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٣ ، ١٤) •

لذلك ، حاول أن تقوى إيمانك ••

اقرأ كثيراً عن الأشخاص الذين لهم إيمان قوى •• وقرأ عن تدخل الله في مشاكل و متاعب أولاده ، وعن آياته و معجزاته • وأن طلبت من الله طلباً ، لا يضعف إيمانك أن تأخرت استجابة صلاتك • بل ثق أن الله لا بد سيعمل ، ولا بد سيأتي لاتقاذك ولو في الأخير من الليل • في إحدى المرات ضعف إيمان بطرس الرسول ، وهو يمشي مع الرب فوق البحر لأنه نظر إلى الأمواج الشديدة ، ولم ينظر إلى الرب ، فخاف وصرخ • فأنقذه الرب ووبخه بقوله " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت ؟ " (مت ١٤ ك ٣١) • وإن ضعف إيمانك ، اصرخ إلى الرب مع ذلك الإنسان الذي قال :

" أؤمن برب ، فأعن عدم إيماني " (مر ٩ : ٢٤) .

* * *

٥- نوع آخر من الضعف هو ضعف النفسية .

ربما يوجد إنسان نفسيته ضعيفة ، من النوع الذي يسميه الكتاب " صغار النفوس " •• يمكن أن يقلق بسرعة و يضطرب وينهار ، ويشك • إنه لا يستطيع أن يحتمل ، و يحتاج باستمرار إلى من يسنده • وقد يكون كبيراً في السن ، و لكن له نفسية الصغار • فما هو موقفنا من أمثال هذا النوع الضعيف ؟

موقفنا من الضعفاء

إن كنت أنت ضعيفاً ، فلا تيأس من ضعفك • وإن رايت شخصاً ضعيفاً ، فلا تحتقر ضعفه ، هوذا الرسول يقول :

" شجعوا صغار النفوس • اسندوا الضعفاء • تأنوا على الجميع " (اتس ٥ : ١٤) •

افتحوا طاقة من رجاء ، لتضئ على الذين يسيرون فى الظلمة خائفين و مضطربين • حدثوهم عن الرجاء وعن عمل الروح القدس ، كيف أن الله يتدخل ولو فى آخر لحظة • احكوا لهم قصص الذين سقطوا وقاموا ، و صاروا من المنتصرين الغالبين •

الإنسان الروحى القوى ، لا يفتخر على الضعيف و لا يستصغره ، ولا يشهر به ، بل على العكس يقويه ، يمنحه من القوة التى فيه ، التى أعطاه الرب غياها • يسند الضعفاء الذين سقطوا ، و يعطيهم رجاء فى التوبة • ويذكرهم بأن " الصديق يسقط فى اليوم سبع مرات ويقوم " (أم ٢٤ : ١٦) •

* * *

إن الله نفسه يسند الضعفاء ، الذين كالأطفال • ويقول المزمور :

" حافظ الأطفال هو الرب " (مز ١١٦ : ٦)

وفى بعض الترجمات يقال " يحفظ البسطاء " • • مهما كانوا صغار النفوس • لقد قال الرب عن الزرع الذى قال الرب عن الزرع الذى يعطى ثمراً ثلاثين وستين ومائة ، إنه زرع جيد (مت ١٣ : ٢٣) • ونحن قد نعتبر أن الجيد هو الذى يعطى مائة ، و بالتجاوز الذى يعطى ستين • ولكن حنان الله على الضعفاء ، و اعتبر أن الذى يعطى ثلاثين فقط ، هو أيضاً زرع جيد • يكفى أنه يعطى ثمراً

حقاً إنه إله الضعفاء ، وإله المساكين •

كان يزور العشارين و الخطاة ، ويحضررو لائمهم ، ولم يحتقرهم مثلما احتقرهم الكتبة و الفريسيون بل دعا واحدا منهم هو متى و جعله رسولاً من الأثنى عشر • و دخل بيت زكا ، وقال : اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم (لو ١٩ : ٩) • وبعد القيامة ظهر أولاً لمريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين (مر ١٦ : ٩)

إن الله لم يقف ضد الضعفاء ، بل ضد المتكبرين •

لذلك يقول الكتاب إن " الله يقاوم المستكبرين " (يع ٤ : ٦) • إنه هو " المقيم المسكين من التراب ، و الرافع البائس من المزبلة ليجلس مع رؤساء شعبه " (مز ١١٢) • بل إن الرب يقول " إلى هذا أنظر إلى المسكين ، و المنسحق الروح ، و المرتعد من كلامى " (اش ٦٦ : ٢) • •

* * *

حقاً إن كل إنسان معرض للضعف •

وقد حكى لنا الكتاب سقطات للقدسيين ، وضعفات للرسل و الأنبياء • فالذى يحتقر سقطه الضعيف ، ما أسهل أن تقوى عليه حروب العدو فيسقط • وما اعلم نصيحة القديس بولس الرسول فى قوله " اذكروا المقيدون كأنكم مقيدون معهم ، و المذلون كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد " (عب ١٣ : ٣) • الإنسان الروحى لا يدين أخاه الضعيف ، بل يصلى لأجله •

يشفق عليه ، ويطلب له من الرب معونة • ويعرف أنه ليس كل إنسان يصل الى المستويات الروحية العالية • وليس الكل قد نالوا دفعة كبيرة من النعمة • و المواهب ليست واحدة ، " ونجم يمتاز عن نجم فى المجد " (اكو ١٥ : ٤١) •

معالجة الضعف

بعض نصائح نقولها للإنسان الضعيف الشاعر بضعفه :

١- ابعد عن مجال الخطبة التي تضعف ارادتك •

ابعد عن العثرات ، و عن كل الأسباب التي تقودك إلى الخطية ، و التي لا تقوى على مقاومتها •
ابعد عن كل تاثير سئ • ولا تضع في نفسك أنك أقوى من المحاربات • فقد قيل عن الخطية إنها " طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوىاء " (أم ٧ : ٢٦) • مادمت ضعيفا ، أعترف بضعفك ، و ابحت عن السبب ، و تجنبه ••

و نصيحة الابتعاد عن اسباب الخطية ، تضعها لك الكنيسة في أول صلاة باكر إذ تتلو المزمور الأول : " طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف ، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس " •

* * *

٢- اطلب القوة من الله • واجعل ضعفاتك مجالاً لصلواتك •

وكما قال المرتل فى المزمور " قوتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصا " (مز ١١٧) • وقال ايضاً " لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا ، لابتلعونا ونحن أحياء •• " (مز ١٢٣) • " إن لم يحرس الرب المدينة ، فباطلا سهر الحارس " (مز ١٢٦) • ويقول بولس الرسول " الجميع تركونى •• ولكن الرب وقف معى وقوانى " (٢تى ٤ : ١٦ ، ١٧) • اطلب إذن قوة من فوق •
وقل " معونتى من عند الرب الذى صنع السماء و الأرض " (مز ١٢٠) •

عمق صلاتك • فما أكثر الضعفاء الذين نالوا قوة بالصلاة ، و انتصروا و غنوا قائلين " الحرب للرب " (اصم ١٧ : ٤٧) ، " وليس لدى الرب مانع أن يخلص بالكثير أو بالقليل " (اصم ١٤ : ٦) •

* * *

٣- مهما كنت ضعيفا ، لا تياس •

لا تفقد الأمل مطلقا • لأن الياس يحطم النفس ، و يجعلك تستسلم ليد العدو ، و تستمر فى الخطأ •
كان لا فائدة من الجهاد !! ضع أمامك أمثلة كانت أسوأ من حالتك ، و خلصها الرب من خطاياها •
وشجع نفسك وقل : إن الله الذى خلص موسى الأسود ، ومريم القبطية ، وأوغسطينوس ، ومريم المجدلية •• لايد سيخلصنى أنا أيضاً •• ولكن ليس معنى هذا ، أن تركز إلى ضعفك و تستمر فيه ، معتمداً على معونة إلهية لايد ستصلك !! وإنما جاهد •

* * *

٤- جاهد بكل ما عندك من قوة ، مهما كانت ضئيلة •

واستمع إلى قول بولس الرسول وهو يوبخ العبرانيين قائلاً " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) • كل ما كان يملكه داود ن سلاح ، هو مجرد حصاة وضعها فى مقلاعه ، وتقدم إلى الصف ، و الرب هزم به جليات الجبار (اصم ١٧ : ٤٨ ، ٤٩) •
إن جهادك - مهما كنت ضعيفاً - يدل على رفضك للخطية ، و رغبتك فى التخلص منها • وهو فى حد ذاته طلب إلى النعمة أن تتقدم •

* * *

٥- ركز على مقاومة الخطايا الثابتة المتكررة *

لأنها هي نقط الضعف التي فيك ، هذه التي تكررهما في كل اعتراف ، وتشكو منها باستمرار ، ركز على هذه بالذات ، بتدريب مستمرة لمقاومتها ، وبأن تغضب نفسك على ذاتك ، بل و تعاقب نفسك في كل سقوط ، و توبخها ، طالبا معونة الرب ،
* * *

٦- تجديد الذهن ، للوصول إلى فهم سليم *

يقول القديس بولس الرسول " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو ١٢ : ٢) ، وهذا يعني أن تتغير نظرتك الى الأمور التي تخطئ فيها ، بتجديد ذهنك ، فكثيرون يسقطون بسبب فهم خاطئ لمعنى القوة ، أو لمعنى الكرامة ، أو بسبب فهم خاطئ لمعنى الحرية ، الخ ، هؤلاء جميعا يحتاجون إلى تجديد الذهن ، يحتاجون إلى فهم سليم لحقيقة القوة و الكرامة و الحرية ، وهذا الفهم الجديد و الاقتناع به ويحفظهم من السقوط ،

٧- يزول ضعفك ، إذا دخلت محبة الله في قلبك :

أنت تضعف أمام الخطية ، إذا كنت تحب الخطية أكثر مما تحب الله ووصاياها ، فإن دخلت محبة إلى قلبك ، ستطرد محبة الخطايا من داخلك ، وهكذا تصبح قويا في مقاومة كل إغراء ، وصدق ذلك القديس الذي قال إن التوبة هي استبدال شهوة بشهوة ، أى أن شهوة الروح تحل محل شهوة الجسد ، ومحبة الله ، و عاشر الذين يحبونه ، اقرأ عن الذين أحبوه ، و تمثل بهم ،

٨- تذكر أن ضعفاء كثيرين ، صاروا أقوياء و قديسين *

بطرس الرسول الذي خاف وضعف أمام جارية ، وانكر المسيح (مت ٢٦ : ٦٩ - ٧٥) ، هو نفسه الذي وقف في قوة أمام رئيس كهنة اليهود ، وقال له " ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢٩) ، وقال للرؤساء و الشيوخ و الكهنة " إن كان حقا أمام الله ان نسمع لكم أكثر من الله ، فاحكموا !! لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا " (أع ٤ : ١٩ : ٢٠) ،

٩- كلما ضعفت ، تذكر نعمة الله العاملة **

النعمة القادرة أن تقوبك ، لذلك تذكر قول القديس بولس الرسول " ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً " (رو ٥ : ٢٠) ، تزداد النعمة لتحريك من الخطية ، و تذكر أيضاً قول الرسول " لأني حينما أنا ضعيف ، فحينئذ أنا قوى " (٢ كو ١٢ : ١٠) ، ضعيف بذاتي ، ولكن قوى بنعمة الله العاملة معي ، التي تقويني ،

١٠- اعلم أن الله دائماً مع الضعفاء **

لقد اختار ضعفاء العالم ، ليخزي بهم الأقوياء (١ كو ١ : ٢٧) ، في هؤلاء تظهر قوته ، ولذلك اتذكر اننى كتبت مرة في مذكراتي " قال الشيطان لله : اترك لى يا رب الأقوياء ، فإننى كفيل بهم ، أما الضعفاء فلا أقدر عليهم ، إذا فى شعورهم بضعفهم يلجأون إليك ، ويحاربوننى بقوتك " ،

الباب السادس

الإنسان الروحي:

لا يعتمد

على ذمراعه البشرية

كما بالغ البعض فى أهمية النعمة ، حتى اهلوا جانب الجهاد و العمل ، كذلك بالغ البعض فى أهمية العمل و الجهاد ، حتى تجاهلوا أهمية يد الله فى حياتهم ! و اعتمدوا فى روحياتهم على ذراعهم البشرى .

أما الإنسان الروحى فىؤمن فى أعماق بخطورة الاعتماد على ذراعه البشرى . إنه يبذل كل جهده ، ولكنه لا يعتمد على جهده ، بل على عمل الله فيه (وكما قال المرتل فى المزمور :

إن لم يببن الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون وإن لم يحرس الرب المدينة ، فباطل هو سهر

الحراس .

* * *

حقاً إن كل عمل يعمل الإنسان وحده ، دون أن يشترك الله فيه ، لابد سيكون مصيره إلى المجد الباطل و افتخار الذات . أما العمل الذى تشعر أن الله هو الذى عمل فيه ، وهو بنعمته قد منحك القوة لاتمامه ، أنك كنت مجرد أداة فى يديه الإلهيتين . فإن هذا العمل هو الذى يكون لتمجيد الله

وتسبيحه وشكره . و تختفى الذات فى هذا العمل الإلهى ، ويظهر الله وحده .

ولذلك عليك أن تدخل الله فى عملك ، لأنه يقول " بدونى لا تقدر أن تعملوا شيئاً " . إياك أن تعمل وحدك ، وبدون الله ! فإنك ستنب النجاح إلى عزيمتك ، وإلى نجاحك فى تداريبك . و هكذا تتركز ذاتك و يختفى الله !!

* * *

لا شك ان هناك أعمالاً يعملها الله كلها ، دون أى تدخل للعامل البشرى فيها و سنضرب لذلك أمثله :

+معجزات إقامة الموتى : واضح فيها أن الميت لم يقم ذاته ، وإنما الرب قد أقامه ، لا دخل للقوة البشرية هنا . وأنت أيضاً ميت أيضاً بالخطية ، وقد أقامك المسيح . و مثال آخر الامراض المستعصية التى كانت ترمز للخطية ، مثل مرض الأبرص ، وصاحب اليد اليابسة ، و المفلوج ، و الأشل ، و المقعد ، و الأعمى . كلهم قد شفاهم الرب بغير ذراعهم البشرى . لذلك فالإنسان الروحى يقول : " اعتبرنى يا رب مثل الميت ، الذى لا يقدر على إقامة نفسه ، ومثل الأبرص الذى لا

يستطيع تطهير ذاته " .

أنت يا رب الذى تقدر أن تقيم الميت ، وتشفى الأبرص . أنت يا رب عملت مع كثيرين كانوا فاقدى القدرة ، ولم يقووا على تخليص نفوسهم ، وأنت قد خلصتهم . مثال ذلك أبونا اسحق . لقد وضع على الحطب فوق المذبح ، وأعدت النار ، و ارتفعت السكين فوقه . ولكنك أنت الذى تدخلت فى اللحظة الحاسمة ، وأنقذت اسحق .

* * *

الإنسان الروحى يذكر أيضاً مثال العاقر . التى لم تستطع من ذاتها أن تنجب ولكنها بنعمة الله صارت مثمرة أكثر من الجميع (أش ٥٤) . ويقول للرب : أنت الذى فتحت رحمها المغلق ، وقلت لها فى رفق " ترمنى أيتها العاقر التى لم تلد . لأنك تمتدين على اليمين وإلى اليسار . و يرث نسلك معاً ، و يعمر مدنا خربه . لحيزة تركتك ن وبمراحم عظيمة سأجمعك " (اش ٥٤) .

نعم إن نفسك قد تكون عاقراً ، لم تنجب من ذاتها فضيلة واحدة . ولكنها بالروح القدس

سيكون لها بنون كثيرون ، وبارك الله بنبيها فيها .

ولكنها بدون روح الرب ، تنجب ، و لن تثمر ، و إن تثمر ، إن " البنين ميراث من الرب " كما قال الكتاب .
وهو وحده الذى يستطيع أن يفتح رحم العاقر ، كما فعل مع سارة ، ورفقه وراحيل وحنّة و
اليصابات .

اعتبر نفسك مثل " الميت الذى لايقدر على القيامة من ذاته ، وكالأرض الذى يحتاج إلى الرب
لتطهيره ، وكالعاقر التى من ذاتها لا تلد ، بل الرب يفتح رحمها ، فاطلب الرب إذن من كل قلبك .
* * *

انظر شمشون ، فى اعتماده على قوته ، واعتماده على الرب .

ما مصير قوته البشرية الجبارة ، التى استطاعت أن تخلع باب المدينة ، ة تقتل الأسد ، و تخيف
الناس . . لقد انتهى بها الأمر إلى الضياع . فقبض الأعداء على شمشون وفاقأوا عينيه ، جعلوه
يجر الطاحون كالحيوان . ولكنه أخيراً عندما قال " يا سيدى الرب ، اذكرنى ، وشددنى هذه المرة
فقط ، فانتقم نقمة واحدة عن عيني " (قض ١٦ : ٢٨) ، عندئذ أعطاه الرب قوة ، فكان الذين
أماتهم فى تلك المرة ، أكثر من الذين أماتهم طول حياته . . لأن يد الرب عملت معه .
* * *

اطلب إذن تدخل الرب فى حياتك . ولكن ليس معنى هذا أن تنام و تكسل ، و تطلب الرب . ولكن

جاهد بكل قدرتك ، دون أن تعتمد على هذه القدرة وحدها ، لأنها بدون الرب لا تستطيع شيئاً .
اعمل . ولكن لا تعمل وحدك . لا تعتمد على ذراعك البشرى ، وعلى قوتك وذكائك وتقواك .
اعرف أنك بدون الله لا يمكن أن تنجح . وإن نجحت ، يكون نجاحك فشلاً ، لأنه سيصير طعاماً
للذاتية و المجد الباطل .
* * *

+تعجبني عبارة قالها بطرس الرسول ، عندما شفى الله على يديه الرجل المقعد عند باب الهيكل ، و
التف الناس مندھشين حول بطرس ويوحنا ، حينئذ قال لهم بطرس :

" ما بالكم تتعجبون من هذا ؟ ولماذا تشخصون إلينا ، كأننا بقوتنا أو بتقوانا جعلنا هذا

يمشى ؟ إن إله ابراهيم واسحق ويعقوب ، إله آبائنا مجد فتاة يسوع . . " (أم ٣ : ١٣)
+لقد قال بطرس هذا الكلام ، لأنه جرب الذراع البشرى من قبل ، ولم ينتفع شيئاً : على الأقل فى
حادثتين هامتين :

الأول فى صيد السمك : لقد سهر الليل كله ، بكل ما عنده من فن فى لاصيد ، و من خبرة و قدرة .
و كانت نتيجة ذلك للرب : **تعبنا الليل كله ، ولم نصطد شيئاً .**

ولكنه ، عندما دخل الرب فى سفينته ، وعندما أرشده أين يلقي الشبكة و ألقاها حسب مشيئته فى
الأعماق ، حينئذ ات بصيد كثير ، حتى كادت تتحرق .
و الخبرة الثانية التى اختبرها التى اختبرها بطرس كانت فى حادثة انكاره للمسيح . لقد اعتمد على
ذاته كثيراً ، و على محبته للرب ، وعلى تصميماته : قال للرب : لو أنكرك الجميع ، فأنا لا أنكرك
. . ولو أدى الأمر أن أموت معك . .

ولكن بطرس المعتمد على ذاته ، انكر المسيح أمام جارية .

لم تنفعه نيته الطيبة و لا عزمته ، ولا مجرد محبته ، ولا تصميماته ، و لا حماسته التى قطع بها
أذن العبد . .

ليته حول تصميماته إلى صلاة . لبتة قال : اعطنى يا رب أنا الضعيف قوة لكى لا أنكرك ، قوة
استطيع بها — إذا ما غربلتى الشيطان — أن صمد . .
* * *

كثيرون يجاهدون بمفردهم ، يتعبون ، ويفكرون ، ويدبرون ، ويخططون لحياتهم الروحية ، دون أن يعنوا بادخال الرب معهم •

ساضرب لكم أمثلة أراد الله بها اثبات فشل الذات فى كافة مواهبها ونواحي قوتها • شمشون الذى فقئت عيناه و هو مثال لفشل الذراع البشرى فى القوة ، وسليمان الذى بخر للصنام مثال لفشل الذراع البشرى فى الحكمة ، وداود الذى زنى وقتل مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من كثرة مواهبه • و بطرس الرسول فى إنكاره للسيد المسيح مثال الذراع البشرى على الرغم من حماسة و غيرته و إخلاصه • و بطرس الذى سهر الليل كله ولم يصطد شيئاً مثال لفشل الذراع البشرى على الرغم من خبرته و فنه •

* * *

لذلك إذ عرفت فشل الذراع البشرى ، فى كل قوته ، وحكمته ، مواهبه ، وحماسه وغيرته ، وفنه و خبرته •• إن عرفت هذا ، لا تعش مستقلاً عن الله ، ولا تجاهد بغير معونته •

ادخل الله معك فى الصغيرة و الكبيرة ••

كثيرون يطلبون الله فقط فى الأمور الخطيرة ، أما الأمور الصغيرة فيثقون بقوتهم فيها ، وفيها يفشلون ويسقطون • لهذا يهتم الشيطان بهذه الأمور الصغيرة ويركز عليها ليسقطهم بها •

ولذلك يحذر القديسون من شيطان يسمى " شيطان الأمور الصغيرة "

من أجل هذا قال النشيد " خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم " • أما أنت فادخل الرب حتى فى الصغائر • لا تثق بقوتك ، مهما بدا لك الأمر تافها • كثير من القديسين سقطوا فى خطايا ظنوها " خطايا المبتدئين " • أما أنت فلا تحتقر خطية معينة ، ولا يظن أن هناك خطية تافهة لا تحتاج إلى معونة من الرب • اطلب الرب باستمرار ليعمل معك فى كل أمر ، صعباً كان أم سهلاً •

لا تنقل هذا الأمر سهل ، اعمله بنفسى • ذاك أمر صعب ، احتاج فيه إلى معونة إلهية ، فالأمر السهل هو الذى يقف فيه الله معك ، و إلا صار صعباً • و الأمر الصعب هو الذى تعمله وحدك بدون الله مهما بدا سهلاً •

* * *

تعجبني قصة خيالية قيلت عن فلان نوم • كان فيه ثمانية أفراد : نوم وزوجته ، وأولاده الثلاثة وزوجاتهم الثلاثة •• ولكن ••

قيل أن هناك تاسعا كان فى الفلك ، وكان يدير دفتنه •• ولولاه ما خلاص الفلك • هذا التاسع هو الله

نعم ، هل يعقل أن يكون نوم قد دخل الفلك دون أن يدخل الله معه ؟!

لاشك أن العناية الإلهية هى التى تقودنا • بدونها لا يمكن لذراعنا البشرى أن يعمل •• نحن نغرس ، ونسقى • ولكن الله هو الذى ينمى • إذن ليس الغرس شيئاً ، ولا الساقى ، بل الله الذى ينمى • (١كو ٣ : ٩٧ •

لوط لو لم ينقذه الملاك ، لهلك فى سدوم •• لقد امسكاً بيديه ، وكانا يدفعانه عندما يتوانى ، و يعجلان بخروجه ••

دانيال لو لم يرسل الله ملاكه ليسد أفواه السود ، لضاع فى الجب • ولولا ملك الله لبقى بطرس فى السجن •

لذلك لا تركز تفكيرك فى ذاتك، وفى مواهبك وقدرتك وفهمك، وفى إرادتك و عزيمتك و

تدابيرك، و خبرتك و طهارتك • خف جداً لئلا تكون معتمداً على ذراع بشرى ••

جاهد ، ولكن ليس بمفردك •• واعمل ، ولا يعتمد على عمك • وفكر ، ولكن " على فهمك لا تعتمد " انظر الى لمبات الكهرباء : قد تكون قوية و جميلة ، ومن أجود الأصناف ، وكذلك أسلاكها جيدة ، وتوصيلاتها سليمة • ولكن إن لم يسر فيها التيار ، فلن تضىء ، كذلك أنت •• هناك آية أحب أن تضعها أمامك باستمرار ، كشعار و هى :

"إن لم بين الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون • وإن لم يحرس الرب المدينة ، فباطلاً سهر

الحارس " (مز ١٢٧ : ١) •

صحيح يجب أن تعمل مع الله • هو يبني • وأنت تناوله الطوب و الحجارة و المونة ، أو أنت تكون حجرا صالحا فى يديه • ولكن لا تظن أنك أنت الذى تبني حياتك ، وحدك ، بدونه ، استمع إلى بولس الرسول ، هو يقول " استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " •

إنه يستطيع كل شئ ، ولكن ليس وحده ، بل فى المسيح الذى يقويه • وإن لم يقوه المسيح ، لن

يستطيع شيئاً •

لذلك نحن فى الترتيلة نقول له " امسك يدي وقدنى " • قل له يا رب أنا بدونك لا استطيع شيئاً • قدنى ارشدنى • " علمنى يا رب طرقك ن فهمنى سبلك " ، " افتح عينى الغلام ليرى " اعطنى القوة و المعونة • اعمل فى ضعفى •

* * *

كلمة جميلة قالها المسيح لتلاميذه الذين دربهم بنفسه : " لا تبرحوا اورشليم ، حتى تلبسوا قوة من الأعلى " ••

وماذا عن كل خبراتنا و معرفتنا وروحياتنا ؟ أو ماذا عن تلمذتنا الطويلة ، لك أنت ؟ •• لا تعتمدوا على ذواتكم • انتظروا موعد الأب انتظروا حتى تلبسوا قوة من الأعلى •• " ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، و حينئذ تكونون لى سهوداً حينئذ ، وليس قبل •• هكذا أنت ، لا تعمل إلا بعد أن تناول قوة من فوق • اسع وراء هذه القوة ، بكل ضعفك ، بكل صلواتك وتصرفاتك ، و حينئذ تشهد له ••

إذن ليس بذراعك البشرى ، حتى لو كنت رسولا ومن الأثنى عشر ، بل بالقوة التى تلبسها من الأعلى • ليس بقوتك ، ولا بتقواك ، بل باسم يسوع المسيح ، يمكن لهذا المقعد أن يمشى • إن لم بين الرب البيت ، فباطلاً تعب البناءون •

كل خطية تقابلك ، قل لها " أنا أتيك باسم رب الجنود " مثلما قال داود لجليات • ادخل إلى الرب فى المعركة ، لأن الحرب للرب • تأكد أن الرب يحارب معك • وإن لم تشعر به ، صارعه حتى الفجر ، وقل له لا أتركك حتى تذهب معى و إن لم تذهب معى فلن أحارب ولن اذهب مثلما قال القائد باراق لدبورة النبية (قص ٤ : ٨)

كن كالبيت المبنى على الصخر ، " و الصخرة كانت المسيح " ، و حينئذ لا تسقط • و لا تبين بيتك على ذاتك ، لأن ذاتك تراب ورماد و البيت المبنى على التراب يكون سقوطه عظيماً ••

* * *

ملائكة الكنائس السبع كانوا فى يمين المسيح " (رؤ ٢) • فى يمين الرب التى صنعت قوة (مز ١١٧) كن أنت أيضاً فى يد الله • كن كالطفل الذى يسير فى الطريق مطمئناً ، لأن أباه ممسك بيده • قل له " لا تتركنى يا رب لذاتى و ذكائى امسك بيده " • " أه يا رب لو انفرد بى عقلى و ذكائى بعيدا عنك " إذن لكنت هلكت !!

هوذا الرسول يقول " لا تستكبر ، بل خف " (رو ١١ : ٢٠) • إن خفت ، قل له " إن سرت فى وداى ظل الموت ، لا أخاف شيئاً ، لأنك أنت معى • عطاك و عكازك هما يعزياننى " (مز ٢٣) •

هذا هو الإنسان الروحي ، الذي يسير في طريقه المقدس ، معتمداً على قوة الله التي تستده ، و التي ترشده ، و النى تحميه ، و التي تعمل فيه ..
لا يعتمد اطلاقاً على ذراعه البشرى .. و لا أى ذراع بشرى ، بعيداً عن الله ..

الباب السابع

الإنسان الروحي في:

مفهوم الراحة و التعب

هناك أنواع كثيرة من الراحة

راحة الجسد ، وراحة النفس ، وراحة الفكر ، وراحة الضمير ، وراحة الروح .. وراحة من المشاكل

و هناك راحة حقيقية ، وراحة زائفة ، وأو خاطئة ..

وقد يوجد إنسان ، راحته فى هواية معينة ، فى لون من الرياضة مثلا ، أو فى أحد الفنون كالرسم أو الموسيقى أو الشعر ، أو يجد راحته فى القراءة ، أو فى تسلية ما محل الألغاز .. وليس فى هذا كله شئ خاطئ ، مادامت وسيلة سليمة . ولكنه مع ذلك ليس هو الراحة الحقيقية .
و البعض قد يجد راحته فى المتعة مع الصداق و الصحاب و المعارف ، بروح الأسرة الواحدة ، بأسلوب اجتماعى ، يتسامرون و يتسلون ، أو يتعاونون معاً فى العمل عام . و هذا لون سليم من الراحة ، مادام لاخطأ فيه . ولكنه مستوى معين من الراحة ، يوجد ما هو أعلى منه .
* * *

و هناك راحة زائفة ، وراحة خاطئة

لقد استراح آخاب الملك حينما استطاع أن يدبر مؤامرة ظالمة استولى بها على حقل نابوت اليزرعيلى ، وساعدته فى ذلك زوجته ايزابل ، إذ أرادت أن تحقق له رغبته ، ولو بجملته من الخطايا ولم يسترح الاتنان ، إذ أرسل الله إيليا النبى إلى آخاب ليقول له " فى المكان الذى لحست فيه الكلام دم نابوت اليزرعيلى ، تلحس الكلام دمك أنت أيضاً " (امل ٢١ : ١٩) . و هكذا حدث لزوجته أيضاً (٢مل ٩ : ٣٦) .
* * *

وقد يظن إنسان أنه يبريم نفسه بالتدخين أو الخمر :

أو بتعاطى بعض المخدرات . وقد يصل الأمر به فى كل ذلك إلى الإدمان . وهو لا يدري أن السجائر أو الخمر لا تحل له مشكلة ، بل هى مشكلة أخرى تضاف إلى مشاكله . و المخدرات إنما تتيهه عن نفسه فينسى مشاكله إلى حين . ولكن هذه المشاكل تظل باقية بلا حل ، تضاف إليها مشكلة أخطر و هى تعاطى المخدرات ..

وإنسان آخر قد يبرى راحته فى تحقيق شهوة معينة :

كأن ينتقم لنفسه ممن أهانه أو اساء عليه ، ويرد الكلمة بكلمتين ، و عندئذ يستريح !! كذلك إن استطاع أن يهزم منافسه .. وكلها راحة زائفة و خاطئة ..
ذلك قد يشعر براحة داخلية ، من يحقق لنفسه شهوة فى العظمة ، أو الفتية والامتلاك ، أو شهوة جسدية ، أو قضاء الوقت فى الهو وعبث ..!! أو ممارسة باقى عاداته الخاطئة .. ويكون فى كل ذلك قد أهلك نفسه ..
* * *

مادام الأمر هكذا ، فلنبحث عن الراحة الحقيقية وكيف تكون :

أول ذكر للراحة فى الكتاب المقدس هو الآية التى تقول : " فاستراح الله فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل . وبارك الله اليوم السابع و قدسه ، لأنه فيه استراح من كل عمله الذى عمل الله خالقاً " (تك ٢ : ٢ ، ٣) .. و هنا نجد راحة مصحوبة بالبركة و التقديس ، وتقدم لنا مبدأ هاماً

وهو : الراحة المقدسة فى اتمام عمل طالم :

لأن الله نظر إلى كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً (تك ١ : ٢١) ، فاستراح لذلك ..
وبنفس الوضع نجد راحة أخرى فى إتمام عمل الفداء ، حينما قال وهو على الصليب " قد أكمل " (يو ١٩ : ٣٠) . وأيضاً وجد راحته فى قوله للآب :

" العمل الذي أعطى بنى لأعمل ، قد أكملته " (يو ١٧ : ٤) •

والإنسان الروحي يستريح فى أعماقه من الداخل ، حينما يمكنه أن يكمل كل عمل صالح يعهد به إليه ، و حينما يكمل خدمته • مثلما قال القديس بولس الرسول : " إنى الآن اسكب سكبى ، ووقت انحلالى قد حضر • جاهدت الجهاد الحسن ، اكملت السعى ، حفظت الإيمان • وأخيراً قد وضع لى أكيل البر ، الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الديان العادل " (٢تى ٤ : ٦ - ٨) •
لقد استراح السيد المسيح ، حينما اكمل عمل الفداء ، وأصد من الجحيم الراقدين على رجاء ، وفتح لهم باب الفردوس • ثم هزم الموت بقيامته فى فجر الأحد •
* * *

لهذا نقدر يوم الأحد ، ونعتبره يوم الرب ، يوم الراحة الحقيقية •

لأن فيه أراح الرب البشرية من عقوبة الخطية ، ومن الموت • واصبح بقيامته باكورة الراقدين (١كو ١٥ : ٢٠ ، ٢٣) • وهناك نستريح فى يوم الأحد •• كان يوم السبت هو اليوم الذى استراح فيه الله خالقا • ويوم الأحد هو الذى استراح فيه فاديا و مخلصا ••

والراحة فيه ليست مجرد راحة الجسد ، إنما راحة الروم أيضاً •

فالإنسان الروحي يجد راحته فى هذا اليوم ، فى بيت الله ، فى القداس الإلهى بألحانه وبركاته ، وفى الاستماع إلى القراءات المقدسة و العظة ، وفى تناول من الأسرار الإلهية • ويجد راحته فيما يقوم به من خدمة فى يوم الرب هذا • وبهذا كله ترتاح روحه ، ولا يشعر بتعب فيما يبذله من مجهود ويذكر ما قاله القديس يوحنا الرسول فى مقدمة سفر الرؤيا :

" كنت فى الروم فى يوم الرب " (رؤ ١ : ١٠) •

لاشك أنه حينما كان فى الروح ، كان يجد راحة قلبية ، تنسيه الضيقة ، و النفى فى جزيرة بطمس ، و ترشحه لتلك الرؤيا الإلهية العجيبة التى رآها ••
الراحة فى يوم الرب ، ليس معناها الكسل أو الخمول ، وليس معناها أن الإنسان لا يعمل أى عمل على الإطلاق ، كما كان يفهم الفريسيون من وصية الرب (تث ٥ : ١٣ ، ١٤) • فوصية الرب كانت خاصة بالامتناع عن العمل العالمى ، وليس عن العمل الروحي •• إذن كان يحل عمل الخير فى السبت (مت ١٢ : ١٢) •

* * *

أرواحنا تستريح فى الله • والله يستريح فى ارواحنا •

كما قال فى المزمور " ههنا موضع راحتى إلى أبد الآبد • ههنا أسكن لأنى اشتهيته " (مز ١٣٢ : ١٤) • الله حقا يستريح فى القلب الطاهر • يستريح فى قديسيه ، وأيضاً يتمجد فيهم (٢تس ١ : ١٠) • و الإنسان الروحي كما يرتاح الله فيه ، كذلك :

* * *

الإنسان الروحي يجد راحته فى إراحة الآخرين :

إنه يشعر بلذة وراحه ، كلما أراح غيره • يستريح قلبه و تستريح روحه فى كل عمل محبة يقوم به نحو الآخرين • يجد راحة قلبية ، حينما ينقذ مسكينا ، أو يحسن إلى فقير ، أو يعطف على يتيم ، أو يحل مشكلة إنسان فى ضيقة ، أو يعزى حزينا •• ويجد راحة فى الخدمة الروحية التى يقوم بها ، مهما كلفته من مجهود ••

* * *

راحة الروم تجعله لا يشعر بتعب الجسد

عامل الإطفاء مثلا يخاطر بالقاء نفسه وسط النار و الدخان ، ويشعر براحة كبيرة كلما أنقذ إنسان من الحريق . وكذلك من يتعب لينقذ شخصاً من الغرق . كذلك من يبذل كل جهده ، ليرد خاطئاً عن طريق ضلاله ، فينقذ نفساً من الموت ، ويستتر كثرة من خطايا " (يع ٥ : ٢٠) . كل تعبته في الافتقاد ، وفي الحوار و الإقناع ، وفي احتمال هذا الخاطئ ، كل هذا التعب لا يشعر به ، بل بالحرى يجد فيه لذة إن أمكنه أن يخلص نفسه . و بهذا يشعر براحة كبيرة .

* * *

لاشك أن أكبر راحة شعر بها المسيح ، كانت على الصليب

وسط آلام الصلب المبرحة ، كان يشعر براحة لا يعبر عنها ، في تخلص البشرية من حكم الموت ، وفي إرضاء العدل الإلهي ، وفي بذل نفسه كمحرقة وذبيحة خطية لعداء البشر جميعاً . راحة مؤسسة على الألم ، الذي احتمله بسبب الحب .

ولعل نفس الراحة ، شعر بها الشهداء ، و القياس مع الفارق

وسط عذاباتهم وآلامهم ، كانوا يشعرون براحة ، إذ هم على وشك الالتقاء بالرب في الفردوس ، و التخلص من رباط الجسد و المادة ، والانتقال إلى كورة الأحياء ومجمع القديسين وهكذا أيضاً ، وكل من احتمل آلاماً لأجل المسيح . و هكذا قيل عن الآباء الرسل القديسين ، بعد جلدهم " وأما هم فذهبوا فرحين ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه " (أع ٥ : ٤١)

وهكذا الأب و الأم يشعران براحة من كل تعبهما من أجل تربية أولادهما

مهما بذلا من جهد جسدي في العناية بهؤلاء الأطفال ، مهما احتملا من تعب في سهر الليل ، وفي العناية بصحة هؤلاء الأطفال و نظافتهم ، وفي الاهتمام بتعليمهم والافتقار عليهم . في كل ذلك يشعران براحة . كما تشعر الأم براحة و هي تحمل جنيناً في أحشائها ، لأن الله وهبها ابناً ، مهما كانت متاعب الحبل و الولادة . . .

* * *

إن الراحة ليست هي مجرد راحة الجسد ، إنما هي راحة الضمير أيضاً

و الضمير يرتاح حينما يؤدي رسالته ، وحينما يقوم بواجبه ، ويكلمه على أحسن وجه ، ولا يهتم إطلاقاً بتعب جسده في سبيل إكمال عمله ، وتحقيق هدفه الصالح . وكلما كانت آماله عالية ، كلما تعب بالأكثر ، ووجد راحة في تعبته . وكما قال الشاعر :

كلما كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجساد

بعكس ذلك الذي يستريح جسدياً ، ويتعب ضميره

كالإنسان الذي يكسل و لا يذهب إلى الكنيسة أو إلى الخدمة ، بحجة حاجة جسده الى الراحة . هذا الإنسان يستريح جسده ، ولكن ضميره يتعب . أو الخادم الذي يكسل في افتقاد مخدميه ، أو بحجة تعب الجسد يقصر في زيارة مريض ، أو في الذهاب لتعزية حزين ، هذا يريح جسده بينما يتعب ضميره .

كذلك التلميذ الذي لا يذاكر ، ويمتع جسده بالهوا و الراحة ، تتعب نفسيته فيما بعد حينما يفشل في امتحاناته ، ويتعب ضميره لتقصيره في واجباته . وبالمثل كل إنسان يهمل عمله ، ويركن إلى الراحة ، فيفشل أولاً يخطئ برضى رؤسائه . . .

* * *

تعب الإحتمال أيضاً فيه راحة للروم

تعب النفس في تحويل الخد الآخر ، وفي مشى الميل الثاني ، و في الصبر على من يخاصمك ، ويأخذ ثوبك فتترك له الرداء أيضاً . وفي عدم مقاومة الشر (مت ٥ : ٣٩ - ٤١) كل هذه

الألوان من الاحتمال ، حتى إن تعبت فيها النفس ، ولو فى أول الطريق ، إلا أن الضمير يرتاح لأنه نفذ الوصية .

• كذلك الذى يسهر الليل فى الصلاة •

ويقوم فى نصف الليل ، ليسبح الله على أحكام عدله . و تسبق عيناه وقت السحر ، ليتلو فى جميع أقواله (مز ١١٩) . هذا تجد روحه راحة بكل تعب الجسد . وكذلك تجد راحة فى جهاده ومصارعته لقوى الروحية (أف ٦) ، و الصبر إلى المنتهى حتى يخلص (مت ٢٤ : ١٣) .
* * *

• ومع كل ذلك ، لم يحرمننا الله من راحة الجسد •

فمنحنا يوم السبت (الأحد حالياً) نستريح فيه ، جسدياً وروحياً . لأن الله الذى خلق أجسادنا ، يعرف أن هذا الجسد يحتاج إلى راحة يوم كل أسبوع . ولذلك قال الرب : " ليست إنما جعل لأجل الإنسان . وليس الإنسان لأجل السبت " (مر ٢ : ٢٧) .
من حقه إذن ، بل من واجبك ، أن تريح جسدك من الإرهاق ، ومن المرض . و تعطية حاجته من النوم . و لا تسبب له أمراضاً بإهمالك فى القواعد الصحية . وأيضاً تعطيه كفافه من الغذاء .
ولكن . . .

* * *

• ولكن لا تكون راحة جسدك على حساب تعب روحك •

أنت " تقيت جسدك وتربيته " (أف ٥ : ٢٩) . ولكن فى نفس الوقت " تقمع جسدك و تستعبده " (١كو ٩ : ٢٧) ، ولا تجعله يتمرد على الروح . تعطى الجسد غذاءه ، ولا تعطيه شهواته . تعطية النوم للراحة ، ولكن توظفه للصلاة ، لكى تستريح الروح أيضاً . و هكذا فإن الإنسان الروحي يحفظ ميزان الراحة بين الجسد و الروح .
كثير من الناس يرهقون أجسادهم أزيد من احتمالهم ، فترهق أعصابهم أيضاً . وقد يخطئون بسبب أعصابهم المرهقة ، و تتعب أرواحهم بذلك . والأمر يحتاج إلى حكمة و إفراز .
* * *

• وفى إراحة جسدك ، ابعده عن الخطاء النفسية التى تتعبه •

فالعصب و النزفة من أمراض النفس ، ويتعب الجسد أيضاً . و كذلك الاضطراب و القلب و حمل الهم و الكآبة الزائدة ، كلها متاعب فى النفس ، تسبب تعباً للجسد أيضاً وقد قال الرب فى علاج ذلك " لا تهتموا بما للغد يهتم بما لنفسه " (مت ١٦ : ٣٤) . لذلك فالإنسان الروحي ، الذى يكون قلبه مرتاحاً ونفسه فى سلام ن بحياة الإيمان و التسليم . هذا أيضاً براحة روحه يريح جسده أيضاً من أمراض كثيرة . . .

* * *

• و الإنسان الروحي ، كما يريح نفسه وجسده ، كذلك بالأكثر يريح روحه •

يريحها من الخطايا ، ومن العادات السيئة و الطباع الرديئة . ويريحها من الشهوات ومن الاستسلام للاغراءات ، و يريحها من مقاومة الجسد لها ، الجسد الذى يشتهى ضد الروح (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) . ويريحها بالانتصار على حروب الشياطين ، ومقاومتهم راسخاً فى الإيمان راسخاً فى الإيمان (ابط ٥ : ٩) . ويريح روحه أيضاً بمنحها الغذاء الروحي الذى يقويها ويقربها إلى الله ويعمق محبته فيها . ويريح روحه ، بأن لا يعمل شيئاً يتعب ضميره .
* * *

• وتستريح روحه فى طاعة الله • ويستريح الله بطاعته •

إن الله يستريح فى القلوب المؤمنة به ، المحبة له ، التى تصنع مشيئته ، و تتمم ارادته ، كالملائكة " الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه " (مز ١٠٣ : ٢٠) .

الإنسان الروحي ، تستريح روحه فى شركة الروح القدس (٢كو ١٣ : ١٤) . فلا يعمل عملاً إلا إذا كان روح الله يشترك معه فيه . الروح تستريح حينما تقول لله فى كل عمل " لتكن مشيئتك " . فهذا تريح وتستريح . ما أجمل ما قيل عن موسى النبى إنه صنع كل شئ حسب المثال الذى أراه الرب على الجبل (عب ٨ : ٥) .

* * *

ننتقل إلى النقطة الأخيرة ، وهى كيف يتسريح الإنسان :

إذا استراح الإنسان من الداخل ، يتسريح من الخارج أيضاً . وإن تعب داخله ، لابد أن يظهر عليه هذا التعب من الخارج . . نظرتة إلى الأمور هى التى تتعبه . لذلك قال القديس بولس الرسول " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم " (رو ١٢ : ٢)

يجب أن يفتنم الإنسان بفعل الخير ، فتصير تصرفاته خبرة .

يجب أن يستريح قلبه تماماً للسلوك بالروح . ولا توجد شهوة خاطئة تتعب الإرادة . وكما قال القديس ذهبى الفم " لا يستطيع أحد أن يؤذى إنسان ، ما لم يؤذ هذا الإنسان نفسه " . الإنسان المستريح فى الداخل لا يتعبه أى سبب من الخارج . وهو أيضاً لا يتعب أحداً . بعكس الإنسان غير الروحي ، الذى طبعه النكد ، ونفسيته غير مستريحة ، فأقل الأسباب تتعبه ، و يستقبلها هو بتعب .

التعب فى داخله ، وليس بسبب الأسباب الخارجية .

لأن الروحيين أحاطت بهم من الخارج أسباب متعبة كثيرة ، ومع ذلك لم يتعبوا .

* * *

لا تجعل راحتك

على تعب الآخرين

ما أكثر الخطايا التى يقع فيها من يبني راحتة على تعب الآخرين . وسنضرب لذلك أمثلة عديدة منها

١- من يجد لذته فى التهكم و الضحك على غيره .

يتخذة مجالاً للسخرية و التفككة و التسلية ، غير مبال بجرح مشاعره ، ومشاركة الناس له فى جعل هذا الإنسان اضحوة لهم . وبخاصة إن كان لا يستطيع الفاع عن نفسه ، أو يحتشم من ذلك ، لأن الذى يتندر عليه أكبر منه سناً أو مقاماً . هذا الساخر هو إنسان يجد راحتة فى تعب غيره نفسياً . .

* * *

٢- مثال آخر : من يقيم حفلة ساهرة صاخبة بميكروفونات تنقل الصوت عاليا عبر عدة شوارع

..

ويستمر على ذلك إلى ما بعد منتصف الليل فى صخب ولهو وغناء وضوضاء . ولا يبالي فى كل ذلك بشعور غيره ولا بمصلحته . المحتاج إلى نوم ، لا يستطيع أن ينام . و التلميذ لا يستطيع أن يذاكر . و المريض يزعجه الصوت ، وربما يكون قد تناول حبوباً منومة تفقد مفعولها . و الباقون يفقدون حريتهم فى الكلام وفى القراءة و فى الاستمتاع بوقتهم . ولكن صاحب الحفلة مسرور بحفلته ، غير عابئ بتأثيرها على غيره .
ومثل ذلك من يفتح راديو أو ترانزستور أو قطار . هو يريد أن يسمع ولا يهमे غيره . .

٣- كذلك من يدخن سبجارة ، وبجواره من بكره رائحتها ..

ينفخ دخاتها في وجهه ، أو فيما حوله . وقد يكون بجواره من يكاد يختنق من رائحة الدخان . وبخاصة لو كان ذلك في مكان مغلق ، في حجرة ، أو أتوبيس ، أو طائرة .. هو يريد أن يتمتع بمزاجه الخاص ، و لا يعبا بتعب غيره . وقد يفعل ذلك دون أن يستأذنه وحتى لو أستأذن يكون ذلك اجراء شكلياً . وما أكثر ما تتعب الزوجات من أزواجهن المدخنين .. يدخل تحت بند التدخين أيضاً المصانع التي تعكر الجو بدخاتها ، وتؤذى صحة الناس لكي يكسب أصحابها مالا .. وكذلك العربات التي تنفت في سيرها دخاناً ..

* * *

٤- وبالمثل من يتعب غيره بمكالمات تليفونية قد تطول ..

يطلب غيره تليفونيا في أى وقت . وقد يكون نائماً ، أو على مائدة الطعام ، أو عنده ضيوف ، أو يكو منشغلاً بعمل هام يجب أن يقوم به . ويظل هذا الإنسان يتكلم ويتكلم ، ودون يسأل هل الذى يسمعه لديه وقت لسماعه أم لا . بينما اللياقة تقتضى أن يسأل ! .. وقد يكون صوته عاليا يسمعه الذين حول السامع ، وربما يعرفون به أسراراً ما كان يجوز أن يسمعوها !

٥- وبنفس الوضع : الحكم على بعض الزيارات :

إنسان يزوره غيره على غير موعد ، دون أن يعرف هل هذا القريب أو الصديق مستعد لاستقباله أم لا ! ولكنه يدخل ويجلس ويتكلم . وقد تطول الجلسة ، وصاحب البيت يخجل من أن يقول له أنه منشغل ، أو كان على وشك الخروج لمهمة معينة أو موعد مع آخرين ! ويكون هذا الضيف جالساً فى بيت صاحبه . إنما هو جالس على أعصابه .. وما أصعب مثل هذا الزيارات إن كانت خلال أيام الإمتحانات ، ويعلو فيها الصوت ، و الطلبة محتاجون إلى هدوء .. ومع ذلك فهؤلاء الضيوف يحاولون أن يجدوا راحتهم ، ولو على تعب غيرهم .

* * *

٦- و على نفس القياس : بعض الرحلات إلى الأديرة و المتوحدين :

كل ما يريده أصحاب الرحلات أن يتمتعوا بالدير ، دون أن يضعوا فى ذهنهم راحة الرهبان أو هدوء الدير . وقد الدير . وقد يكون فى الرحلة أطفال يصيحون ويجرون ويلعبون . وقد يرتفع صوت أعضاء الرحلة ، وقد يتجولون فى الدير بغير نظام . وأحيانا تكون فى الدير عدة رحلات بعدة أتوبيسات مع عربات خاصة . ويجتمع فى الدير مئات ، وتسود الضوضاء أرجاء هذا المكان المقدس ، وأصحاب الرحلة سعداء !! لا يفكرون فى تعب الرهبان الذين تركوا العالم إلتماساً للهدوء ! و تزيد المشكلة إن أصر بعض أعضاء الرحلة على زيارة المتوحدين .. إنهم يريدون راحتهم ، ولا يفكرون فى طقس الحياة التى يعيشها غيرهم ..

معروفة قصة البابا ثاوفيلس الذى أراد زيارة القديس الأنبا أرسانيوس المتوحد فلما عرف أن ذلك يؤذى وحدته ، امتنع عن ذلك ...

* * *

٧- وناك أيضاً أشخاص يريدون أن يتكلموا ، وربما فى موضوعات لا يستريح لها سامعهم ..

وقد يقصون أسرار أناس آخرين ، أو مشاكل معينة ، أو أخطاء قد حدثت ، أو يفتحون أذهان سامعيهم لمعرفة أمور جديدة عليهم من الخير لهم أن لا يسمعوها .. ولكنهم يريدون أن يتكلموا ، ولو اتعبوا السامعين ، ولو صبوا فى آذانهم معلومات مؤذية ، ولو أتلفوا أفكارهم . وقد يحاول السامع أن يهرب ، ولكنهم يضغطون بالكلام ، لأنهم يجدون لذتهم فى الحديث ، شاء السامع أن يسمع أو لم يشأ !! هذا بالإضافة إلى اضاعه وقته ..

* * *

٨- فى كل مرة تضغط على غيرك ، تيقن تماماً أنك تبحث عن راحتك على حساب تعبهم . .

وقد يكون هذا الضغط على إرادته ، لكى ينفذ ما لا يريد . وقد يستخد فيه احياناً الاحاح المتعب الذى يشكل ضغطاً على أعصابه و على أذنيه . . وقد يكون الضغط مباشرة أو عن طريق وسطاء . أو يكون ضغطاً على ضميره بتهديده بالالتجاء إلى أخطاء يشارك فى مسئوليتها . . المهم أن يصل الشخص إلى تحقيق غرضه بالضغط أو الضغوط ، ولا يهمله مطلقاً شعور من يضغط عليه ، ولا تعب أعصابه ، و تعب فكره وتعب إرادته ، و الوقت الذى تستغرقه الضغوط . .

* * *

٩- هناك أشخاص يستريحون نفسياً بالشكوى و البكاء ، ويشركون غيرهم فى سماع مشاكلهم

ومتعابهم وأحزانهم . .

ولو حدث ذلك مرة أو فى بعض مناسبات ، لكان ممكناً الاحتمال بالمشاركة الاجتماعية " بكاء مع الباكين " (رو ١٢ : ١٥) . ولكن ماذا عن أشخاص تعودوا الشكوى و البكاء و النكد . . ما أن يقابلوا صديقاً ، حتى يفتح ريكوردر الشكوى و البكاء و الحزن و اليأس و التعب ، إلى غير نهاية ومهما حاول السامع أن يخفف عنهم ، لا يستطيع ، ويزداد الأئين و التعب ، وربما لغير سبب ، أو لسبب تافه ، أو بحديث متكرر ، وبلا نتيجة ! المهم أنهم يريدون أن ينفسوا عن انفسهم ، ولو تعب سامعهم . . ليتك حينما تتكلم ، أن تنظر على ملامح سامعك . . هل تعب ؟ هل ضجر ؟ ممكن أن تكمل كلامك أم لا . ما أكثر الذين يفقدون أصدقاءهم ومعرفهم ، بمداومة الشكوى و البكاء .

* * *

١٠- نقطة أخرى هى موضوع العثرات :

إنسانة تقف طويلاً أمام المرأة قبل أن تخرج . و لا تفارق المرأة حتى ترضى تماماً عن نفسها ، إنها صارت فى منتهى الفتنة . كل من يراها يعجب بها . ولا يهمها فى كل ذلك انها تعثر . المهم راحتها النفسية فى أن تكون تكون موضوع الإعجاب ، ولو تعب الذين يعجبون بها . نصيحتى لك : لا تجعلى المرأة تفودك . . بل اهتمى أن لا تكونى عثرة لأحد . .

١١- يشابه هذا بعض المنزبنات فى الحفلات :

إنسانة تريد أن تكون الأولى فى إحدى الحفلات . وقد تحضر حفلة عرس ، وتحاول أن تكون أجمل وأشيك من العروس نفسها!! تلبس ملابس فوق مستوى الكل ، و تتحلى بحلى لا تتحلى بها امرأة أخرى . تريد أن تجذب انتباه الكل ، ولو ألغت وجود غيرها ، ولو أتعبت باقى النساء وشعرن بصغر نفس وبضآلتهن إلى جوارها ! هذه أيضاً تبحث عن راحتها بتعب الأخريات . وإن ناقشتها ترد قائلة " إنها حفلة ، ويجب أن أحتفظ بأناقتى " . نعم ولكن فى حدود المعقول . ودون إثارة الغيرة ، ودون الدخول فى مقارنات . البسى فى الحفلة ما يناسب مستوى المشتركات فى الحفلة ، بأناقة معقولة .

* * *

١٢- ما أكثر المشاكل الزوجية ، التى سببها أيضاً من يجعل راحته على تعب غيره :

ومثال ذلك الزوجة التى تطلب من زوجها طلبات فوق طاقته المالية . فإما أن ترهقة مالياً ، أو تضطره إلى الإفتراض أو إلى الديون . أو أن يقول ليس معى ! وأحياناً تحرجه بحظها العاثر فى أن تتزوج رجلاً ليس معه ما ينفقه عليها ! و هكذا تجرح شعوره . . و نفس الكلام ينطبق على الإبن الذى يطلب من أبويه ما هو فوق طاقتهم ، و المواطن الذى يطلب من الدولة ما هو فوق طاقتها

* * *

١٣- مثال آخر : هو المهاجر الذى يحضر إلى مصر ، ليطلب من الكنيسة أن تزوجه فى ايام الصوم

وأحياناً فى الصوم الكبير !! وإن قيل له أن قوانين الكنيسة لا تسمح بإجراء سر الزواج فى الصوم ، يظل يضغط ويضغط ، ويقدم أعداراً وتبريرات خاصة بالسفر وبالإجازات . وإن وجد أن هذه

التبريرات غير مقبولة ، يحتج ويغضب ويصيح ويصر ، ويهدد بالزواج عند الطوائف الأخرى . و المهم راحته في أن يتزوج ، ولا يهتم بضمير الكاهن ، ولا بقوانين الكنيسة ، ولا بكسر الصوم . إنه يريد موافقة الكنيسة ، وليس بركتها . يريد راحته على تعب غيره . . . !

* * *

١٤- من الأشياء العجيبة ايضاً : من يريد ان يبني مجده على هدم غيره ، ويظن بهذا أنه يظهر

تفوقه !

حتى في المحيط الكنسى ! كاتب يريد أن يحطم جميع البديهيات و المسلمات التى يعرفها الكل ، ومحاولاً أن يثبت خطأها ، لكى يقدم رأياً جديداً ، كأنه يفهم أكثر من الكل . هو الوحيد الذى يفهم ، وكل ما ورثناه عن الأجيال هو خطأ إلى أن بعثه الله ، ليقدم للناس المفاهيم السليمة . . من هنا نشأ المبتدعون الذين شيئاً جديداً ، لعله ينى لهم مجداً ، يتقديم ما لم يصل اليه الغير . يحاول أن يظهر علمه ، بإعلان جهل الكل ، وقد يسأل غيره أحياناً أسئلة محرجة المقصود بها أن يظهر جهلة . ثم يجب هو عن الأسئلة ليظهر تفوقه . .

* * *

١٥- ومثال ذلك من يخفى مواهب غيره ، لتظهر مواهبه هو :

لا يسمح لغيره بالظهور ، ليبقى وحده فى الصورة . كالأستاذ الذى لا يعطى المعيد فرصة و لا شهادة ، إلا بشق الأنفس . وفى نفس الأشكال يقع غالبية الناشئين ، فلا فرصة سهلة لكاتب ناشئ ، أو لمخترع ناشئ ، أو لفنان ناشئ ، لأن الكبار يريدون احتكار العبقرية ذاتها ! ويجدون راحتهم فى أن يخلو الجو لهم ، ولو تعب كل الناشئين يحتكرون الجو ويحتقرون الغير . . ! يدخل فى ذلك أيضاً من يحتكر الكلام اثناء اجتماع ، و لا يعطى غيره فرصة لكى يتكلم !

* * *

١٦- من أمثلة الراحة بنعيب الآخرين : الزوج الغيبار :

الذى من أجل غيرته على زوجته ، يكاد يحبسها فى البيت . لا يراها أحد ، ولا تتكلم مع أحد . و لا تضحك على فكاها قالها الغير ، حتى إن كانت فكاها تضحك الحجر ! وإلا يقيم الدنيا ويقعدها . لماذا تنبسطين فى الكلام ؟! كأنما اشترى عصفورة جميلة وحبسها فى قفص . حتى إن غنت داخل القفص ، يمنعها من الغناء ! و هكذا يضيق عليها تضيقاً يجعلها تكره الحياة بسببه . وإن جادلته أو عاتبته ، يقول لها " هذا هو الذى يريحنى " ! ولكنها راحة على تعب غيرك ، لا تقييم فيها أى اعتبار لشعور زوجتك . .

وبالمثل الزوجة الغيارة أو النكدية أو الكثيرة التحقيق مع زوجها ، و التى ترهقه بأسئلة واحراجات ، لكى تستريح هى ، مهما تعب هو . .

* * *

١٧- تظهر الراحة على تعيب الآخرين غى موضوع الزحام :

كل شخص يريد أن يسبق غيره ، أو يأخذ مكان غيره ، أو يصل هو ، ولا يهم أن يصل غيره أو لا يصل ! و العجيب أن ذلك قد يحدث أحياناً أثناء التناول من الأسرار المقدسة وبخاصة أيام الأعياد والمناسبات . بينما التناول يليق به إنكار الذات وانسحاق النفس ، ولا يليق به بتاتا أن يبحث الإنسان عن راحته بتعب غيرهم . يشبه هذا أيضاً من يبحث عن الأماكن الأولى فى الاجتماعات ، أو يحجزها قبل مجيئه . وكذلك من يقف فى اجتماع ، ولو أخفى الرؤية عن غيره . ومن يوقف عريته فى مكان ، ولو عطلت المرور على غيره . . العجيب أن الزحام قد يحدث أيضاً فى الجلوس من أب الإعراف فقد يدخل معترف إليه . وهناك طابور طويل ينتظر . فلا يهتمه كل هؤلاء ، ويقضى ما يشاء من الوقت ، ولو تعب المنتظرون . العجيب أيضاً أنه لا يعترف بهذا أثناء جلسته مع أب الإعراف !

١٨- وموضوع الزحام يذكرنا بالمنافسات عموماً :

ومنها المنافسات فى الوظائف و المناصب ، حيث يريد أن يزيح شخصاً من مكانه ومركزه ليحل محله ، أو يأخذ درجة أو علاوة بدلا منه ، ولو بتقديم شكوى ضده ، أو اشاعة المذمة فيه ، أو يتسبب فى فشله ليضعه ، وفى مجال السياسة ، حزب ينافس حزباً ، ويكره الناس فيه ليأخذ مكانه ويدخل فى المنافسات أيضاً المضاربات فى الأسواق ، ونحن لا نقول إن كل منافسه خاطئة ، بل نقصد المنافسات التى تلجأ إلى طرق خاطئة لأن تتعب غيرها أو تتخلص منه أو تحطمه . . !

* * *

١٩- و تدخل فى موضوعنا أيضاً كل أنواع السرقة :

فالنشال يريد أن يأخذ ما فى جيب غيره ليضعه فى جيبه هو ، وكذلك كل سرقة ، ويدخل فى هذا المجال الغش فى التجارة ، و احتكار الأسواق و المضاربات فيه ، و الربا الفاحش ، و السوق السوداء ، الهروب من الضرائب و الجمارك ، فى كل هذا يبني كل إنسان راحته على تعب غيره ، ومثلها صاحب العمل الذى يبخر أجور عماله ليغتنى هو ، وكأنه يسرق عرقهم و تعبهم ، وكذلك الذى يطلب رشوة ليقضى عملاً مشروعاً ، إنها أيضاً سرقة وقد تكون بالإكراه ، وهى راحة خاطئة بتعب الآخرين نضع مثال آخاب الملك الذى أراد أن يغتصب حقل نابوت اليرزعىلى (امل ٢١) ، كذلك كل أنواع الظلم و التسخير ، وأيضاً من يسرق فكر غيره و ينسبه إلى نفسه ، ومن يترجم لمؤلف ، وينسب الفكر لنفسه .

* * *

٢٠- نذكر هنا أيضاً نظرية (كبحش الفداء) :

حيث تقوم مثلا سرقات فى شركة من كبار المسؤولين فيها ، ويقدم موظف بسيط ، أو مدير ، أو عضو مجلس إدارة منتدب ليحمل المسؤولية كلها ، ويتبرأ المخطئون الحقيقيون ، فينالون راحتهم بتعب غيرهم ، كذلك محاولة النجاة من مسؤولية أى خطأ بالصاقفة بأخر ، ومن يتهم غيره لينجو هو .

* * *

٢١- اغتصاب الفتيات واغراؤهن يدخل فى موضوعنا أيضاً

إذ يجد شاب راحته الجنسية فى أن يضع فتاة ويغتصبها ، وحتى مجرد العلاقة التى تشغل عقل الفتاة وعاطفتها ، وتضيع سمعتها ، لمجرد أن يجد الشاب متعته فى مصادقة فتاة ، مهما أساء إليها بهذه الصداقة ! إنها راحة مبنية على تعب الآخرين .

* * *

٢٢- يدخل فى هذا الأمر أيضاً الغضب و النرفة :

إنسان أعصابه تعبانة ، ينفس عن ضيقه بأن يصب غضبه على الآخرين كلاماً أو كتابة ، لكى يستريح هو ، مهما تعبوا هم ، وما ذنبهم فى تعرضهم لأعصابه المرهقة ، وإن عاتبته يقول : لم استطع أن استريح إلا بعد أن قلت هذه الكلمة ! ولكنها راحة خاطئة .

* * *

٢٣- يدخل فى هذا الموضوع أيضاً : الحروب والاستعمار :

حيث تجد إحدى الدول راحتها فى تحطيم دولة أخرى ، أو فى حصارها اقتصادياً ، أو فى استعمارها وقد يفعل الأفراد مثل هذا فى حدودهم الضيقة .

٢٤- نذكر أيضاً الاستطلاع ومحبي معرفة أسرار الناس .

راحتهم هذه ما أكثر ما تتعب غيرهم ، سواء الذين يريدون معرفة أسرارهم ، أو الذين يلحون عليهم بالسؤال ، ليستخرجوا منهم المعلومات ، بالأسئلة المتواترة ، والإلحاح المتعب ، حتى يعصرونهم عصراً ليستخرجوا كل ما عندهم من من المعلومات من ملومات بالضغط والإحراج .
* * *

ما معنى الراحة ؟

هؤلاء الذين يبحثون عن راحتهم بتعب غيرهم ، إنما يخطئون في فهم الراحة ، ويبحثون عن راحة

مغشوشة :

فالراحة الحقيقية هي راحة الضمير ، وراحه الإنسان مع الله ، وكذلك الراحة الأبدية . أما الراحة التي يبحث عنها هؤلاء ، فهي راحة غير حقيقية . والإنسان الروحي يبذل نفسه من أجل غيره ، ويتعب ليريح الناس . كذلك يجب أن لا تكون الوسيلة إلى الراحة وسيلة خاطئة " وقد قيل ما عاش من عاش لنفسه فقط " . و الكتاب يقول " قدموا بعضكم بعضاً في الكرامة " (رو ١٢) . ويجب أن يبعد الإنسان عن الأتانية وحب الذات .

هناك استثناء واحد ، وهو العقوبة التي تستلزمها الرعاية ، لأجل راحة المجموع ، وثبیت القيم

و الروحيات

التعب المقدس و الراحة في إراحة الغير

الإنسان الروحي لا يهرب من التعب بحثاً ، بل يفرح كثيراً بأن يتعب من أجل الله . إنه يبحث أولاً عن راحة ضميره ، عن راحته في الرب . أما راحة الجسد ، فيضعها في آخر اهتماماته . ويفضل التعب إن كان فيه كسب روحي . ويرى راحته في هذا التعب الذي يوصله إلى الله ، والذي يكون فيه بناء الملكوت .

وهنا نميز لوناً من التعب المقدس ، له أمثلة كثيرة في الكتاب :

منه التعب في الكرازة و التعليم ، وفي الخدمة عوماً ، و التعب في الجهاد الروحي . و القديس بولس الرسول ، لما ظنه البعض أقل من باقي الرسل في درجة الرسولية ، قال مدافعاً عن رسوليته " وأنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا ، بل نعمة الله العاملة معي " (١كو ١٥ : ١٠) . وقال " أهم خدام المسيح ؟ أقول كمختل العقل ، فأنا أفضل : في الأتعاب أكثر ، في الضربات أوفر ، في السجن أكثر . في الميئات مراراً عديدة " (٢كو ١١ : ١٣) . وقال عن خدمته أيضاً " في تعب وكد ، بأسفار مراراً كثيرة " . فكان أهم ما افتخر به هو التعب . وقال عن مكافأة التعب :

" كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبته " (١كو ٣ : ٨) .

وقد مدح الكهنة الذين " يتعبون في الكلمة و التعليم " ، وقال عنهم " فليحسبوا أهلاً لكرامة أفضل " (١ تي ٥ : ١٧) . وقال لأهل تسالونيكي " نسألكم أيها الأخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم ، وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة " (١ تس ٥ : ١٢) .

وفى رسالته إلى رومه ، ذكر أسماء نسوة قديسات تعين فى الخدمة : فقال " سلموا على مريم التى تعبت من أجلنا كثيراً . . سلموا على تريفينا وتريفوسا التابعتين فى الرب . سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيراً فى الرب " (رو ١٦ : ٦ ، ١٢)
إن كل تعب يتعبه الإنسان من أجل الرب ، هو تعب محبوب لا يمكن أن ينساه الله . وذلك كما قال الرسول :

"لأن الله بظالم حتى ينسى عملكم وتعيب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه " (عب ٦ : ١٠)
حسن أن تقول إنك تحب الله . ولكن محبتك له تظهر فى تعبك من أجله . . والله يكافئك على المحبة وعلى التعب . وهكذا قال الرسول " لم اسع باطلاً ، ولا تعبت باطلاً " (فى ٢ : ١٦) . قال لأهل كورنثوس " كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين . عالمين أن تعيبكم ليس باطلاً فى الرب " (١كو ١٥ : ٥٨)

* * *

إن الإنسان الذى يتعب ، يفرم بثمار تعبه .

مثال ذلك : الزارع الذى يتعب فى حرث الأرض وزرعها وريها ، وتنظيفها من الآفات . . إلى أن يأتى وقت الحصاد ، فيفرح ، ويعرف أن تعبه لم يكن باطلاً ، بل كفاة الرب بالبركة حسب كل تعبه إن كل تعب يتعبه الإنسان بهدف روحى ، وبأسلوب روحى ، من أجل الله ، هو تعب محسوب له عند الله ، مسجل عنده . وهكذا قال الرب لملاك كنيسة أفسس :

"أنا عارف أعمالك وتعيبك وصبرك " (رؤ ٢ : ٢)

* * *

إنه أمر معزى أن الله يعرف كل تعبك ، ويكتبه لك فى سفر الحياة ، ولا بد سيكافئك عنه فى الأبدية السعيدة ، وربما فى هذه الحياة أيضاً . كما يسندك فى تعبك ويقويك . أويقول لك كما قال للقديس بو الطموهى فى جهاده " كفاك تعباً يا حبيبى بولا " . وهو يقول على الدوام :

" تعالوا إلى يا جميع المتعبين و الثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم " (مت ١١ : ٢٨)

يريحنا بأن يرفع الأثقال عنا ، أو يعزينا عزاء روحياً فى أتعابنا ، أو يقدم لنا ووده الجميلة ، أو يعطينا لذة فى التعب حتى نشتاق إلى تعب أكثر ، أو يذكرنا بأن كل عملنا لأجله سيتبعنا فى البديهة السعيدة ، كما قيل فى تطويب المنتقلين :

"لكى يستريحوا من أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم " (رؤ ١٤ : ١٣)

* * *

لذلك فالإنسان الروحى ، حينما يتعب من أجل الرب ، يشعر ببركة فى هذا التعب . وإن كل تعب له إكليل ، فلا يركن إلى الراحة أبداً فى هذه الحياة ، متذكراً قول الوحى فى سفر الأمثال : " فى كل تعب منفعة " (أم ١٤ : ٢٣) . وكما قدم لنا الكتاب المقدس أمثلة للذين تعبوا لأجل الرب . .

* * *

كذلك قدم لنا تاريخ الكنيسة أمثلة من التعب المقدس .

القديس أثناسيوس الرسولى مثلاً ، كم تعب من أجل الإيمان ، وكم اضطهادات لاقاها من الأريوسيين الهرطقة . . وكم من اتهامات باطلة ، ومقاومات كثيرة صدرت " العالم ضدك يا اثناسيوس " !! . . ولكنه احتمل كل هذا التعب فى صبر وفى فرح ، لأجل حماية الإيمان ، أخذاً بركة هذا التعب . .

وبالمثل وأكثر : التعب الذى احتمله الشهداء .

من تهديدات ومحاكمات وسجن ، وألوان مرعبة من التعذيب ، وما ذاقوه من آلام فوق الوصف . . لكنه كان تعباً مباركاً من أجل الرب ، نالوا عليه أكاليل ، واستحقوا بسببه الراحة الأبدية .

* * *

الإِنسان الروحي يفرح بالتعب ، ويبجد راحته فيه •

أى أنه يجد راحته الداخلية فى هذا التعب الخارجى ، وأو يجد راحة روحه فى تعب جسده ، أو يجد الراحة الأبدية فى هذا التعب الزمنى المؤقت •• فهو مستعد أن يتعب هنا ليستريح هناك • إن القديس يوحنا المعمدان لاقى المتاعب فى توبيخ هيرودس على أنه أخذ امرأة أخيه ، فسجن وقطعت رأسه •• ولكنه أراح ضميره ليستريح فى الأبدية • وأعطانا جميعاً مثلاً قويا للشجاعة فى الدفاع عن الحق •

* * *

لا ننسى أيضاً تعب الذين كانوا أمناء فى الخدمة ، وقد وضعوا أمامهم قول الرب : **"كن أميناً إلى**

الموت ، فسأعطيك إكليل الحياة " (رؤ ٣: ١٠) •

" إلى الموت " •• هل يوجد تعب أكثر من هذا؟! ولكنه تعبير عن محبة الإنسان لله •• انظر داود النبى وهو يقول :

" لا أصعد على سرير فراشى ، ولا أعطى لعينى نوماً ، ولا لأجفانى نعاساً ، ولا راحة لصدغى ، إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً إله يعقوب " (مز ١٣٢ : ٣ - ٥) •• إنه لا يسمح لنفسه بالراحة الجسدية ، إلا إذا تم واجبه وحقق مسئوليته فى خدمة الرب •• وحينئذ يستريح روحاً وجسداً •• ينام وهو مستريح من الداخل ••

* * *

الإِنسان الروحي لا يهرب من التعب • فالذى يهرب من التعب ، إنما يهرب من الله ••

إنه يهرب من واجبه ومن مسئوليته ، ويهرب من الأكاليل المعدة •• ! بينما الذى يتعب ، إنما يظهر بالتعب مقدار محبته لله ، ومقار إهتمامه بملكوت الله على الأرض ، وإهتمامه بخدمة الله فى أشخاص أولاده ••

* * *

لذلك إن أردت أن تستريح فى قلبك ، اعمل على راحة غيرك •

كل الذين أراحوا غيرهم ، شعروا بسعادة داخلية بسبب ذلك ، حتى فى مجال الحياة الإجتماعية •• وما أكثر الأمثلة على ذلك :

فالطبيب يجد راحة فى ضميره وقلبه عندما يريح المريض الذى يعالجه ، ويبعد عنه الألم •• ورسام الكاريكاتير يجد راحته فى أن يفرح من يروا رسومه ويقرأوا فكاهاته •• وهكذا كل فنان يجد راحته عندما يدخل فنه إلى قلوب الناس ويريحهم ••

الشخص الذى يبحث عن راحته الشخصية ، قد يكون أنانياً •

أما الإنسان الروحي فيفكر دائماً فى راحة الآخرين •• هناك نفوس يمكن أن نسميها نفوساً مريحة ، كل من يختلط بها يستريح •• وهى مصدر راحة باستمرار •• ونضرب لذلك أمثلة :

* * *

*مثال ذلك الأمومة والأبوة :

الأم تتعب جداً فى تربية أبنيتها •• وتتعب فى تجهيز ابنتها المزواج •• وتفرح بزواجها لأنها استقرت فى حياتها •• وعلى الرغم من أنها حرمت من عشرتها ، إلا أنها تشعر بسعادة لسعادتها وربما تبيع مجوهراتها وجليها لتجهيز ابنتها إذا لزم الأمر •• وهكذا الأب فى تربية أبنائه وفى الإهتمام بتعليمهم ومستقبلهم •• ويشعر إن رسالته فى الحياة هى أن يجلب كل وسائل الراحة و السعادة لأبنائه •• ولكل هذا نجد أن إلها الصالح لقب نفسه بالأب السماوى •• و المهم أن الأب والأم يريحان أبناءهما على أساس سليم ••

* * *

*مثال آخر فى إراحة الآخرين ، هو الراعى وعمله لأجل رعيته *

إنه لا يعمل من أجل راحة نفسه ، بل يبذل كل جهده من أجل خرافه ، يأتى بها إلى المراعى الخضراء وإلى ماء الراحة ، ويحميها من كل اعتداء تتعرض له ومن كل خطر . ولهذا كله أقام الله رعاة لشعبه للاهتمام بهم ، ليرعوا رعية الله التى اقتناها بدمه (أع ٢٠ : ٢٨) .
بل إن الرب نفسه شبه نفسه بالراعى ، وقال " أنا هو الراعى الصالح . و الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخرا " (يو ١٠ : ١١) . وقال الرب فى العهد القديم ، فى سفر حزقيال النبى " أنا أرعى غنمى واربضها - يقول السيد الرب - واطلب الضال ، وأسترد المطرود ، وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح " (حز ٣٤ : ١٥ ، ١٦) . كل عطاء لراحة غنمه .

* * *

*كل هذا يعطينا فكرة عن الراحة فى العطاء *

الإنسان الروحى يجد سعادته فى أن يعطى ، ويجد راحته فى سعادة الذى هو يعطيه . إن الرضيع يجد راحته فى المرضعة التى ترضعه ، سواء كانت أو غيرها . و المرضعة تجد راحتها فى راحته وإذا ابتسم ، تشعر بسعادة كبيرة . ما أكثر ما يعمل من أجل الطفولة . كلها راحة فى العطاء

* * *

وما أكثر العاملين من أجل المجتمع فى كافة المجالات *

كرجال المطافئ ، ورجال الاسعاف ، ومنقذى الغرقى . ومثل جمعيات الصليب الأحمر و الهلال الأحمر . كلها تجد راحتها فى راحة الآخرين . وتشعر بسعادة فى انقاذ الغير . وهكذا كل من يعمل فى العمل الاجتماعى و العمل الإنسانى .
الطبيب النفسانى يشعر بسعادة حينما يشفى مريضه من القلق أو الاضطراب أو الخوف أو الوهم أو الشك ، مهما كلفه ذلك من جهد مضمئ بسبب تعامله مع شخص غير طبيعى .
كذلك العلماء الذين يسهرون ويكدون ، لكى يقدموا للناس مخترعات تريحهم فى حياتهم ، أو أدوية تنقذهم من المرض والألم .
فيا ليتك أنت أيضاً تجد راحتك فى خدمة غيرك وإراحته . وفى حل مشاكل الآخرين أو إبعاد المشاكل عنهم .

* * *

الإنسان الروحى يجد راحته فى الله ، مهما أحاطت به المشاكل *

إنه يضع الله بينه وبين المشاكل . فلا يفكر فى المشكلة ، إنما فى الله الذى يحلها . وفى كل مشكلة تصادفه يقول " ربنا موجود " . وإيمانه بالله وتدخله لحل المشاكل ، يمنحه راحة داخلية وسلاماً قلبياً مبنياً على الإيمان بالله وعمله .
أتذكر أننا فى أواخر سنة ١٩٦٧ اضطررنا إلى نقل اجتماعنا إلى فناء الكلية الإكليريكية فى الهواء الطلق . فقال لى البعض " وماذا نفعل من جهة المطر ، إذا حل فصل الشتاء ؟ فقلت لهم : إله الشتاء هو الذى سيدبر الأمر " .

الإنسان الروحى يستريح فى حياة التسليم التى يجيها *

يترك كل أموره لله ، لكى يدبرها . كما يقول الكتاب " إلق على الرب همك وهو يعونك " (مز ٥٥ : ٢٢) . وأيضاً " ملقين كل همكم عليه ، لأنه هو يعتنى بكم " (١ بطه : ٧) . ويثق بوعد الرب القائل " تعالوا إلى يا جميع المتعبين و الثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم " (مت ١١ : ٢٨) . فلماذا لا تلجأ إلى الله فى كل مشاكلك ومتاعبك ، وهو يريحك ؟

* * *

الإنسان الروحى يجد راحته فى الصلاة *

أو يجدها فى آية معزية تفرح قلبه ، أو يجد راحته فى تذكره لوعود الله . يكفيه مثلاً قوله الإلهى " تشدد وتشجع . لا أهملك ولا أتركك " (يش ١ : ٥ ، ٦) أو " ها أنا معكم كل الأيام وإلى أنقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ٢٠) أو " هوذا على كفى نقشتك " (أش ٤٩ : ١٦) . فيفرح بكل هذا ، ويجد راحة فى قلبه ، معتمداً على وعود الله .

* * *

ما جمل تلك العبارة التى كتبها القديس أوغسطينوس فى اعترافاته قائلاً للرب :

"ستظل قلوبنا قلقة ، إلى أن تجد راحتها فيك" .

الإنسان البعيد عن الله يعيش فى تعب ، لأن الراحة الحقيقية لا يجدها إلا فى الله . ولذلك حسناً قال داود النبى " أما أنا فحسن لى الالتصاق بالرب " (مز ٧٣ : ٢٨) . وقال " الاتكال على الرب خير من الاتكال على البشر . الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء " (مز ١١٧) . " دفعت لأسقط ، و الرب عضدى ، يمين الرب صنعت قوة بالرؤساء " (مز ١١٧)

* * *

كما يستريح الإنسان فى حياة الإيمان ، يستريح فى حياة الرجاء .

الذى يفقد الرجاء ، يقع فى اليأس ، ويقترب من الهلاك أو الضياع . أما الإنسان الروحى ، فيرى بالرجاء أن كل مشكلة لها حل ، وكل باب مغلق له مفتاح أو عدة مفاتيح ، وكل سقطه لها قيام بعدها المشاكل لها شكل هرم . ترتفع حتى تصل إلى قمته ، ثم تنحدر نازلة على الجانب الآخر . هكذا كانت مشاكل يوسف الصديق ، وارتفعت حتى أوصلته إلى السجن ، ثم نزلت ووصل إلى المملكة . وبالمثل كانت تجربة أيوب : ارتفعت حتى فقد كل شئ ، ثم انتهت فنال البركة بالضعف (أى ٤٢ : ١٠) .

راحة الإنسان الروحى فى حياة التسليم والسلام ، وحياة الإيمان و الرجاء .

* * *

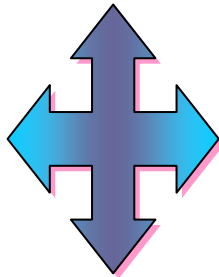
وثق أنك إذا استرحت فى الداخل ، ستستريح من الخارج أيضاً .

وباستمرار لتكن وسائلك إلى الراحة وسائل روحية . لأن هناك إنساناً قد يقع فى مشكلة ، فيجد راحته فى كذبة تغطيها ، أو فى حيلة كلها خداع كما فعل داود لما سقط .! أو إنسان يتعب ، فيلجأ إلى حبوب مسكنة ، لا تحل مشكلته أو تنهيه عنها .

* * *

و الراحة ليس معناها التوقف المطلق عن العمل ، إنما البعد عن الإرهاق .

فإذا تعبت من التفكير فى موضوع ما ، لا تستطيع أن توقف عقلك عن الكر تماماً إنما تغير مجرى تفكيرك ، و تستبدل فكراً بفكر ، فتستريح .



الباب الثامن

الإنسان الروحي :

يحيى بالروح لا بالحرف

إنه يضع أمامه على الدوام قول الرسول :
" لا الحرف ، بل الروح . لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيى " (٢كو٣ : ٦) . وهذا المبدأ يشمل حياته كلها . فهو فى كل وصايا الله .

يهتم بروم الوصية ، وليس بحرفيتها ..

إنه ليس فريسيًا ولا ناموسيًا ، ولكنه شخص روحى . فالفريسيون كانوا يتمسكون بحرفية الوصية ، كما فعلوا مع الرب فى وصية السبت مثلاً . حتى أنه حينما منح البصر للمولود أعمى ، وكان ذلك يوم سبت ، قالوا " هذا الإنسان ليس من الله ، لأنه لا يحفظ السبت " (يو ٩ : ١٦) . وقالوا للمولود أعمى " أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ " (يو ٩ : ٢٤) . ولما شفى السيد مريض بيت حسداً بعد مرضه ٣٨ عاماً ، يقول الكتاب إن اليهود " كانوا يطلبون أن يقتلوه ، لأنه فعل ذلك فى يوم سبت " (يو ٥ : ١٦)

إنه الحرف الذى الذى يقتل ، لأنه بدل على عدم فهم لروحانية الوصية .

وسنحاول أن نتأمل بعض نقاط فى الحياة الروحية ، لنرى كيف يسلك الإنسان الروحى بالروح وليس بالحرف .



كثيرون يصومون ، ويظنون أن الصوم هو فقط الطعام النباتى . ويحاولون أن يجهزوا لأنفسهم أطعمة نباتية شهية جداً فى أكلها ، ومغذية جداً فيما يضيفونه عليها من السوان الطعام النادرة و الغلية الثمن .! ويتساعلون عن السمن النباتى ، و الجبنة النباتى ، و اللبن النباتى ، والشيكولاته النباتى . وينسون قول دانيال النبى عن صومه :

" كنت نائماً ثلاثة أسابيع أيام ، لم أكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل فمى لحم ولا خمر . ولم أذعن ")

(دا ١٠ : ٢ ، ٣)

وأحب أن أركز هنا على عبارة " لم أكل طعاماً شهياً " . لأنه حيث يأكل الإنسان أطعمة شهية أثناء صومه ، كيف يمكنه أن يسيطر على رغبات الجسد ، وهو يعطيه ما يشتهي من الطعام؟! * * *

الإنسان الروحى يدرك أن الصوم فى حقيقته هو إذلال للجسد ، وانتصار على شهوة الطعام ، وارتفاع فوق مستوى المادة . فلا يعتبر أن الصوم هو مجرد الطعام النباتى . إنما هو فى صومه يهتم بعنصر المنع ، أى منع جسده عن يشتهي ، مهما كان ذلك طعاماً نباتياً صرفاً

ولهذا كثيرون يصومون ولا يستفيدون ، لأنهم يسلكون فى صومهم بطريقة حرفية شكلية .

ولم يدخلوا فى روحانى الصوم ، ولا فى روحانى الوصية الخاصة بالصوم و القصد الإلهى منها ! وهكذا صاموا بالجسد ، وكانت أرواحهم مفطرة .



المطانيات هى السجود . فما هو المقصود بهذا السجود ؟

الإنسان الروحى لا يرى السجود مجرد انحناء الجسد . وإنما أيضاً انحناء الروح و الجسد .

لذلك يقول مع المرتل فى المزمور " أما أنا فبكثر رحمتك ادخل إلى بيتك ، واسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك " .

وعبارة " مخافتك " تدل على خشوع الروح أثناء السجود . وعبارة " بكثرة رحمتك أدخل غلى بيتك " تعنى الشعور بعدم استحقاق . وهكذا يصيح الشماس اثناء القداس

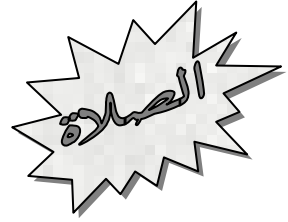
" أسجدوا الله بخوف و رعدة .. "

هنا المشاعر الروحية تصحب حركة الجسد .
أحياناً تعتذر لإنسان وتضرب له مطانية ، فلا يقبلها منك إذ يشعر أنها عمل جسدانى لا روح فيه .
وقد تقول بعد ذلك : ماذا أفعل له أكثر من هذا ؟ لقد ضربت له مطانية ، و انحنت برأسى إلى الأرض !!
يا أخى المهم أن تنحنى روحك . لا تتمسك بحرفية المطانية دون روحها .

أما الإنسان الروحى ففى سجوده يقول مع داود النبى : **" لصقت بالتراب نفسى " (مز ١١٩ : ٢٥)**
وليس مجرد رأسى التى لصقت فى سجودها بالتراب . النفس التى تلتصق بالتراب هى مقبولة أمام الله و الناس .

* * *

قرأت لأحد الرهبان مقالاً فى عيد الغطاس ، شرح فيه كيف أن السيد المسيح انحنى أمام المعمدان ، لكى يكمل كل بر ، مع أن يوحنا المعمدان اقل من السيد المسيح بما لا يقاس ، وليس أهلاً أن ينحنى ويحل سيور حدائه . ثم ختم مقاله بعبارة : " اعطنا يا رب أن ننحنى أمام من هم أقل منا . لكى نكمل كل بر " !!
إن كنت ترى أنهم أقل منك ، فما معنى الانحناء إذن ؟! أهو حرفيات بغير روح ؟ إننا نريد إنحناء الروح .



الصلاة حرفياً هى الحديث مع الله . وهى روحياً : اتصال روح الإنسان بروح الله .
وقد يصلى إنسان ، أو يظن أنه يصلى ، بينما لا توجد هذه الصلة بينه وبين الله !!
لذلك وبخ الله اليهود بقوله " هذا الشعب يكرمنى بشفتيه . أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (أش ٣٩ : ١٣) (متى ١٥ : ٨) .

إنها صلاة غير مقبولة ، لأن الله يريد القلب . أتظن أنك تصلى ، لأنك تحرك شفتيك أمام الله ؟!
وقد يكون ذلك بلا فهم ، ولا روح ، وبلا مشاعر : بلا حب ، بلا خشوع ، بلا اتضاع !!
أتريد أن ترضى ضميرك من جهة الصلاة ؟! حتى لو كانت هكذا !! أم تصلى بروحك ، و تصلى بذهنك ، تقصد كل كلمة تقولها فى صلاتك . صدق ماراسحق عندما قال عن مثل هذه الصلاة :

قل لنفسك : أنا وقفت أمام الله لكى أعد ألفاظاً .

ذلك لأن كثيرين يهمهم أن يطيلوا بغير فهم ، أو أنهم يتلون عدداً كبيراً من المزامير ، بسرعة لا تأمل فيها ، ولا يتابعون معنى الألفاظ أثناء صلاتهم !!

و المزامير كلها روحانية ، لكنهم يقتصرون على الحرف .

وبالمثل يرددون كلمات التسبحة فى الابصلمودية بسرعة عجيبة ، لا يتابعون فيها المعنى . وكذلك بالنسبة إلى كثير من الأبحان . المهم أمامهم هو الحرف وليس الروح . والشعور بأن الإنسان أدى (قانونه) فى الصلاة ، واستراح ضميره بذلك ، بينما لم تصعد هذه الصلاة إلى الله ، لأنه لم تكن هناك صلة ، ولم تشترك الروح فيها ولا القلب .

أما الإنسان الروحي فيقول مع الرسول " اطلى بالروح ، اطلى بالذهن أيضاً " (اكو ١٤ ك ١٥) •
"أرتل بالروح ، وارتل بالذهن أيضاً " ••

القبلة المقدسة

نسمع فى القداس عبارة " قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة " • و القبلة هى تعبير عميق عن الحب
وعبارة " مقدسة " تعنى أنها تكون طاهرة وبغير رياء ••
ويسلم كل منا على من يجاوره ، رمزاً إلى سلامة مع الناس جميعاً •• فهل تقتصر على هذا الشكل
أو هذا الحرف؟! بينما لا يكون سلام فى قلوبنا مع الناس!!

يهودا الاسخريوطى قبل السيد المسيح •

بالحرف لا بالروح ، و الحرف يقتل •• مظهر خارجى يدل على المحبة ، تختفى وراءه خيانه ••
لذلك تحرم الكنيسة التقبيل من أربعاء البصخة ، احتجاجاً على قبلة يهوذا الخائنة •
* * *

وأنت كلما تقابل أناساً تبدأً بالسلام •

أهى حرفية كلمة سلام ؟ أم هو سلام حقيقى بالمعنى الروحي ؟ •• ما أكثر ما تقول من كلام ، ومن
تحيات ، ومن مجاملات ، بمجرد الحرف ، وبلا روح •

ماذا يفعل الإنسان الروحي إذن ؟ أيمتنع عن المجاملات ؟ كلا ، بل تكون بالروح و الحق ••

تدل على الحب و التعاطف وحسن التعامل مع الناس وتوقيرهم •• يفعل هذا من كل القلب ، وتظهر
مشاعره واضحه فى ملامح وجهه ، وفى نظرات عينيه وفى حرارة أفاظه • إنها بالروح لا بالحرف



الإنسان الذى يعطى أولاً من قلبه ، بكامل حبه ، قبل أن يعطى من ماله ومن جيبه • عطاؤه هو
مجرد تعبير عن مشاركته القلبية فى احتياجات الناس ، وفى احتياجات الكنيسة

ولكن بعض الناس قد يقدمون العطاء بغير مشاعر لمجرد التنفيذ الحرفى للوصية ••!

وينسون قول الكتاب " المعطى المسرور يحبه الرب " (٢كو ٩ : ٧) •• العطاء يبدأ من القلب ،
وليس بمجرد اليد • و المعطى روحياً هو الذى يفرح حينما يعطى ، لأنه يشعر أنه اشترك فى اسعاد
الناس ، أو أخذ بركة المساهمة فى احتياجات الكنيسة •
* * *

غير أن البعض يحاسبون الله حساباً عسيراً!!

يقتصرون على العشور ، إن دفعوها!! ويدققون فى حساباتهم جداً ، حتى لا يزيد العطاء عن
العشور •• وقد يدخلون فيها بعض واجباتهم الاجتماعية اللازمة نحو الأقرباء و المعارف ، وما
اضطروا لدفعه من مناسبات معينة لبعض المشروعات ولشئون الخدمة •

ويظهر أن القلب غير مشترك فى العطاء ••

وأن محبة المحتاجين غير مرتبطة بالعطاء • بل قد يصحبه تحقيق شديد معهم ، وربما انتهار
للفقراء ، وربما شئ من التعالى و الكبرياء ، وربما تأخير هذا العطاء فترة قد تطول •
ونظن أننا نعطى • وننسى عبارة " من يدك أعطيناك " (١ أى ٢٩ : ١٤) • وكأن العطاء مجرد
ضريبة ندفعها •

الخدمة

أحياناً نأخذ من الخدمة حرفيتها أو شكليتها . ونظن أننا نساهم فى عمل الكنيسة ، دون أن ندخل إلى روح الخدمة . بل حتى من جهة الحرف ننسى المعنى الحرفى لكلمة خادم .

• ننسى الالتزام اللازم للخدمة •

وتصبح الخدمة مجالاً لإظهار الذات ، ويختلط بها حب السيطرة و النفوذ ، و التنافس بين الخدام ، الأمر الذى لا يتفق مطلقاً مع كلمة (خادم) . وكأنا فى الخدمة نركز حول ذواتنا ، وليس حول

ملكوت المسيح الذى قال عنه يوحنا : " **ينبغى أن ذاك يزد وأنى أنا أنقص** " (يو ٣ : ٣٠) •

وتصبح الخدمة مجرد معلومات يلقيها خادم مدارس الأحد ، أو مجرد أعمال إدارية ومالية يقوم بها مجلس الكنيسة ولجانه . أو مجرد أنشطة تقوم بها الهيئات العاملة فى الكنيسة . وفى كل هذا ننسى روح الخدمة .

* * *

أما الإنسان الروحى فيخدم عن حب لله ولملكوته • وحب للناس الذين يريد أن يوصلهم إلى الله

• والملكوت •

إنه يخدم بروح الخادم ، وبروح الخدمة ، لكى يصلح المخدمين مع الله ، أو يعمق محبتهم له . ولذلك فخدمته تكون خدمة روحية ، وليست مجرد نشاط أو تعليم أو رسميات ، أو مراكز !

يوم الرب

تقديس يوم الرب هو وصية قديمة ، نفذها اليهود حرفياً ، طاعة لقول الرب " أما اليوم السابع ففيه سبت للرب . ولا تعمل فيه عملاً ما " (خر ٢٠ : ١٠) . بالحرف هو أنك لا تعمل عملاً ما .

أما بالروح فهو سبت للرب ، أى راحة للرب • يستريح فيه الرب معك وتستريح أولاده أيضاً •

* * *

وهذا ما يفعله الإنسان الروحى ، حيث يجد راحته فى إراحة الناس ، وفى راحة قلبه مع الله وفى عمل الخير الذى يستريح به ضميره من نحو نفسه ومن نحو غيره . وبهذا يصبح اليوم سبتاً أى راحة حسب مفهوم الكلمة لغوياً وروحياً . وهذه النقطة كانت موضع جدل بين السيد المسيح و

اليهود : **هل يحل فعل الخير فى السبت ؟ (مت ١٣ : ١٠ ، ١٢) •**

وكانت اجابة الرب أنه يحل فعل الخير فى السبت ، لأن فعل الخير يريح الناس وهذا هو روح الوصية . .

إن لا تقتصر على الحرف ، الذى هو عدم عمل أى عمل من الأعمال ، حتى لو كان خيراً . . !
لأنك بهذا تريح روحك ، ولا تريح الناس .

الطقوس

الإنسان العادى ، السطحى غير العميق ، ربما لا يدرى الروحيات الكامنة فى كل طقس من طقوس الكنيسة . .

أما الإنسان الروحى ، فيدخل إلى الأعماق هذه الطقوس ورموزها ، وبشترك بروحه فيها . .
ويتابع بالروح تحركات الشمامسة والآباء الكهنة .

* * *

فمثلاً حينما يحمل الكاهن الإنجيل فوق رأسه ، يدور به حول المذبح ، يدرك الإنسان الروحى أن هذه الدورة تشير إلى انتشار الإنجيل فى المسكونة كلها . . ويصلى بقلبه من أجل هذا . .
وحينما يمسك الشماس شمعة أمام الإنجيل ، يتذكر الإنسان الروحى قول المرتل فى المزمور : " سراج لرجلى كلامك ونور لسببلى " (مز ١١٩) . ويصلى إلى الله أن ينير بصيرته بما يسمعه من كلامه المقدس .

وحينما يرفع رئيس الكهنة تاجه خشوعاً واحتراماً أثناء قراءة الإنجيل ، ينتقل نفس الخشوع إلى قلب الإنسان الروحى وهو يسمع . . وبصفة عامة تشترك روحه فى صلوات القديس وفى كل صلوات الليتورجيات . ولا يقتصر فقط على الاشتراك بحواسه ، وإنما بقلبه أيضاً وروحه ، لأن الروح هو الذى يحيى . .

ونفس الوضع بالنسبة إلى الأعياد . .

الإنسان الروحى لا ينظر إلى العيد كمجرد يوم فرح ، انتهى الصوم فيه ، كما يفعل الكثيرون . إنما يدخل إلى روحانية المناسبة التى من أجلها نحتفل بالعيد ، ويتأملها ويعيش فيها . وفى عيد الميلاد ، يفرح لأنه البدء العملى لقصة الخلاص ، ويفرح بما فيها من اتضاع وحب ويفرح فى عيد القيامة بما يحمل من الانتصار على الموت ، وفتح باب الفردوس ، ولأنه باكورة القيامة لنا جميعاً .

العقيدة

هى بالنسبة إلى الإنسان العادى ، ربما تكون مجرد لاهوتيات وأمور عقلية ربما تصبح معه موضع جدل مع الطوائف الأخرى . أما بالنسبة إلى الإنسان الروحى ، فهى إيمان يسرى فى دمه ، وله تأثيرها على روحياته .

فالمعمودية مثلاً ، إذ يؤمن أنها موت مع المسيح وقيامه (رو ٦ : ٤ : ٨) وفيها صلب للإنسان العتيق (رو ٦ : ٦ ، ٤) ، يحرص أن يحتفظ بصلب هذا الإنسان العتيق . وإذ يعرف أن المعمودية ميلاد جديد (يو ٣ : ٥) (تى ٣ : ٥) ، يتذكر قول الرسول إن المولود من الله لا يفعل خطية . . ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله (ايو ٣ : ٩) . فبيكت نفسه كلاً خطأ ، ويحاول أن يحيا فى فاعلية المعمودية . .

وهكذا مغ باقى أسرار الكنيسة .

يدرك النعمة التى فى كل سر ، ويحيا فيها . .

الباب التاسع

الإنسان الروحي

بين الروح
و النفس و الجسد

الإنسان الروحي يرتفع فوق مستوى الجسد و الجسدانيات ، ولا يسلك حسب الجسد .

وفى ذلك قال القديس بولس الرسول " لاشئ من الدينونة الان على الذين هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح ، (رو ٨ : ١) وقال أيضاً " إن عشتم حسب الجسد فستموتون ولكن إن كنتم بالروح تميئون أعمال الجسد فستحيون " (رو ٨ : ١٣) . وشرح هذا الأمر بقوله " الذين هم حسب الجسد ، فيما للجسد يهتمون . ولكن الذين حسب الروح ، فيما للروح . لأن اهتمام الجسد هو موت . ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام . لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله " (رو ٨ : ٥ - ٧) . و هنا يواجهنا سؤال

* * *

هل الجسد خطية ؟ و الجواب : كلا فلماذا ؟

* إن الجسد ليس شراً فى ذاته ، وإلا ما كان الله قد خلقه . لأن الله لا يخلق الشر . بل إن الله بعدما خلق الإنسان بهذا الجسد ، " رأى الله كل ما عمله ، فإذا هو حسن جداً " (تك ١ : ٣١) .
 * وإيضاً لأن الجسد يمكنه أن يشترك فى العبادة ويخدم الله . يركع ويسجد ، ويرفع نظره إلى فوق ، ويرفع يديه فى الصلاة ، ويصوم ، ويتعب فى الخدمة .
 * وهكذا فعل كثير من القديسين . اشتركت أجسادهم مع أرواحهم فى العمل الروحى ، وعاشوا فى الجسد حياة بارة . وكانت أجسادهم مقدسة .
 * و الجسد ليس شراً ، وإلا ما كان الله يقيمه ، ويمنحه نوعاً من التجلى ، فيصير جسداً روحانياً نورانياً سماوياً (اكو ١٥ : ٤٤ ، ٤٩) . يقام فى مجد .
 * ولو كان الجسد شراً ، ما كنا نكرم اجساد ورفات القديسين . وما كانت تحدث معجزات من أجسادهم ، كما حدث مع عظام أليشع النبى (٢ مل ١٣ : ٢١) .
 * إننا نكرم اجساد القديسين ، ونضع عظامهم فى ايرتنا وكنائسنا ، ونحتفى بها ، ونفرح باقتنائها ، ونبخر لها ، وندهنها بالاطياب . وننال منها بركة .
 * ولو كان الجسد شراً ، ما كان الرسول يقول : " مجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم اللتى هى لله " (اكو ٦ : ٢٠) . إذن يمكن أن يكون الجسد أداة لتمجيد الله .
 * الجسد أيضاً ليس شراً ، لأن الكتاب يقول " أستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح ؟ أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم " (اكو ٦ : ١٥ ، ١٩) " هيكل الله مقدس ، الذى أنتم هو " (اكو ٣ : ١٦ ، ١٧) .
 * * *

الجسد إذن ليس خطية ولا شراً . ولكن الخطية هى فى السلوك حسب الجسد ، فى شهواته ورغباته

الأرضية . الخطية هى فى تغليب الجسد على الروح .

مادام الجسد إذن ليس شراً ، فلماذا الحديث عن الصراع بين الجسد و الروح ؟ ولماذا إذن قول الرسول "سلكوا بالروح ، فلا تكملوا شهوة الجسد . لأن الجسد يشتهى ضد الروح ضد الجسد " (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) .

هنا لا يتحدث الرسول عن الجسد كما خلقه الله .

فأدم وحواء - قبل الخطية - كان لكل منهما جسد . وكانا يعيشان فى براءة كاملة " وكان كلاهما عربانيين ، وهما لا يخجلان " (تك ٢ : ٢٥) . والأطفال الصغار و الرضعان ، لهم أجساد وليست فيها شهوة للخطية . إنما يتحدث الرسول عن الجسد الخاطئ .
 * * *

الجسد إذن فى ذاته ليس شراً ، ولكن . . .

الجسد من تركيب مادي . وقد يميل إلى النادة وينفعل بها ، وينفصل عن سيطرة الروح ،

ويقاومها

وهنا يبدأ الصراع . وتبدأ الشهوة الخاطئة . . .

على أن احتياج الجسد المادة ، بطريقة طبيعية غير شهوانية ، ليس فى ذلك خطأ فالجسد مثلاً يحتاج إلى أطعمة مادية وإلى ألوان من التغذية ، وليس فى ذلك خطأ . بل الرسول يقول إن الإنسان " يقبى جسده ويرببه " (أف ٥ : ٢٩) . وقد طوب الرب المهتمين بالجىاع و العطاش و العرايا . . . واعتبر اهتمامهم بهؤلاء ، كأنه موجه إليه شخصياً . فقال للذين عن يمينه فى اليوم الأخير " تعالوا إلى مباركى أبى . . . لآتى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى . . . عريانا فكسوتمونى " (مت ٢٥ : ٣٥ - ٣٦) . وكلها أعمال موجهة إلى صالح الجسد . . . هذا هو نصف الحقيقية . فما هو النصف الآخر ؟

* * *

الإنسان الروحى يردد قول الكتاب : أقم جسدى وأستعبده (اكو ٩ : ٢٧) أى أقم شهوته .

أن يعطى الجسد احتياجه الطبيعى من المادة ، وليس أكثر . فبان وصل الجسد إلى اشتهاى المادة و التعلق بها ، مما يحزجه عن النطاق الروحى حينئذ فالإنسان الروحى يقمع الجسد ويستعبده ، أى يجعله عبداً للروح ، لا يتمردها عليها ، ولا يستقل عنها فى تدبير ذاته .

ويصل الإنسان الروحى إلى ذلك عن طريق النسك و الصوم و صلب الجسد .

وعن هذا الأمر يقول الرسول " ولكن الذين هم للمسيح يسوع ، قد صلبوا الجسد مع الأهواء و الشهوات " (غل ٥ : ٢٤) . هؤلاء يقاومون " شهوة الجسد ، وشهوة العين " (ايو ١٥ ، ١٦) هذه التى قال عنها الرسول إنها من محبة العالم . . . نحن لا نقتل الجسد ، فقتل الجسد خطيئة ، ولذلك لا نصلى على المنتحر ، إلا لو كان فى جنون لا يحاسب فيها عن أفعاله . . . ولكننا نعمل على قتل شهوات الجسد الخاطئة . أى أننا نخضع شهوات الجسد ، لرغبة الروح فى الالتصاق بالله .

و غرض النسك عند الإنسان الروحى ، هو منح فرصة للروح ، لتعمل عملها منطلقاً من ثقل الجسد .

الإنسان الروحى يهتم بجسده ، ولكن بأسلوب روحى . ويمتنع عن الاهتمام الذى يغذى شهوات الجسد ، الذى حذر منه الرسول (رو ٨ : ٦ ، ٧) . وحينما يقود الجسد فى حياة النسك ، لا يكتفى بهذا الوضع السلبي ، إنما من الناحية الإيجابية يجعل نسك الجسد فرصة لغذاء الروح . ويشرك الروح مع الجسد فى هذا النسك . فلا يكون مجرد زهد من الجسد ، إنما أيضاً معه زهد النفس .

* * *

والإنسان الروحى يقيم توازناً فى اهتمامه بكل من الجسد و الروح

ففيما يعطى الجسد غذاءه يعطى الروح أيضاً غذاءها ، فكما يعطى الجسد طعاماً كل يوم ، بوجبات متعددة ، وعناصر غذائية متنوعة ، كذلك يعطى الروح غذاءها من القراءة الروحية و التأمل و الصلاة و الأبحان و الترانيم ، و التناول أيضاً . . . وكما يعالج الجسد إذا مرض ، يعالج الروح أيضاً من أمراضها ، بل يلجأ إلى الوقاية بالأكثر . وكما يمنح الجسد نصيبه من الرياضة ، كذلك يستخدم الرياضة الروحية . وكما يهتم الإنسان العادى بزينة جسده وهندامه وحسن ملبسه ، كذلك يهتم الإنسان الروحى بزينة الروح الوديع الهادئ . . . ويجعل روحه تتزين بالفضائل وثمار الروح (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

* * *

الإنسان الروحى يجعل اهتمامه الأول بروحه وبأروامه الغير أيضاً .

ويتحاشى كل شئ يعطل طريق الروح ، سواء من الخطأ بالنسبة إلى نفسه ، أو العثرة بالنسبة إلى غيره . . . يهتم بسلامة روحه ، و بالنمو فى الروح . ذلك لأن روحه هى نفخه الله فيه (تك ٢ : ٧) ، بينما جسده من التراب . . . بالروح يصير مثل ملائكة الله فى السماء ، وتصير له صلة مع الله ومحبة ، و صلة مع العالم الروحانى من الملائكة و القديسين .

* * *

وباهتمامه بروحه يعود إلى الصورة الإلهية التي خلقه بها الله منذ البدء (تك ١ : ٢٧) •

على شبه الله ومثاله (تك ١ : ٢٦) ما أروع هذا !
وباهتمامه بروحه ، إنما يهتم أيضاً بأبديته ، تلك الأبدية التي لا يقاس بها أبداً هذا العمر المادى على الأرض • وباهتمامه بروحه أيضاً ، إنما يدخل في شركة الروح القدس ويعمل مع الله • •

* * *

وهنا نسأل سؤالاً أساسياً : ما هي الحياة الروحية : ونلخص هذه الحياة في أمرين اثنين :

١- أن يخضع الجسد للروح •

٢- أن تخضع روح الإنسان لروح الله •

في هذين الأمرين الأساسيين تتلخص كل حياة الإنسان الروحي •
يخضع الجسد للروح ، فلا يقاومها ، ولا يشتهدى ضد ما تشتهدى الروح ، ولا يدخلها في صراع معه ، كما يحدث مع المبتدئين وغير الكاملين • هذا كله من الناحية السلبية • أما من الناحية الإيجابية ، فيشترك الجسد مع الروح في عملها الروحي • وبهذا يكافأ الجسد مع الروح في الحياة الأبدية ، لأنه اشترك مع الروح في عمل البر • وسلك في حياة الروح ، فيستحق لذلك أن يصير جسداً روحانياً (اكو ١٥) •

* * *

كذلك نقول إن روح الإنسان تخضع لروح الله ، لأن الروح البشرية وحدها لها أخطاؤها •

فليست كل أخطاء الإنسان سببها الجسد ، بل هناك أخطاء للروح • و الكتاب يقول " قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح " (أم ١٦ : ١٨) • ونحن نصلى من الساعة الثالثة ونقول " طهرنا من دنس الجسد و الروح • • " ونقول في القداس الإلهي طهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا و الشيطان ، وهو روح ليس له جسد مادى ، له سقطاته وخطايا المستمرة • فقد وقع في الكبرياء (اش ١٤ : ١٤) • وقد صار المقاوم المتمرد ، وسماه الرب " الكذاب وأبو الكذاب " (يو ٨ : ٤٤) • ونقول في القداس الإلهي " والموت الذى دخل إلى العالم بحسد ابليس " • إذن وقع وهو روح في خطية الحسد وطبعاً وقع في اعثار الآخرين وتضليلهم • • كل ذلك وهو روح • لذلك هو وشياطينه يسميهم الكتاب الأرواح الشريرة ، والأرواح النجسة •

* * *

الروح إذن يمكن أن تخطف ، إذا انفصلت عن الله • نحتاج الروح إذن إلى شركة الروح القدس •

لذلك منحنا الله المسحة المقدسة (ايو ٢ : ٢٠ ، ٢٧) ، التي بها يسكن روح الله فينا ، ويكون معنا إلى الأبد ، ويرشدنا إلى كل الحق (يو ١٦ : ٣) • ويعلمنا كل شئ (يو ١٤ : ٢٦) ويبيكتنا على الخطية (يو ١٦ : ٨) وباختصار فإن حياتنا الروحية كلها تتوقف على عمل الروح القدس فينا ، واستجابتنا لعمله ، واشترانا معه في العمل • •

* * *

الإنسان الروحي لا يعمل وحده ، إنما روح الله يعمل فيه ، ويعمل معه ويعمل به •

إنه أداة في يد الله ، وأداة طيبة • هو غصن في الكرمة (يو ١٥ : ١) تسرى فيه عصارة الكرمة ، ويأخذ منها حياة • والله يعمل فيه ، وبدون الله لا يستطيع أن يعمل شيئاً (يو ١٥ : ٥) • سلوكه بالروح ، لا يعنى بروحه البشرية وحدها ، وإنما باشتراك روحه مع روح الله في العمل • وعلى هذا الأساس وحده ، يسمى أنساناً روحياً •
روح الله هو الذى يوجهه ويرشده ، وهو الذى يمنحه الحرارة الروحية ، وهو الذى يمنحه المواهب والامكانيات التى يعمل بها ، ويهبه أيضاً القوة و القدرة •

* * *

والإنسان الروحي له الروح المطبحة ، لا يحزن روح الله ، ولا يقاومه ، ولا يطفئ الروح •
إنه لا يدعى لنفسه أنه أعمل عملاً من ذاته • إنما يسجد أمام الله قائلاً : لتكن يا رب مشيئتك • أنا
من ذاتي لم أعمل شيئاً " فكل شئ بك كان • وبغيرك لم يكن شئ مما كان " (يوا : ٣) •

المستوى الروحي والمقارنة

بالمستوى النفساني والمستوى الجسداني

الروحانية هي أولاً السلوك بالروح •

وقد ورد الكثير عن هذا الأمر في رسالة بولس الرسول إلى رومية إذ قال " لا شئ من الدينونة الآن
على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح " (رو ٨ : ١)
• وقال أيضاً " فإن الذين هم حسب الجسد ، فبما للجسد يهتمون • ولكن الذين حسب الروح ، فبما
للروح (يهتمون) • لأن اهتمام الجسد هو موت • ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام • لأن
إهتمام الجسد هو عداوة لله • فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله •
* * *

إذن الروحانية هنا هي ارتفاع عن مستوى السلوك بالجسد •

هنا وأحب أن أقول لكم إن الإنسان يتكون من ثلاثة عناصر: الروح و النفس و الجسد • وقد وضع
القديس بولس هذا الأمر ، حينما قال في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي " إله السلام نفسه يقسمكم
بالتمام • و لتحفظ روحكم ونفوسكم وجسدكم كاملة بلا لوم •• " (١ تس ٥ : ٢٣) •
إذن الإنسان يتكون من روح ونفس وجسد • وهنا نقول إن الإنسان الروحاني لا يسلك حسب الجسد
ولا حسب النفس • السلوك حسب الجسد واضح جداً للجميع ••
كالإنسان الذي يسلك في شهوات الجسد كشهوة الزنى ، أو شهوة الطعام ، أو شهوة الملابس •• الخ
ولكن ماذا إذن عن السلوك النفساني ؟ نقول أولاً :

* * *

لقد حارب الآباء الرسل السلوك النفساني وأدانوه

فالقديس يهوذا الرسول يقول في رسالته " إنه في الزمان الأخير سيكون قوم مستهزون سالكون
بحسب شهوات فجورهم • هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم نفسانيون لا روح لهم " (يه ١٨ : ١٩)
لاحظوا إذن قوله :

نفسانيون ، لا روح لهم •

هؤلاء " سالكون بحسب شهوات فجورهم " • ولعله يفهم من هذا أن شهوات الجسد تقودها عوامل
نفسانية خاطئة ، بعيدة عن اتجاه الروح ••
و القديس يعقوب الرسول يفرق بين الحكمة الإلهية ، وحكمة أخرى يقول عنها إنها " ليست نازلة
من فوق بل هي أرضية نفسانية شيطانية " وإنها تسبب الغير المرة و التحزب و التشويش وكل أمر
ردئ (يع ٣ : ١٤ - ١٦) •• لاحظوا أن وصف نفسانية ارتبط أيضاً بعبارة " أرضية شيطانية "
•• ما أصعب هذا الوصف ••

ربما هذا التفصيل غير مستخدم كثيراً • فالناس غالباً ما يتحدثون فقط عن السلوك الروحاني ، و
السلوك الجسدي • ونادراً ما يتحدثون عن السلوك النفساني الممقوت ••

* * *

الإنسان النفساني تقوده النفس وغرائز النفس وعقلية النفس ومشاعرها بدون روح •

وهذا أمر فيه أخطاء وخطايا كما سنرى .
والإنسان الجسداني تقوده شهوات الجسد ورغباته . فماذا إذن عن الإنسان الروحاني
* * *

الإنسان الروحاني يتصف بصفتين وهما :

١- يبتصر على الجسد وعلى النفس ، ويسلك حسب الروح .

٢- الصفة الثانية أن روحه تخضع لروح الله .

يوجد إنسان في داخله صراع بين شهوات الجسد وشهوات الروح (غل ٥ : ١٦ ، ١٧) . أما
الروحاني فقد خضع فيه الجسد تماماً للروح . ولكن هذا وحده لا يكفي ، لأن أخطاء الإنسان ليس
سببها فقط شهوات الجسد . فهو قد يخطئ بروحه وحدها . ولا تتعجبوا من هذا فالشيطان روح ،
ومع ذلك فقد أخطأ . فهو روح متمردة وروح شريرة .

و الكتاب يتحدث كثيراً عن الأرواح الشريرة .

و السيد المسيح أعطى تلاميذ سلطناً على اخراج الأرواح الشريرة ، أى أرواح الشياطين . إذن
ممكن أن الأرواح لا تخطئ . وممكن أن الإنسان يخطئ بروحه .

أما الإنسان الروحي ، فإنه لا يخطئ بروحه ، لأن روحه خاضعة تماماً لروح الله .

إذن الإنسان الروحي : نفسه وجسده يخضعان لروحه ، وروحه تخضع لروح الله .

ولذلك نقرأ في الرسالة إلى رومية عبارة جميلة جداً وهي " لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك
هم أولاد الله " (رو ٨ : ١٤) . هؤلاء هم الروحانيون ، الخاضعون لروح الله . الذين يقودهم
روح الله ، وهم طائعون لقيادة روح الله . ولكي تنقاد بروح الله ينبغي أن يكون روح الله ساكناً فيك

من أجل هذا ، جعل الله روحه يسكن فينا .

فقال الكتاب " أما تعلمون أنكم هيكل الله ، وروح الله ساكن فيكم " (١ كو ٣ : ١٦) . وروح الله
الذي فيك يعطى روحك معرفة ، ويعطيها إرشاداً . يقودها في الطريق . يوبخها على خطية ،
ويحثها على الخير ، ويذكرها بكل ما قاله الرب ويعلمها كل شئ (يو ١٤ : ٢٦) .

لذلك الكنيسة تمنحك المسحة المقدسة ، مسحة الروح .

وعن هذه المسحة تحدث القديس يوحنا الحبيب مرتين في رسالته الأولى ، فقال " وأما أنتم فلنكم
مسحة من القديس و تعلمون كل شئ " " وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ، ثابتة فيكم " (١ يو
٢ : ٢٠ ، ٢٧) . ونحن ننال هذه المسحة في سر الميرون المقدس . وكانوا ينالونها في بداية
العصر الرسولي بوضع اليد .

* * *

إذن تعتمد على قيادة روح الله لك ، وليس على الحكمة البشرية وحدها الحكمة البشرية وحدها هي
جهالة عند الله (١ كو ٣ : ١٩) . وقد شرح القديس بولس الرسول هذا الأمر بعمق شديد وتفصيل ،
في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ، في الاصحاح الثاني .

أمثلة للمستويات الثلاثة

الشهوة

هناك شهوات للجسد و النفس و الروح .
شهوة الجسد هي الخطية كشهوة الحواس ، شهوة الزنى ، وشهود البطن .
وشهوة النفس أحياناً تكون نوعاً من حب الذات وحب النفس . ولنضرب مثلاً فى كل ذلك

بسليمان الحكيم :

لقد سلك فى هذه الشهوات فقال " مهما إشتهته عيناى ، لم أمنعه عنهما " (جا ٢ ك ١) . وشرح تفاصيل ذلك فقال " بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت لنفسى جنات وفراديس ، و غرست فيها اشجاراً من كل نوع ثمر . عملت لنفسى برك مياه ، قنيت عبيداً وجوارى . . . جمعت لنفسى فضة وذهباً . . . اتخذت لنفسى مغنين ومغنيات و تنعمات بنى البشر سيدة وسيدات " (جا ٢ : ٤ - ٨) .

هنا شهوة الجسد ، وشهوة العيون ، وشهوات باقى الحواس . . هذه هي شهوة الجسد ، ووجدنا

باطلة وقبض الريح .

وماذا إذن عن شهوات النفس ؟ يقول " لم أمنع قلبى من كل فرح . لأن قلبى فرح بكل تعبى . و هذا كان نصيبى من كل تعبى . . . " . . . وهنا نقول :

فرح سليمان بكل غناه وشهوات جسده كان فرحاً نفسانياً .

ولم يكن فرحاً روحياً على الاطلاق . فما هو الفرح الروحى ؟



الفرح النفسانى ، هو فرح بشهوات الجسد ، كما فرح سليمان بكل متعه وغناه أما فرح الروح فهو

الذى يقول عنه الكتاب : " **افرحوا فى الرب كل حين . . .** " (فى ٤ : ٤) .

تقرأ عن فرح سليمان فى (جا ٢) . فلا تجد اسم الرب إطلاقاً . . . ! إنه فرح بالجنات و الفراديس ، والشجر ، و البقر ، و الذهب ، و الفضة ، والسيدات و المغنيات . . . وليس بروحه وصله روحه بالله . إنه مجرد فرح نفسانى ، باطل وقبض الريح ، لهذا نحن نفرق فى أمور الفرح بين تعبيرات عديدة مثل اللذة (وهى خاصة بالجسد و الحواس) ، و السرور ، و الفرح (وبعضها خاص بالنفس والآخر بالروح) .

الفرح بالرب هو فرح روحانى :

تفرح لأنك عرفت الله ، تفرح لأن لك صلة بالله وعشرة ، تفرح بسكنى روح الله فيك وارشاده لك . تفرح لأنك نلت مذاقة الملكوت ، تفرح لانتصار روحك التى حررها الله (يو ٨ : ٣٦) . تفرح لأنك استطعت أن توصل الناس على الله .

* * *

تلاميذ المسيح وقعوا أحياناً في الفرح النفساني .

إنه فرح من نوع فرح سليمان ، بل هو نوع أرقى منه ، ولكنه مرفوض أيضاً . رجع السبعون إلى الرب فرحين ، بعد إرساليتهم التبشيرية ، وقالوا له " حتى الشياطين يا رب تخضع لنا باسمك " (لو ١٠ : ١٧) فوبخهم الرب على هذا الفرح النفساني ، وقال لهم " لا تفرحوا بهذا ، إن الأرواح تخضع لكم . بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت في السموات " (لو ١٠ : ٢٠) . وهكذا فرق الرب بين نوعين من الفرح : نوع وبخ عليه ، ونوع دعا إليه .

* * *

مثال آخر وهو فرح البعض بموجبة الألسن وما يشابهها .

إنه فرح بشئ يمجده أمام الناس ويرفع شأنه !! يريد أن يتعظم على حساب مواهب الله . . . وكان الفضل أن يهتم بنقاوة قلبه وامتلاء القلب بثمار الروح . وفي ذلك قال الرسول " لو كنت اتكلم بالألسنة الناس و الملائكة ، وليس له محبة ، فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن " (١ كو ١٣) .

* * *

إذن افرح بثمار الروح ، أكثر تفرح بالمواهب .

ثمار الروح التي هي " محبة وفرح وسلام ، وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف " (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . وهذه توصلك إلى الملكوت بينما المواهب والآيات و الرؤى ربما لا توصل . . . يقول السيد الرب :

" كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم " يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة . فحينئذ أصرح لهم : إني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني با فاعلى الإثم " (متى ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

قيل عن القديس يوحنا المعمدان ، إنه لم يصنع آية واحدة (يو ١٠ : ٤١) . ومع ذلك شهد له الرب إنه أعظم من ولدته النساء (يو ١١ : ١١) . وفي التبشير بمولده قيل عنه إنه " من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس " (لو ١ : ١٥) . فلا تفرح إذن بالآيات .

القديس بولس الرسول خاف من كثرة الرؤى والاستعلانات .

لأنها خطيرة ، ربما ترفع قلبه . ولذلك قال " وأثلاً ارتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت شوكة في الجسد ، ملاك الشيطان ليظمني لئلا ارتفع " (٢ كو ١٢ : ٧) . وصلى ثلاث مرات أن يرفع الله عنه هذه الضربة ، ولم تقبل صلاته في ذلك . . .

* * *

أم يعقوب ويوحنا الرسولين وقعت في الفرح النفساني الباطل .

فجاءت إلى السيد الرب تطلب إليه أن يجلس أحد إبنيه عن يمينه ، والآخر عن يساره في ملكوته (متى ٢٠ : ٢٠ ، ٢١) . ولكن الرب لم يشأ أن يكون لها فرح بالعظمة ، بل أن يكون لإبنيه فرح بالألم . فقال لهما " لستما تعلمان ما تطلبان . أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها ، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها " (متى ٢٠ : ٢٢) .

* * *

حقاً إن الفرح بالألم هو جزء من الفرح الروحي .

ولذلك بعدما سجنوا التلاميذ وجلدوهم ، يقول الكتاب عنهم " وأما هم فذهبوا فرحين ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه " (أع ٥ : ٤١) . ويقول القديس بولس الرسول " لذلك أسر بالضعفات و الشتائم و الضرورات والاضطهاده لأجل المسيح " (٢ كو ١٢ : ١٠) . وهكذا كان سرور الشهداء و المعترفين القديسين بملاقة العذابات و الموت . إنه فرح روحاني .

* * *

إن الذى يفرح بأن ينال موهبة المعجزات والآيات ، هو ما يزال فى مستوى الفرح النفسانى • أما

الفرح الروحانى ، فهو الفرح بالرب وليس بمواجهه ، وما تجلبه المواهب من عظمة ••

***ولعل من الأمثلة البارزة تلك القديسة العظيمة التى ذبحوا أبناءها الخمسة على حجرها وهى تشجعهم على الاستشهاد ، لكى يفرحوا مع الرب فى ملكوته • وهى أيضاً فرحت باستشهادهم ••**

الباب العاشر

الإنسان الروحي

من صفاته : ضبط النفس

من ضمن الصفات الأساسية التي يتصف بها الإنسان الروحي " ضبط النفس " . فهو لا يترك نفسه تخضع لرغبات الجسد وشهواته بل كلما اشتتهت نفسه شهوة خاطئة ، يخضعها بكل حزم لقيادة

الروح . و كما يقول الكتاب : **"مالك روحه خير ممن يملك مدينة" (أم ١٦: ٣٢) .**

يملك نفسه أو يضبطها ، أى لا يعطيها كل ما تريد . بل يقف ضدها ، عملاً بقول السيد الرب " من يحب نفسه يهلكها . ومن يبعض نفسه فى هذا العالم ، يحفظها إلى حياة أبدية " (يو ١٢ : ٢٥) .
إن ضبط النفس يشمل بلا شك عناصر كثيرة :

- ١- ضبط اللسان .
- ٢- ضبط الفكر .
- ٣- ضبط القلب ، يضبط الرغبات و الشهوات .
- ٤- ضبط الأعصاب .

صبط البطن من جهة الأكل .

* * *

و الذى يحكم نفسه ، يجعلها خاضعة لقيم ومبادئ ، وأنظمة وقوانين . لأن الذى لا يحكم نفسه ، إنما يسلمها فى الواقع إلى الضياع . .

و الذى يضبط نفسه ، يجبها المحبة الحقيقية . .

لأن الذى يدلل نفسه ، يضيعها ويضيع غيرها معها . أما الذى يكون حازماً مع نفسه ، فإنه بهذا الحزم ينقذها ، وينقذ غيرها منها ، ويحفظها فى علاقة طيبة مع الله وينظم اهتماماته وعلاقاته هكذا : الله ، الناس ثانياً ، نفسه أخيراً . .

ضبط اللسان

الإنسان الروحي لا يتكلم بكل ما يأتى على فكره من كلام و أفكار . بل يزن كل كلمة قبل أن يقولها وميزانه لا يقتصر فقط على كنه الكلمة هل هى فى حد ذاتها خطأ أم صواب . .
إنما يهيمه أيضاً تأثير الكلمة على الآخرين ، ودود فعلها ، ونتائج ذلك . .

فالذى يعرف نتائج أخطاء اللسان ، وأى نار يحرق ، وكيف يدنس الجسم كله (يع ٣ : ٥ ، ٦) . .
هذا الإنسان يحترس جداً قبل أن يتكلم ، ويقول : **" ضع يا رب حافظاً لى ، وبابا حصينا لشفتى ")**

مز ١٤١ : ٣) .

إنه يعرف أن الكلمة التي تخرج من فمه ، لا يمكن أن ترجع مرة أخرى ، لأنها قد وصلت إلى آذان السامعين وحسبت عليه ، مهما حاول أن يسحبها أو يعتذر عنها أو يحاول إصلاح نتائجها ! . . بل أصبحت سبباً للدينونة ، حسب قول الرب إنه " بكلامك تتبرر ، وبكلامك تدان " (مت ١٢ : ٣٧) .

ضبط الفكر

الإنسان الروحي ، كما يضبط لسانه ، يضبط فكره أيضاً . فلا يترك عقله يسرح فى أى فكر ، ولا يقبل أى فكر خاطئ يأتى إليه ، بل يطرده بسرعة ، ولا يتساهل أبداً معه . .

كذلك لا يقبل الأفكار التي تبدو بسيطة فى أولها ، ثم تتدرج إلى ما لا يليق . . إنه يكون حازماً مع هذه الأفكار التي تلبس ثياب الحملان وهى ذئاب خاطفة . . ويقول فى داخله عن الشيطان ، مثلما قال الرسول " نحن لا نجهل أفكاره " (٢ كو ١١ : ١١) .

وإن خدعه فكر ثم اكتشفه ، يوقفه بسرعة •

لأن التمشي مع الفكر خاطئ خيانة للرب ، وإعطاء الفكر لأن يثبت أقدامه ، ويكبر ويتطور ، إلى أن يؤثر على القلب ، ويتحول إلى شهوة فيه • فالأفضل التخلص منه من بادئ الأمر •
والإنسان الروحي لا يكتفى بضبط الفكر ومنعه من الخطأ ، إنما بالأكثر يشغل عقله بأفكار روحية نقية • حتى إذا جاء الشيطان ليحاربه بفكر ردي ، يجد عقله منشغلاً بتأمل روي وغير متفرغ له •• ويستطيع الجو الروحي الذي في عقله ، أن يمنع أي الفكر خاطئ من لاقتراب إليه •• كحصن حصين ••

ضبط الحواس

لما كانت الحواس هي أبواب للفكر •• ، لذلك فالإنسان الروحي يضبط حواسه • لكي يضبط فكره فهو يحفظ عينيه ، ويحفظ سمعه • وإن وصل إلى حواسه شيء يجلب الفكر يخليه خارجاً بسرعة •
يلجأ إلى سياسة الاحلال • فيضع فكراً بدلاً من فكر •
كما كان القديس الأنبا يوحنا القصير يفعل ، إن سمع شيئاً غريباً •• أو كما قال الأنبا أور لتميذه " أنظر با أبنى ، لا تدخل هذه القلاية كلمة غريبة " ••

ضبط الأكل و الشرب •

كثيرون يهتمون بضبط أنفسهم فيما يختص بالأكل بما اصطلح على تسميته بالريجيم ، لتخفيف الوزن إما للعلاج من السكر ، أو من الكلوسترول ، أو بسبب مرض القلب ، أو لتحاشي السمنة •• إلخ •
أما الإنسان الروحي فيضبط نفسه في الأكل و الشرب لأسباب روحية ، يدخل فيها النسك و الصوم • ويتخذ من ضبطه لنفسه وسيلة لإخضاع الجسد ، لكيما يعطي فرصة للروح ••
* * *

إن أمانا حواء لم تضبط نفسها من جهة الأكل ، فخالفت وصية الرب وأكلت من الشجرة المحرمة ، وهكذا فعل ابونا آدم أيضاً •• وكانت الخطيئة الأولى ••
وسبق ذلك السقوط عدم ضبط الحواس ، سواء في السماع للحية ، أو في النظر إلى الشجرة المحرمة ، وهكذا فعل ابونا آدم أيضاً •• وكانت الخطيئة الأولى ••
وسبق ذلك السقوط عدم ضبط الحواس ، سواء في السماع للحية ، أو في النظر إلى الشجرة ، فإذا هي " جيدة للأكل ، وبهجة للعيون ، وشهية للنظر " (تك ٣ : ٦) •• حقاً إن خطيئة يمكن أن تقود إلى خطيئة أخرى •• فنتنقل من الحواس ، إلى الفكر ، إلى القلب ، إلى العمل •

من جهة الغضب

أو ما يمكن أن نسميه " ضبط الأعصاب " •
الإنسان الروحي يحاول أن يبعد عن الغضب ، عملاً بقول الكتاب " إن غضب الإنسان لا يصنع بر الله " (يع ١ : ٢٠) •
وإن وجد الغضب تحرك في قلبه ، لا يتركه يسيطر على لسانه وعلى أعصابه

وهكذا يبذل جهده فى السيطرة على الألفاظ فى وقت الغضب . إما أن يصمت ، أو يتحكم فى كلامه ، أو بالأكثر يصرف الغضب من داخل قلبه . . وبكافة الطرق يحاول أن يهدئ نفسه ، فلا يثور ، ولا يرتفع صوته ، ولا يحتد . . كما يحاول أن يهدئ ملامحه أيضاً . . ويعمل بقول الرسول " ليكن كل إنسان مبطناً فى التكلم ، مبطناً فى الغضب " (يع ١ : ١٩) . فالذى يسرع إلى الغضب ، يقع فى التهور ، ويسقط فى خطايا كثيرة . وقد يتصرف تصرفات يندم عليها جداً حينما يهدأ . ويشعر أنه فى غضبه قد فقد صورته الإلهية ، وصار عثرة لكثيرين . .

* * *

والإنسان الروحي لا يكتب خطاباً فى ساعة غضب . ولا يتخذ قراراً فى ساعة غضب .

ولو كتب خطاباً فى وقت غضبه ، لا يسرع بإرساله ، إنما يتركه يوماً أو يومين ، ثم يعود إلى قراءته و تنقيحه ، أو يمزقه ويكتب غيره ، حتى لا يصبح وثيقه خطية ضده ، و تكون له نتائج غير المرضية . وبالمثل بالنسبة إلى القرارات التى يتخذها إنسان فى ساعة غضب ، وتسمى قرارات انفعالية ، غالبيتها مخطئة وغير حكيمة . ويقول الكتاب إن " الغضب يستقر فى حزن الجهال " (جا ٧ : ٩) .



والإنسان الروحي يضبط نفسه أيضاً من جهة العقيدة والتعليم :

فلا يسرع بنشر أى فكر يدخل على ذهنه ، نتيجة للقراءة مثلاً . . فيعلم به ، أو يكتبه فى مقال ، أو يصدره فى كتاب ، أو يلقيه فى دروس . . فكثير من الأفكار تحتاج إلى فترة حضانة طويلة ، يأخذ فيها الإنسان مع الفكر ويعطى ، ويناقش الفكر داخل ذهنه ، قبل أن يصدره إلى أذهان الناس . .

الفكر داخل ذهنك هو تحت سيطرتك . فإذا نشرته ، أصبح تحت سيطرة الناس .

خرج من نطاقك إلى نطاق أوسع ، يحكم فيه عليه وعليك . وما أصدق القديس مقاريوس الكبير حينما قال " احكم يا أخى على نفسك ، قبل أن يحكموا عليك " ولعله أخذ هذه العبارة من القديس بولس الرسول " لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا " (١ كو ١١ : ٣١) . لذلك فافنسان الروحي يضبط نفسه ، فهذا خير من أن يضبطه غيره . .



وهو يضبط نفسه أيضاً من جهة الالتزام ، ومن جهة الطاعة و الخضوع لأن هناك نوعاً من الناس ، باسم الحرية ، وباسم الكرامة الشخصية أو الاعتداد بالنفس ، يفعل كل ما يريد ، ولا يبالي بنظام ، أو تقاليد ، أو قواعد معينة . .! حقاً إننا نؤمن بديمقراطية منضبطة . وما أجمل مثال النهر ، يجرى فى مجراه ولكن يحده شاطئان . لا يعتديان على حرته فى مجراه ، وإنما يضبطانه . فلا يفيض ويتحول إلى مستنقعات . .

الإنسان الروحي هو إنسان ملتزم . يحترم النظام و القواعد المرعية ، ويحترم غيره أيضاً .

ويطبع الرسول حينما يقول " اعطوا الجميع حقوقهم . . الإكرام لمن له الإكرام ، و الخوف لمن له الخوف " (رو ١٣ : ٧) . أما الذى يسير على هواه ، ولا يخضع لأحد ، لا يخضع لكبير ولا لنظام ، بل لفكره فقط . . فهذا ليس إنساناً روحياً ، وهو أيضاً لا يطبع تعليم الكتاب ، ولا يلتزم بشئ . .

الإِنسان الروحي يضبط نفسه من جهة الطاعة ♦♦

طاعة الوالدين ، طاعة أب الإِعتِراف ، وطاعة النظام ، وطاعة المواعيد ، وطاعة الله قبل الكل . .
ولا يرى في الخضوع أى إنقاص من كرامته إطلاقاً . فالخضوع دليل على الإِتضاع ، والإِتضاع فضيلة . والإِنسان الذى لا يخضع لأحد ، هو بالضرورة خاضع لكبريائه ، أو خاضع لنزواته .

فى الطموح والرفعة

الإِنسان الروحي يضبط نفسه من جهة الطموح وحب العظمة والارتفاع ♦

كلما يجد ذاته حكيماً فى عينى نفسه ، أو باراً فى عينى نفسه ، يحاول أن يضبط نفسه حتى لا يرتقى فوق ما ينبغى (رو ١٢ : ٣) . ولا يرتفع نفسه فوق ما قسم له الله (رو ١٢ : ٣) .
إن الشيطان لم يستطع أن يضبط نفسه من جهة محبة الارتفاع ، ففما اراد أن يرتفع فوق كواكب الله (أش ١٤ : ١٤) سقط وكان سقوطه عظيماً . .
* * *

الإِنسان الروحي يضبط نفسه ليس فقط من جهة محبة الارتفاع ، إنما حتى من جهة المواهب ♦

أو أن الله نفسه يقيم له ضابطاً حتى لا يرتفع . انظر إلى بولس الرسول وهو يقول " ولئلا ارتفع من فرط الاعلانات ، اعطيت شوكة فى الجسد . ملاك الشيطان ليظمنى لكيلا ارتفع " (٢ كو ١٢ : ٧)
كلما يرتفع فكرك يا أحمى ، اضبطه . ولا تظن فى نفسك أكثر من حقيقتك . وضع حدوداً لطموحاته التى قد تدفعك إلى مقارنة نفسك بغيرك . فتجد أنك أعلى وأكبر ، فتفقد الطاعة ، وتفقد الإِتضاع ، وتفقد الإلتزام ، وتفقد احترامك لغيرك . . بل ضع أمامك باستمرار قول الكتاب " وقبل السقوط تشامخ الروح " (أم ١٦ : ١٨) .

فى الحياة كلها

إن ضبط النفس يشمل الحياة كلها ♦♦

فالإنسان الروحي يضبط نفسه من جهة محبة الراحة أو المتعة . يضبط نفسه من جهة الوقت وحسن توزيعه على المسئوليات ، واحترام المواعيد . . يضبط نفسه من جهة الانتقام لنفسه إذا لحقته إهانة أو إساءة . يضبط نفسه من النواحي المالية ، ومن جهة أخذه وعطائه . يضبط نفسه فى علاقاته مع الآخرين ، وإلى أى حد تكون . . يضبط مشاعر قلبه وأحاسيسه ، فلا تتحرف يمنه ولا يسره . . وحتى من جهة العبادة ، ومن جهة الخدمة ، وفى إشرافه على الغير ، وفى جميع مسئولياته ، يضع لنفسه ضوابط .
* * *

وأخيراً أن أقول ملاحظة هامة وهى :

الذى لا يضبط نفسه ، قد يأتبه الضبط اللازم من الخارج :

إن لم ينضبط داخلياً ، يأتبه الإلتضباط على الرغم من إرادته : من المجتمع الذى يرقب تصرفاته ويحاسبه ، من عيون الناس التى ترى ، وآذانهم التى تسمع . . يضبطه الخوف أو الخجل ، أو تضبطه القوانين و العقوبات ، أو يضبطه القوانين و العقوبات ، أو يضبطه التأديب من سلطة أعلى

أو يضبطه المرشدون الروحيون . أو تضبطه مقاومة خارجية توقفه عند حده ، وتمنعه من أى تصرف خاطئ . . عجيب أن داود النبي ، لما لم يستطع أن يضبط نفسه ويمنع نفسه من الانتقام لذاته ، اتاه الانضباط من الخارج ، من توبيخ ابيجايل له ، فى حكمة وأدب (اصم ٢٥) .

خير للإنسان أن يضبط نفسه روحياً ، وبنال أجراً إلهياً على ذلك ، من أن يضطر إلى الانضباط بقوة خارجية ، أو أن ينضبط بغير إرادته . .

أما الإنسان الروحى ، فإنه يضبط نفسه من الداخل . وإن وجد مقاومة ، يلجأ إلى التغصب وإلى التداريب الروحية ، ساعياً باستمرار إلى نقاوة القلب ، وإلى قداسة التصرف . .

الباب الحادى عشر

الإنسان الروحي يحيا:

فوق مستوى المرئيات

الأمر الذي ترى وقتية • أما التي لا ترى فأبدية •
المادة و العالم و الجسد ، من الأمور المرئية الزائلة • عش في العالم ، ولا تجعل العالم يعيش فيك
ما هي الأشياء التي لا ترى ، لنهتتم بها ؟
قال القديس بولس الرسول " ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى ، بل إلى التي لا ترى • لأن
التي ترى وقتية ، أما التي لا ترى فأبدية " (٢كو ٤ : ١٨)



فما هي إذن الأشياء التي لا ترى ؟ نذكر منها الأبدية !
الذي يفكر في أبعده إنما يفكر ما لا يرى ، لأنه لا يرى هذه الأبدية بعينه • ولأن هذه الأبدية كما
قال بولس الرسول هي " ما لم تره عين ، وما لم يسمع به أذن ، وما لم يخطر على قلب بشر " •
و الذي ينظر إلى أبعده ، لاشك أنه سوف لا يهتم بهذا العالم الحاضر ، بل يزهده ولا يتمسك به •
* * *

وفي الأبدية نلظر الله بالروح •
الله الذي قال عنه الكتاب " الله لم يره أحد قط • الإبن الوحيد الذي في حضن الآب ، هو خبر " (يو
١ : ١٨) •
و المتعة بالله شيء لا يدخل تحت نطاق الحواس ، لذلك فهي أبدية • هي فرح لا ينطق به وعجيب ،
ولا يستطيع أحد أن ينزعه منا • •
ليتنا ننشغل بالله ، المحيط بنا ، الحال في وسطنا ، القارع على أبوابنا ، الذي قال لنا " ها أنا معكم
كل الأيام و إلى انقضاء الدهر " و الذي قال " إذا اجتمع إثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم
" (مت ١٨ : ٢٠) •
هو إذن معنا وفي وسطنا ، إن كنا لا نراه ، ولكننا نحس وجوده • وفي الأبدية سنراه " وجهها لوجه
" كما قال الرسول (١كو ١٣ : ١٢) •
* * *

سنراه ونرى ملائكته وأرواح قديسيه ، الذين لا نراهم الآن •
ملائكة الرب حالة حول خائفه و تنجيهم ، وتملاً الكنيسة ، وكلهم " أرواح خادمة ، مرسله للخدمة ،
لأجل العتيد أن يرثوا الخلاص " (عب ١ : ١٤) • ومع ذلك فنحن لا نراهم بهذه العيون المادية
، ولكننا سنراهم في البدية ، وكذلك أرواح القديسين •
أما الآن ، فنحن ننظر إلى هؤلاء بالروح ونراهم بالإيمان ، ونستحي من حضرتهم معنا إن فعلنا
خطية •
* * *

الروح من الأشياء التي لا يرى

أما الجسد فإنه من المرئيات .
لذلك فالشخص الروحي المحب لله ، لا يعيش ناظراً إلى الجسد وطلباته ، إنما إلى الروح التي لا ترى .
بهتم بها وبغذائها الروحي ، وبمصيرها الأبدى وبكل ما يربطها بالله الذي لا يرى ، ويجعلها ملتصقة به .

* * *

و الذي ينظر إلى ما لا يرى ، يهتم بالمعنويات و بالإيمان و الخير

فالإيمان هو " الثقة بما يرجى ، الإيقان بأمور لا ترى " (عب ١١ : ١) .
و الإنسان الروحي الذي يعيش في الإيمان ، إنما يعيش ناظراً دائماً إلى ما لا يرى ، لأن الأمور التي لا ترى هي خاصة بالعيان و ليس بالإيمان . وقد قال الرسول " لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان " (٢كو ٥ : ٧) .
و بالروح نعيش في المعنويات التي لا ترى ، السلام الذي نحسه و لا نراه ، الخير الذي نتبعه و لا نراه .
و كذلك كل الفضائل غير المرئية .

* * *

وفى كل أمورنا ، ننظر على قوة الله غير المنظورة العاملة معنا

و لا ننظر إلى ضعفنا الظاهر . و إلى المشاكل التي أمامنا . و إنما ننظر إلى معونة الله ، كما صلى أليشع النبي من أجل تلميذه جيجزى " افتح يا رب عيني الغلام ليبري أن الذين معنا أكثر من الذين علينا " .
و أهم شيء معنا هو قوة الله ، التي نراها بالإيمان عاملة في الكون . و بهذه القوة نفرح و نغنى مع الرسول " أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني " .

* * *

فما هي هذه الأشياء التي ترى ، التي ينبغي على افسان الروحي ألا ينظر إليها .



المادة من الأشياء التي ترى ، لذلك فهي وقتية ، لا تدوم إلى الأبد . و إن لم نفارقها نحن ، فلا بد أنها هي ستفارقنا . لذلك قال الله للغنى الغبى من جهة كل أمواله ، و مخازنه " هذا الذي أعددت له ، لمن يكون ؟! " .
لذلك سعيد من يكنز له كنوزاً من السماء ، في نطاق ما لا يرى . و فتتحول كنوزه من أشياء مرئية ، إلى أشياء غير مرئية . و تتحول إلى روحيات .

* * *

العالم أيضاً من الأشياء التي لا ترى ، من الأشياء الوقتية

لذلك قال الرب إن السماء و الأرض تزولان . و قال يوحنا الرائي " أبصرت سماءاً جديدة ، و أرضاً جديدة . لأن جديدة . لأن السماء الأولى و الأرض الأولى مضتا ، و البحر لا يوجد فيما بعد " (رؤ ٢١ : ١) .

كلها أمور زائلة ، لأنها من المرئيات لهذا فإن الكنيسة تردد على آذاننا في كل قداس قول الرسول :

" لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم ، لأن العالم يبديد ، و شهواته معه " (١يو ٣ : ١٥ ، ١٧)

من هنا وجدنا أن آباءنا القديسين قد بدأوا حياتهم الروحية بالموت عن العالم . وفترة حياتهم فى العالم ، قضوها فيه كغرباء وليست لهم هنا مدينة باقية ، بل يبتغون وطناً أفضل سماوياً " (عب ١١ : ١٣ ، ١٦) . غير ناظرين المرئيات .

* * *

ولعل البعض يسأل : ماذا أفعل عملياً ؟ كيف أتترك العالم و المادة ، وأنا أحيا فيهما ؟ إن الرسول يجيب على هذا بقوله " يكون الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة هذا العالم تزول " (١ كو ٧ : ٣١) .

إذن عش فى العالم ، لكن لا تجعل العالم يعيش فيك . يمكنك أن تملك المادة ولكن لا تجعل المادة تملكك .

العالم مكانه فى الخارج ولا يدخل إلى داخل قلبك أو فرك أو مشاعرك تستعمل ما فيه من مادة ، وأنت متحرر فى الداخل من سيطرتها ومن محبتها . وكل ما تفقده من أمور العالم ، لا تحزن عليه ، لأنه لا يصحبك فى اليوم الأخير وبالتالي لا تشتهى أن تقتنى من العالم شيئاً ، فقد قال الرب :

" ماذا ينتفع الإنسان ، لو ربح العالم كله ، وخسر نفسه " (مت ١٦ : ٢٦) .

وعبارة " غير ناظرين " تعنى عدم الاهتمام ، وعدم الانشغال ، بشئ من أمور المادة و العالم ، لأن الفكر منشغل بشئ آخر روحى من الأمور التى لا ترى . وكما قال الرسول " أريد أن تكونوا بلا هم " (١ كو ٧ : ٣٢) .

* * *

والإنسان الذى لا يهتم بشئ من المرئيات ، يعيش بلا شك سعيداً ، ويتحرر من الشهوة ومن الخوف .

وفى ذلك قال القديس أوغسطينوس **جلست على قمة العالم حينما أحسست فى نفسى أنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً .**

* * *

إن الإنسان الذى ارتفع فوق مستوى الماديات ، هو حصن منيع لا ينهدم ، هو فوق العالم ، وهو فوق الجسد أيضاً . فهذا الجسد المادى هو أيضاً من الأمور الوقتية الزائلة ، لأنه خاضع للحواس . وسيأتى وقت ننطلق فيه منه ، حينما نخلعه ، ونلبس جسداً آخر روحانياً نورانياً غير قابل للفساد هو جسد القيامة الممجد أما هذا الجسد فسيأكله الدود ، ويتحول إلى تراب ، وحينما يقوم سوف يقام جسداً روحانياً قد تخلص من سيطرة المادة و متطلباتها وضعفاتها .

* * *

أنت على صورة الله ومثاله والله روح . عش إذن فى الروح .

و الروح من الأشياء التى لا ترى . وفى حياة الروح ، تخلص من شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة وتمسك بالأشياء التى تبقى معك فى الأبدية . أما الأمور المرئية فلا تهتم بها ، ولا تجعلها تسبب لك همماً . . . كان السيد المسيح على الجبل ، مع الاب ، منشغلاً بالأمور التى ترى فماذا كانت تجربة الشيطان له ، فى صورها الثلاثة المتحدة فى الهدف ؟ كانت التجربة هى محاولة جذبه مما لا يرى ، إلى عالم المرئيات . . . جذبه إلى الحجارة التى يصيرها خبزاً لطعام الجسد . . . إلى المناظر التى تستهوى الحواس ، إلى ممالك الأرض ومجدها .

أما السيد المسيح ، فتمسك بالأشياء التي لا ترى . . . بالروح التي تتغذى بكل كلمة تخرج من فم الله لذلك رفض كل تلك الماديات ، ولم تترك في نفسه أثراً .

* * *

إن الإغراء الذي نعرض له أبوانا الأولان كان هو المرئيات . . .

إنه الشجرة ، و الثمرة ، التي كانت أمامهما " شهية للنظر وبهجة للعيون " (تك ٣ : ٦) . وبنفس الوضع كانت سادوم بالنسبة إلى لوط ، أرضاً معشبة ، صالحة للمرعى " كجنة الله ، كأرض مصر " (١٣ : ١٠) .

* * *

أنظروا إلى قصة يوسف وإمرأة فوطيفار ، كانت هي ناظرة إلى الأمور التي ترى ، إلى جمال الجسد وشهوته . أما يوسف فكان ناظراً إلى الرب " كيف أخطئ إلى الله؟! " (تك ٣٩ : ٩) . ولم ينظر مطلقاً إلى الأشياء التي ترى ، الوقتية . . . لذلك خلص يوسف ، وسقطت المرأة . . .

* * *

وبنفس الوضع سقط سليمان :

إن مأساه سقوطه كان سببها قوله " مهما أشتهته عيناى ، لم أمنعه عنهما " (جا ٢ : ١٠) . لذلك قال " بنيت لنفسى بيوتاً ، غرست لنفسى كروماً ، عملت النفسى جنات وفراديس . . . جمعت لنفسى أيضاً فضة وذهبا . . . أخذت مغنين ومغنيات ، وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات . . . " (جا ٢ : ٤ - ١٠) . وماذا كانت النتيجة ؟ قادته كلها إلى البعد عن الله (امل ١١) . واكتشف أخيراً أن كل هذه المرئيات هي " باطل الأباطيل . الكل باطل وقبض الريح ، ولا منفعة تحت الشمس " (جا ٢ : ١١) .

ولكنه أكشف هذه الحقيقة متأخراً بعد أن أثرت على روحه ، وبردت نفسه وأسقطته فيما لا يسقط فيه الحكماء !

إن الغنى قد أتلف سليمان ، وأوقعه فى شهوات متعددة ، وأمال قلبه إلى النساء . و الغنى أيضاً أبعد الشاب الغنى عن المسيح ، فمضى حزينا . . .

* * *

ولكن بعض الأغنياء احتفوا بمحبتهم لله ، لأنهم لم يحبوا المال ، ولم ينشغلوا بجمعه وتكويمة وخرنه ، وإنما باعوا كل أموالهم أعطوها للفقراء ، كما فعل القديس أنطونيوس الكبير و القديسة ميلانيا ، وكما كان يفعل أيضاً أيوب الصديق .

العيب إذن ليس فى المال ذاته ، إنما فى النظر إليه ، فى محبته ، وفى الاتكال عليه ، وفى الكبرياء بسببه . كل هذا عن الأشياء إلى ترى .

بالنظر إلى ما لا يرى عاش الرجبان والنساک والسوام .

نظروا إلى كل ما يرى ، فإذا هو زائل وفان ، لا يستحق اهتمامهم . فارتفعوا فوق مستواه وفوق كل رغبة فيه . وماتوا عن العالم ، عن المرئيات ، ناظرين إلى ما لا يرى ، من فرط محبتهم للملك المسيح .

وبالمثل عاش أبائنا ، الذين حسبوا أنفسهم غرباء على الأرض .

ناظرين إلى المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله (عب ١١ : ١٣ ، ١٠) . كانت نظرتهم مركزة فى الأبدية التي وعدهم الرب بها . لم يروها بالعين ، ولم ينالوا المواعيد ، لكنهم نظروها من بعيد وصدقوها . وهكذا كان داود النبي يقول " غريب أنا على الأرض " (ونزيل مثل جميع آبائى " (مز ٣٩ : ١٢) (مز ١١٩) . . .

كذلك موسى النبي ، الذي كان أميراً فى القصر الملكى . ولكنه لما كبر لم ينظر إلى هذه العظمة المرئية ، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر . . . (عب ١١ : ٢٦) .

نفس الوضع بالنسبة إلى الشهداء و المعترفين •

تقدموا إلى الموت ، غير ناظرين إلى العالم وكل ما فيه • ورافضين الاغراءات التي عرضت عليهم ، لأنهم كانوا مركزين نظرهم في ما لا يرى ، في الحياة الأبدية التي لا ترى ، في ما لم تره عين •• (١كو ٢ : ٩) •• ماذا نقول إذن عن الذين لا يدفعون العشور ، لأنهم ينظرون إلى ما يرى • ولا يلتفتون التي لا ترى •

السيد المسيح كان مثلاً في النظر إلى ما لا يرى •

في معجزة الخمس خبزات و السمكتين ، لم ينظر المسيح إلى الخبز الذي يرى ، إنما رفع نظره إلى فوق ، وبارك • وفي حديثه مع السامرية ، لم يهتم بهذا الماء الذي يرى ، إنما إلى الماء الحي الذي لا يرى •• وهكذا في السجود ، لا أورشليم التي ترى ، أو ذلك الجبل ، إنما الروح و الحق وهما أمور لا ترى •• وفي الملكوت لم يهتم بالملكوت الأرضي الذي لا يرى ، بل بالملكوت الروحي •

إن النظر إلى ما لا يرى ، ينجي العالم من المذاهب المادية ، ومن الاباحية واللااخلاقية ، ومن ومن

الوجودية التي تهتم فقط فقط بالوجود في هذا العالم الأرضي •

الباب الثاني عشر

الإسنان الروحي له :

الشخصية المتكاملة

أهمية التكامل

الإنسان الروحي إنسان يجمع بين الفضائل حتى التي تبدو متضادة .

• الفضائل عنده لا تناقض فيها ولا تناقض ، بل تكامل •

لا يقتصر على فضيلة واحدة ، بل يجاهد لأجل اكتساب الكل ، حسب قول الرب " كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) .

والإنسان الروحي لا يكتسب فضيلة على حساب ضياع فضيلة أخرى .
فضائله لا يهدم بعضها بعضاً ، بل يتمشى الكل معاً .

الله تبارك اسمه ، فيه كل الفضائل ، تتمشى معاً . وقد اظهر لنا ربنا يسوع المسيح هذا المثال الكامل . ففى شخصيته نرى الحب و الحزم ، الرحمة و العدل ، الوداعة و الشجاعة ، البساطة و الحكمة ، الطيبة و القوة ، الخدمة و التأمل . . إلخ . وسنبداً الحديث الآن عن التكامل بين الفضائل

البساطة والحكمة

من الأخطاء الواضحة أن إنسان قد يوصف بالبساطة ، ولا تكون له حكمة ، بل تكون بساطته لوناً من السذاجة . . . وتتوخذ عليه بعض التصرفات . ويحاول الناس أن يعذروه . قائلين أنه بسيط . . . ليست هذه البساطة الحقيقية ، فالإنسان الروحي يكون بسيطاً وحكيماً ، كما دعانا الرب قائلاً كونوا بسطاء وحكماء " (مت ١٠ : ١٦) ولا تناقض .

• فالبساطة هى عدم التعقيد ، وليست عدم الحكمة •

البساطة المسيحية بساطة حكيمة . و الحكمة المسيحية حكمة بسيطة . ومن الجائز أن يقول إنسان كلاماً حكيماً جداً ، ويأسلوب بسيط .

• تكون له حكمة فى عقله ، وبساطة فى قلبه ••

يتصرف فى عمق الحكمة ، وبكل بساطة ، حكمة ليس فيها تعقيد الفلاسفة وإنما فى بساطة يمكن أن يفهمها الكل .

كذلك ليست البساطة أن تصدق كل شئ بلا تفكير ، أو تعطى مجالاً للبعث أن يخدعك أو يلهويك . إنما مع بساطتك مع الناس تكون مفتوح العينين حاضر الذهن . تستطيع أن تميز الذناب التى تلبس ثياب الحملان . . .

وفى حكمته لا يعيش فى جو من الشك و الحذر و الظنون .

• إنه لا يخلط الأوراق ، ولكن يرتبها ••

عبارة " المحبة تصدق كل شئ " (١ كو ١٣ : ٧) يفهمها من جهة الله ، ففى محبته لله . يصدق كل وعوده وكل معجزاته . ويصدق أن التجارب التى يسمح بها للخير . أما من جهة الناس ، فإلى جوار " المحبة تصدق كل شئ " يضع قول الرسول " لا تصدقوا كل روح ، بل ميزوا الأرواح هل هى من الله . . " (١ يو ٤ : ١) وأيضاً " امتحنوا كل شئ ، وتمسكوا بالحسن " (١ تس ٥ : ٢١) .

• ببساطة بطبيع . ولكن ايضاً يخلط الطاعة بالحكمة •

كما قال الرسول " اطيعوا والديكم فى الرب " (أف ٦ : ١) وايضاً " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢٩) .

الشخصية المتكاملة لا تقاد بفضيلة واحدة •
بل كل فضيلة يمزجها بالحكمة و المحبة والاتضاع •

الطيبة و القوة

كان السيد المسيح طيب القلب جداً • لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته •
قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة مدخنة لا يطفئ " (مت ١٢ : ١٩ ، ٢٠) • وفي نفس الوقت
كان في منتهى القوة • شخصيته قوية • كان قوياً في كلامه ، اقناعه ، في محبته ، في تأثيره على
الآخرين ••

كان طيب القلب ، يحب الأطفال ويحتضنهم ويحنو عليهم ، وبتكئ تلميذه يوحنا في صدره ، ويدافع
عن المرأة الخاطئة • وفي نفس الوقت لم تفارقه هيئته •

سم للشيطان أن يجربه • ولما زاد عن حده ، انتهره فمضى (مت ٤) •

سمح للجن أن يقبضوا عليه • وفي نفس الوقت لما قال لهم " أنا هو " سقطوا على الأرض من
هيئته (يو ١٨ : ٦) • المفروض في الآباء و المدرسين أن يكون في طبعهم الحنو ، وتكون لهم
أيضاً الهيبة •

وليس من الصالح أن حنوهم يفقدوم هيبتهم •

الهيبة لاومة لحفظ النظام وحفظ القيم • و الحنو لازم حتى يطيع الناس بدافع من الحب ، وليس
بدافع من الرعب •

الحب والحزم

قد يقال عن راهب أنه إنسان طيب ، يصلح أن يكون اسقفاً ، لأنه تنقصه الإدارة ، وضميره يتعبه إن
أخذ موقفاً حازماً !!

كأنما الإدارة ضد الروحيات •

الإنسان الروحي يمكن أن يجمع الأمرين معاً : الحنو و الحزم ، و الطيبة و الإدارة ، والأبوة و
الرناسة ••

يوسف الصديق كان حازماً جداً ، حتى أن أخوته خافوه وارتعبوا منه ، لما قال لهم " أنا يوسف •
أحي أبى بعد ؟ " (تك ٤٥ : ٣) • ومع ذلك لم يستطع أن يضبط نفسه لما عرف أخوته بنفسه ،
واطلق صوته للبياء (تك ٤٥ : ١ ، ٢) •
وصفة الطيبة مع القوة ، و الحب مع الحزم ، تظهر في السيد المسيح • وقيل عنه في تطهيره
للهيكل :

ياقويا ممسكاً بالسوط في كفه و الحب يدمى مدمعك
هذا هو التكامل في الشخصية الذي يلزم للسير في الفضائل •

السيد المسيح كان يجب تلاميذه ، وكان ينتهرهم أحياناً •

قيل إنه " أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى " (يو ١٣ : ١) • ومع ذلك لما أراد
بطرس أن يمنعه عن الصلب ، قال له " أذهب عن يا شيطان • أنت معثرة لى " (مت ١٦ : ٢٣)

• هنا نجد الحزم واضحاً • وينفس الحزم ويخ الرب تلميذه لما قال له " أتشاء أن تنزل نار من السماء وتحرق هذه المدينة " (لو ٩ : ٥٥) •
 من الإشياء الغربية في محيط الأسرة أن الوالدين يوزعان أحياناً الحب و الحزم فيما بينهما ، فيكون للأب الحب وللأب الحزم !! بينما الحب و الحزم ينبغي أن تكوناً لكل منهما ••
 فإذا أخطأ الابن ، أو حاول أن يخطئ تقول له الأم " •• لئلا يغضب أبوك ويعاقبك " (دون أن تقول له إنها هي أيضاً لا ترضى عن هذا الأمر !! ويختلط الأمر على الابن ، ولا يعرف أين الحق • كل ما في الأمر أنه يتقى غضب الأب
 يحدث أحياناً أن كاهناً يريد أن يكسب محبة شعبه ، أو رئيس يحب أن يكسب محبة رؤسياه •• من أجل هذا الحب يتهاون في حقوق العمل وفي وصية الله ، و ويفقد الحزم • وربما تكون لذلك نتائج سيئة جداً ••

الوداعة و الشجاعة

كان السيد المسيح وديعاً جداً ، حتى قال " تعلموا مني فلاني وديع ومتواضع القلب " (مت ١١ : ٢٩) • ومع ذلك كان في منتهى القوة و الشجاعة • وقد وقف ضد الكتبة و الفريسيين وأظهر رياءهم ووقف ضد الصدوقيين واخجلهم وضد الشيوخ ووبخهم •

داود النبي كان وديعاً ، وكان شجاعاً •

كان شجاعاً إذ وقف ضد جليات الجبار وهزمه ، في وقت كان فيه فيه كل الجيش خائفاً " (اصم ١٧) • وكان وديعاً إذ يقال عنه في المزمور " اذكر يا رب داود وكل دعتة " (مز ١٣١ : ١) •

وموسى النبي كان وديعاً وشجاعاً وقويًا •

وديعاً إذ قيل عنه " وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (عد ١٢ : ٣) • وكان شجاعاً وقويًا إذ وقف ضد الشعب كله لما عبد العجل الذهبي ، الذي صنعه ، وأحرقه النار ، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء " (خر ٣٢ : ٢٠) •
 وإبراهيم أبو الآباء كان وديعاً وشجاعاً •

وديعاً إذ سجد أمام بنى حث لما أشتري منهم مغارة المكفيلة لتكون قبراً لسارة (تك ٢٣ : ١٢) • ومع ذلك تظهر شجاعته ، إذ أنه " لما سمع أن أخاه لوط قد سبي ، جمع رجاله المدربين " (تك ١٤ : ١٤) • وقام ضد أربعة ملوك وهزمهم ورد سبي لوط وسادوم ، ولما أراد ملك سادوم أن يعطيه من الغنائم ، قال له في عزة نفس " لا أخذن خيطاً ولا شراك نعل •• فلا تقول أنا أغنيت أبرام " (تك ١٤ : ٢٣) •

كان الربان ودعاء ، وكانوا شجعاناً في الدفاع عن الإيمان •

من الخطأ أن تظن أن صفة الوداعة تمنعك من الشجاعة ، وتحولك إلى جثة هامدة لا نخوه فيها ولا شهامة ولا حياة ••! إنما اكتسب الفضائل • وضع أمامك قول الكتاب :

" الكل شيء زمان • ولكل أمر تحت السماوات وقت " (جا ٣ : ١) •

تستخدم الوداعة حين تحسن الوداعة • وتستخدم الشجاعة حين تلزم الشجاعة كلاهما فيك • ويظهر كل منهما في الحين الحسن المناسب لها ••

الوداعة ليس معناها الضعف • والقوة ليس معناها العنف •

و الوداعة و القوة تمتزج كل منهما بالحكمة و الفهم • الإنسان الضعيف لا يمكن أن يكون صورة الله مثاله • ولكن لكي قويا لا ينحرف إلى التهور ، ولا يفقد وداعته وأدبه •

و الوداعة لا تدفع إلى الخمول و الطيبة لا تدفع غيرك إلى اللعب بك

فإن كان إنسان طيباً ، ليس معنى هذا أن يلعب به الناس ، ويفقد كرامته وحقوقه وهيبته .
وإلا فإن البعض سيكرهون الطيبة ، ويرون أن الناس سيستغلونها ضدهم . المشكلة ليست في
الطيبة ، إنما في إساءة فهمها ، وفي عدم مزجها بالحكمة وقوة الشخصية .
كل فضيلة تزنها بميزان دقيق . ولا تمارسها منفردة عن باقي الفضائل . وإن رأيت من نتائجها
سلبيات . .

اعرف أن السلبيات ليست نتيجة للفضيلة ، إنما لسوء فهمها ، أو لسوء استخدامها ، أو لنقص

المكمة فيها

يمكن أن تكون طيب القلب ولكن ليس معنى الطيبة أن تسلم قيادتك لغيرك . أو أن تشرك يضعف
شخصية في أخطاء الآخرين . أو أنك خوفاً من أن تغضب غيرك ، تشترك معه في خطأ ، أو تجامله
في ذنب واضح . .

المحبة والمخافة

نحن نحب الله . ولكن محبتنا له لا تمنع فضيلة المخافة ، ومعاملتنا لجلاله الأقدس بكل ما يستحق
من مهابة وتوقير .
نحبه ونسجد له . ندخل إلى الكنيسة بحب وفرح . وفي نفس الوقت للرب " أما أنا فبكرثرة رحمتك ،
أدخل إلى بيتك ، وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك " .
نحب كتابه المقدس ووصاياه ونقول له فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة (مز ١١٩) . ومع
ذلك يصيح الشماس قبل قراءة الإنجيل " قفوا بخوف من الله ، وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس " .
نعامل الله كأب ، ولكن في السموات .

تمتزم المحبة و المخافة . وتتحول إلى حب بمهابة

لأن هناك كثيرين في إيمانهم بمحبة الله ، يفقدون مخافتهم له ، وبالتدرج يتحولون إلى الاستهتار
والاستهانة ، حتى أنهم يتحدثون مع الأباء بغير توقير . .

ما أكثر الآيات عن مخافة الله . إن نسيناها يقول لنا الرب : **" تظنون إذ لا تعرفون الكتب " (مت**

٢٢ : ٢٩)

أما عبارة " المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج " (ايو ٤ : ١٨) . الخوف هنا أي الرعب .
ولكنه ليس الخوف بمعنى المهابة . فنحن في صلاة الشكر في كل يوم نقول " أمنحنا أن نكمل هذا
اليوم المقدس وكل أيام حياتنا بكل سلام مع **مخافتك** " . .

الخدمة والتأمل

هناك أشخاص من اهتمامهم بالخدمة وانشغالهم الكثير بها ، يفقدون أهمية الصلاة و التأمل في
حياتهم ، ويهملون هذه الروحيات . ولاشك أن هذا ضد التكامل في حياة الروح .
إن السيد المسيح كان يطوف المدن و القرى يكرز ببشارة الملكوت ، ومع ذلك كان يقضى الليل كله
في الصلاة ، وكانت له خلواته في جبل الزيتون (يو ٨ : ١) . وفي بستان جثسيماني .

ويوحنا المعمدان كانت له خدمته الناجحة جداً التي بها أعد الطريق أمام الرب ، ومع ذلك قضى ٣٠ سنة من حياته في البرية حتى ظهر لإسرائيل .
 وإيليا النبي كانت له خدمته التي قضى بها على أنبياء البعل و السوارى ، ووبخ فيها آخاب الملك .
 وكانت له في نفس الوقت خلواته على جبل الكرمل .
 بولس الرسول كانت له حياة التأمل التي صعد بها إلى السماء الثالثة (٢كو ١٢ : ٢) . ومع ذلك كانت له خدمته القوية التي بشر بها في آسيا وأوروبا ، وكتب ١٤ رسالة ، بل كتب رسائل حتى وهو في السجن .

الإِنسان المتكامل يجمع بين الحياتين • لا تكون الخدمة على حساب التأمل • ولا يكون التأمل على حساب الخدمة •

الكلام والصمت

قد يتكلم إنسان كثيراً ، فيفقد فضائل الصمت و التفكير و التأمل . وقد يصمت إنسان ، فيفقد فائدة كلمة المنفعة ، وكلمة التعزية ، وكلمة النصح ، كما يفقد الشهادة للحق . أما الإنسان المتكامل فيعرف متى يصمت ومتى يتكلم .
 لا يصمت حين يحسن الكلام ولا يتكلم حين يحسن الصمت .
 إذا صمت فعن حكمة ، وإن تكلم فعن فائدة . إنه يستطيع الأمرين معاً ، ويستخدم كلا منهما في حينه الحسن .

الدموع والبشاشة

قد يحاول إنسان أن يكتسب فضيلة الدموع ، فلا تراه إلا باكياً كثيراً ، مما يعطى صورة مشوهة عن التدين بينما الإنسان المتكامل ، للدموع عنده وقتها ، غالبيتها أمام الله ، في مخدعه وفي خلوته ، أو أمام مذبج الله . ومع ذلك تجده في حياته مع الناس بشوشاً لطيفاً ، يكسب محبة الكل . يضع أمامه القاعدين معاً .

افرحوا في الرب كل حين (في ٤ : ٤) • وأيضاً بكآبة الوجه يطمح القلب " (جا ٧ : ٣) •
 يستخدم كلا منهما في الحين المناسب ، وبالأسلوب الروحي .

الرحمة و العدل

هاتان الفضيلتان تلاقيتا على الصليب . كان الرب عادلاً ورحيماً . عادلاً دفع ثمن الخطية ، ورحيماً اشفق على البشرية المحكوم عليها بالموت ، فمات عنها ولا تناقض إطلاقاً بين عدل الله ورحمته .
رحمته مملوءة عدلاً ، و عدله الله ورحمته • هو عادل في رحمته ، ورحيم في عدله •
 إنها فضائل تتكامل ولا تتناقض . بغير بعض بنى البشر . يتحول عدل البعض إلى قسوة في غير رحمة . أو تتحول رحمته إلى استهانة بحقوق العدل ، و لتشجيع الآخر على الخطأ ، ولو عن غير قصد .

في هذا التكامل الذى شرحنا بعض صورته ، نلاحظ أمراً هاماً وهو :

خطورة الفضيلة الواحدة

كما نلاحظ خطورة استخدام الآية الواحدة في أمور اللاهوت و العقيدة ، كذلك خطورة الفضيلة الواحدة في الروحيات . .
فقد يسلك إنسان في الإلتضاع بغير حكمة ، فتتعب نفسه من معاملات الناس له ، ومن ضياع كرامته وفقدانه لاحترام الغير . . ولا يكون السبب هو فضيلة التواضع ! وإنما عدم ارتباطها بالإفراز و الفهم السليم .
كذلك إنسان مسئول عن عمل وإدارة ، قد يسلك في فضيلة التسامح و العفو عن المخطئين ، بأسلوب تضيع به إدارة العمل ، ويسوده التسبب واللامبالاة . ذلك لأنه فقد فضيلة العدل ، و الحزم ، و ظن أن المعاقبة خطية . .
والأمثلة على خطورة الفضيلة الواحدة عديدة جداً . . والإنسان الروحي ينبغي أن يكون متكاملأ في فضائله .

يعرف كيف يستخدم كل فضيلة في الوقت المناسب لها . وكيف يستخدم الفضيلة الأخرى في

مناسبة أخرى . . بغير تناقص . . بل بتكامل . .

يعرف متى يعفو ، ومتى يعاقب . ويكون روحياً في كلا الحالين .
يعرف متى يختلط بالناس ويخدمهم ويبتسم ف وجوهم ، ومتى يهدأ إلى نفسه في وحدة وخلوة لا يقابل أحداً . .
يعرف متى يعظ . ومتى يقول للخاطئة اذهبي بسلام . يعمل العمل المناسب ، في الوقت المناسب ، و السبب الداعي إليه

الباب الثالث عشر

الإنسان الروحي

من صفاته : النجاح

أهمية النجاح وصفاته

كل نجاح هو سبب فرح ، لكثيرين .
فرح للشخص الناجح ، وفرح لأسرته وأحبائه ، وفرح للكنيسة كلها وربما للمجتمع بوجه عام ،
وفرح للملائكة وأرواح القديسين ، والله نفسه .
القديس يوحنا الرسول يرسل إلى تلميذه غايس ، فيقول له " أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، كما أن
نفسك ناجحة (٣ يو ٢) .

و النجاح صفة من صفات الإنسان الروحي

هذا الذى يقال عنه فى المزمور الأول " يكون كشجرة مغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى
حينه ، ورقها لا ينتثر . وكل ما يعمله ينجح فيه " (مز ١ : ٣) . وقد قيل عن يوسف الصديق "
وكان الرب مع يوسف ، وكان رجلاً ناجحاً " " وكل ما يصنع كان الرب ينجحه بيده " (تك ٣٩ : ٢ ،
٣)

نلاحظ هنا أنه نجاح فى كل شئ

" كل ما يعمله ينجح فيه " . " كل ما يصنعه كان الرب ينجحه " . . . نعمة الرب لا تتخلى عنه فى
أى عمل ، فتكون كل أعماله ناجحة . كذلك فإن مقومات النجاح فى شخصيته ، لا تفارقه فى كل ما
ممارسة من أعمال . فيكون ناجحاً فى كل شئ . سواء فى حياته الروحية ، أو عمله ، أو فى
حياته العائلية ، أو فى كافة معلوماته . ونضرب مثلاً لذلك :

يوسف الصديق : كان ناجحاً ومحبوباً ، فى كل عمل :

فى أسرته كان محبوباً من والديه ، حتى اعطاه والده قميصاً ملوناً . وكان ناجحاً فى افتقاد أخوته .
وكخادم فى بيت فوطيفار كان ناجحاً جداً ، ومحبوباً منه " فوكله على كل بيته ، ودفع إلى يده كل ما
كان له " (تك ٣٩ : ٤) . ولما ألقى فى السجن ، كان أنجح سجين ، فأجبهه رئيس بيت السجن "
ودفع إلى يده جميع الأسرى . . . ولم يكن رئيس بيت السجن ينظر شيئاً البتة مما فى يده . . . ومهما
صنع كان الرب ينجحه " (تك ٣٩ : ٢٢ ، ٢٣) . حتى أن المسجونين أيضاً كانوا يستشيرونه فى
أمورهم ، كما فعل رئيس السقاة ورئيس الخبازين (تك ٤٠)
ولما صار وزير تموين لمصر ، كان ناجحاً جداً ، فأنقذ مصر من المجاعة ، وأنقذ معها كل البلاد
المحيطة . وكان محبوباً من فرعون ، فترك له كل شئ وصيره الثانى فى المملكة (تك ٤١ : ٤٠ -
٤٤) .

و النجاح يقدمه الكتاب باعتباره لونا من البركة .

وهكذا فى (تث ٢٨) اصحاب البركة و اللعنة ، نجد النجاح بركة من الله ، كما نرى الفشل من
العناية وعقوباته . . .

ويقدم لنا الكتاب أمثلة من الناجحين :

داود مثلاً ، كان وهو فتى إنساناً ناجحاً ، أمكنه أن ينتصر على جليات الجبار . وكان ناجحاً فى طرد
الروح الشرير عن شاول الملك (اصم ١٦ : ٣٢) . وقيل عنه إنه حيثما يخرج كان يفلح (اصم
١٨ : ٥) .
ونفس النجاح كان حليف دانيال فى أرض السبى ، فأعطاه داريوس الملك سلطاناً كل أصحاب
السلطة فى مملكته . ونجح دانيال فى ملك داريوس (دا ٦ : ٢٨) .

ونحميا نجح مع ارتحسستا الملك ، ونجح فى بناء سور اورشليم . وكذلك زميله عزراً الكاتب .
أيضاً زربابل الذى قال عنه الوحي الإلهي فى سفر زكريا النبي " من أنت أيها الجبل العظيم؟! أمام
زربابل تصير سهلاً " (زك ٤ : ٧) .
وبولس الرسول مثلاً من أعظم الذين نجحوا فى الخدمة . وهنا يسأل البعض سؤالاً عكسياً :

ألا يوجد بعض من أولاد الله كانوا محطوبين فى حياتهم ، ولم ينجحوا؟!

أقول لك إن أولاد الله كثيراً ما تحيطهم المشاكل و الضيقات و الضعفات من الخارج (٢كو ٦ : ٥)
ولكنهم مع ذلك يكونون ناجحين فى مقابلة الضيقات . لا تهزهم من الداخل ولا تعصرهم ولا ينهار
أمامها . بل كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن زملائه فى الخدمة " كحزانى ، ونحن
دائماً فرحون . . كأن لا شئ لنا ، ونحن نملك كل شئ " (٢كو ٦ : ١٠) .
شئ لنا ، ونحن نملك كل شئ " (٢كو ٦ : ١٠) .

البداية و النهاية

وهنا أحب أن أضع قاعدة هامة فى النجاح وهى :
لا تهتموا بالبداية ، إن بدت فاشلة . فالمهم أن تكون النهاية هى النجاح .
*يوسف الصديق مثلاً ، كانت تبدو بداية حياته ضائعة باستمرار : من إلقائه فى بئر جاف ، إلى بيعه
عبداً ، إلى تهمة ظالمة دبرت ضده ألقت به فى السجن . . ولكن المهم أن النهاية كانت طيبة إلى
أبعد الحدود . . فلا نحكم إذن بالبدايات . .
*القديس أثناسيوس الرسولى كانت بدايات حيرته متعبة جداً فيها قويت شوكة الأريوسيين ،
واستطاعوا أن يدبروا مكائد ضده ، ويحاكموه وينفوه بالاتفاق مع السلطة الحاكمة . وعزل عن
كرسيه أربع مرات . . ومع ذلك انتهت حياته كبطل عظيم من أبطال الإيمان ، استطاع أن يقف ضد
العالم كله وينتصر .
*داود النبي : بدأ حياته ، وبعد المسحة المقدسة وبعد انتصاره على جليات ، مضطهداً من شاوول
الملك ، مشرداً من برية إلى أخرى ، حتى ظن أنه لابد سيقع فى يد شاوول فى يوم . . ولكن كل تلك
البدايات المتعبة انتهت ، وأنتصر داود أخيراً .
*السيد المسيح نفسه ، فى فترة تجسده على الأرض : كيف كانت البداية : ضيقات كثيرة مها قتل
هيرودس للأطفال ، و الهرب إلى مصر . وبدأت خدمته بمضايقات من زعماء اليهود ومؤامرات
وصلت إلى صلبه . . المهم فى النهاية : القيامة و الصعود ، و الجلوس عن يمين الآب ، و أنتشار
و الإيمان . .

* * *

*موسى مع فرعون : كانت البداية قد أتت بنتيجة عكسية . فاشتد فرعون بالأكثر . وتضايق
الشعب و تدمروا على موسى وهرون ، وقالوا لهما " ينظر الرب إليكما ويقضى ، لأنكما أنتنتما
رائحتنا فى عيني فرعون . . " (خر ٥ : ٧) . وعشر ضربات يستخدمها الرب ضد فرعون ، و
الرجل فى نفس قسوته لايلين . . وحتى الشعب ، تدمر لما خرج فرعون وراءهم . وقالوا لموسى "
هل لأنه ليست قبور فى مصر ، أخذتنا لنموت فى البرية؟! " (خر ١٤ : ١١) . ومع كل تلك
البدايات المتعبة لم يضعف إيمان موسى مطلقاً . . ونجح أخيراً فى انقاذه من عبودية فرعون . .

* * *

لهذا كله لا تتعبوا مطلقاً ، إن لم تحصلوا على النجاح فى بداية الطريق . واذكروا باستمرار قول
الكتاب : **" بصركم اقتنوا أنفسكم " (لو ٢١ : ١٩) .**

إن النجاح يحتاج إلى صبر و إلى مثابرة • والإنسان الذى يدركه الملل الضجر و الضيق ولا يستمر
•• هذا لا يستطيع أن ينجح •• انتظر الرب حتى يجى لمعونتك ، ولو فى الهزيع الأخير من الليل
•• كل عمل عمله لا تقلق على نتيجته •• انتظر الثمرة حتى تنضج ، وحينئذ تجدها فى يديك ،
بغير صعوبة ••

* * *

أهم صفة للإنسان الناجح ، أن يكون ناجحاً من الداخل •

ناجحاً فى قلبه ، وفى عقله ، وفى أعصابه ، وفى إرادته • وقبل كل شئ ناجحاً فى صلته بالله ••
يكون ذا نفسية قوية ، لا تتزعزع ولا تضطرب ولا تخاف • يسير فى طريقه ، كسهم نحو هدف •
مهما هاجت الأمواج على سفينته ، حتى أن انقلبت الجبال فى وسط البحار ، هو لا يضعف ، ولا
يفشل من الداخل • ولا يفقد إيمانه فى إمكانية النجاح على الرغم من كل العراقيل ، التى تحاول أن
تسد الطريق قدامه •
الإنسان الناجح ، ينجح ، ينجح مهما كانت العقبات بنعمة من الله ، ونجاحه على الرغم من الصعاب
، تكون له لذة أكبر ، ويعطى خبرة روحية عميقة فى عمل يد الله معه ••
مرقس الرسول كانت أمامه صعاب لا تحصى فى كرازته لمصر : لم تكن فيها كنيسة ، ولا شعب مؤمن
بالمسيحية • وكانت هناك ديانات عديدة : الديانات الفرعونية و اليونانية و الرومانية و الشرقية ، و
الديانة اليهودية ، و الفلسفة الوثنية •• إلى جوار السلطة الحاكمة الرومانية بكل بطشها •• وعلى
الرغم من كل هذا ، نجح مرقس الرسول فى نشر الإيمان بالمسيح فى مصر •

مشكلة نجاح الأشرار

لعل البعض تتعبه هذه المشكلة التى أزعت أرميا النبى فى وقت ما ، فعاتب الله قانلاً " أبر أنت يا
رب من أن أخاصمك • ولكنى ألكمك من جهة أحكامك : لماذا تنجح طريق الأشرار • اطمأن كل
الغادرين غداً " (أر ١٢ : ١) •
نجاح الأشرار هو نجاح زائف ، مؤقت ، وبطرق شريرة •
*هيرودس الملك ظن أنه نجح لما قتل كل أطفال بيت لحم • ولكنه كان ناجحاً زائفاً • فالشخص
الوحيد الذى اراد قتله ، كان حيا لا يموت • كما أن وسيلة هيرودس كانت خاطئة •
*هيرودس الذى أتى بعده ، قتل يوحنا المعمدان • فهل نجحت هيروديا وسالومي وهيرودس بقتل
يوحنا ، أم كان نجاحاً زائفاً ، ظل بعده هيرودس منزعاً من يوحنا حتى بعد قتله (مت ١٤ :: ١ ،
٢) • وانتهى أمر هيرودس بأن ضربه الملاك فمات وأكله الدود (أع ١٢ : ٢٣) •
*أخاب استطاع أن يقضى على نابوت اليزرعيلى ويدبر له مؤامرة ويقتله ويستولى على حقله (مل
٢١) • وكان نجاحاً مؤقتاً ورائفاً وأثيماً • وبعده أتى غضب الله على أخاب وكان كلام الرب :
" فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلى ، تلحس دمك " (مل ٢١ : ١٩) •
*اليهود ظنوا أنهم تخلصوا من المسيح بصلبه ، ونجحت مؤامراتهم وأتت بنتيجتها وصلبوا المسيح
• وكان نجاحاً زائفاً ومؤقتاً ، انتهى بمجد القيامة ••
*هامان ظن أنه قد قضى على مردخاى ، ودبر له المؤامرة ، وأعد له صليباً • وكاد أن يقضى لا
على مردخاى وحده ، إنما على الشعب كله • وتدخل الله أخيراً بعد الصوم الذى أمرت به استير
الملكة • وتحول الموقف إلى العكس تماماً • وصلب هامان على النفس الصليب الذى أعده لمردخاى
(إس ٧ : ١٠) •

***القديس أوغسطينوس قال إن الأشرار كالدخان الذى يرتفع وتتسع رقعته ، وفى كل ذلك**

يتجدد •

أما النار فتبقى تحت ، لا تعلق مثل الدخان . ولكنها تظل في قوتها وحرارتها وفعاليتها ، لا تتبدد مثله في ارتفاعه . .

كذلك فإن نجاحهم في أمور مادية عالمية ، ليس نجاحاً بالحقيقة . قارن في ذلك مع قصة الغنى و لعازر (لو ١٦) . ومع قصة الغنى الذي اتسعت كورته ، فقال " أهدم مخازنى وأبنى أعظم منها . . وأقول لنفسى استريحى وكلى وأشربى . . " (لو ١٢ : ١٦ - ٢٠) .

إن النجاح الحقيقى هو النجاح الروحى . إن كان الماديات ، يكون بأسلوب روحى .

لذلك لا تغر من الشرار غذا نجحوا . وبخاصة إلى كانت وسائل نجاحهم بعيدة عن الله . كمن يلجأ إلى الكذب و المكر و الحيلة . . أو إلى الغش . . أو إلى الرشوة . . أو إلى التملق و النفاق و الرياء و المحسوبية . . أو التاجر الذى يحتكر الأسواق . و يبالغ فى الأرباح . وينجح مالياً ، ويفشل روحياً . هؤلاء ينطبق عليهم قول الرسول :

" مجدومهم فى خزتهم ، الذى يفتكرون فى الأرضيات " (فى ٣ : ١٩) .

وقال عنهم أيضاً نهايتهم الهلاك :

* * *

ومن أكبر الأمثلة على النجاح الزائف : الشيطان وجنوده .

* الشيطان حينما يحل من سجنه ، سيخرج " ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض " (رؤ ٢٠ : ٧) . ويحاول أن يضل لو أمكن المختارين أيضاً " (مت ٢٤ : ٢٤) . فهل نجح الشيطان !؟ * وقيل عن الوحش أنه " أعطى أن حرباً مع القديسين ، ويغلبهم " (رؤ ١٣ : ٧) . فهل نجح الوحش بعد هذه الغلبة المؤقتة .

لقد حسم الكتاب هذا الأمر فقال " وابلوس الذى كان يضلهم ، طرح فى بحيرة النار ، حيث الوحش و النبى الكذاب ، و سيعذبون نهاراً وليلاً إلى أبد الأبدى " (رؤ ١٠ : ٢٠) .

* كذلك ضد المسيح " المقاوم و المرتفع على كل ما يدعى إليها " الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم فى الهالكين " الذى سيتسبب فى ارتداد الكثيرين (٢ تس ٣ - ١٠) . ونجاحه أيضاً مؤقت وزائف شرير . وسوف يببده الرب بنفخة فمه (٢ تس ٢ : ٨)

مقومات النجاح

***أول شئ هو بركة وطاعة الوصية .**

كما قيل عن يوسف الصديق فى نجاحه " وكان الرب معه ، فكان رجلاً ناجحاً " (تك ٣٩ : ٢) . وكل ما كان يصنعه ، كان الرب ينجحه " (تك ٣٩ : ٣) .

ابحث عن النجاح الذى يأتى من الله ، من شركة الله معك فى عملك ، أو من هبة الله لك ، أو من مكافأة الله لك على طاعتك لوصاياه . .

وتذكر قول الله ليشوع بن نون " لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك ، بل تلهج فيه النهار و الليل . . لكى تتحفظ للعمل حسب كل ما هو مكتوب فيه ، لأنك حينئذ تصلح طريقك ، و حينئذ تفلح " (يش ١ : ٨) .

***إنتم قبل كل شئ بالنجاح الروحى .**

نجاحك فى حروبك ضد الشياطين ، وفى انتصارك على نفسك من الداخل • ونجاحك فى التخلص من عاداتك الرديئة ، ومن كل ضعفاتك ونقائصك وسقطاتك •• كذلك نجاحك فى عدم مقابلة الشر بالشر ، إنما كما قال الكتاب " لا يغبنك الشر بل اغلب بالشر بالخير " (رو ١٢ : ٢١) ••
نجاحك فى ضبط لسانك ، فى ضبط مشاعرك ، فى ضبط أعصابك •• هذا هو النجاح الحقيقى •

***النجاح أيضاً يحتاج إلى قلب قوى • يحتاج إلى شخصية غير ضعيفة – إلى إنسان لا تهزمت المشاكل ، بل هو الذى ينتصر عليها • ولا ينزعج أمامها ولا يخاف • كما قال داود النبى " إن يجاربنى جيش فلن يخاف قلبى • وإن قام على قتال ، ففى هذا أنا مطمئن " (مز ٣٦) •• الفكر الهادئ الأعصاب الهادئة ، و النفس الهادئة •• كل هذه من مقومات النجاح ••**

* * *

***النجاح أيضاً يحتاج إلى حكمة وذكاء •**
فكثيرون يفشلون فى حياتهم الروحية أو المادية أو العائلية أو معاملاتهم ، بسبب نقص فى الحكمة وحسن التصرف ، أو بسبب عدم افراز فى السلوك الروحى •• أمثال هؤلاء يحتاجون إلى إرشاد ، وخضوع لأبوة واعية حكيمة • ويحتاجون إلى لى يرشدهم الرب فى طريقه ، ويمنحهم حكمة من فوق من عند أبى الأنوار ••
*** والنجاح أيضاً يرتبط بعدل غلهم يقول :**

الذى يبرزه الإنسان ، إياه يجصد أيضاً (غل ٧ : ٧)

***النجاح أيضاً يحتاج إلى إيمان وصلاة •**

وهكذا كما قال الرب " كل شئ مستطاع للمؤمن " (مر ٩ : ٢٣) • وكما قال القديس بولس الرسول " استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣) لذلك التصق بالرب ، وكن معه ، ليكون هو أيضاً معك ، ويمنحك بركة من عنده • ومن بركاته النجاح ••
اطلب معونة الرب باستمرار ، وهو يساعدك على النجاح ••

***لكى تكون ناجحاً ، أتمد حتى النهاية •**

وإن فاتتك فرصة فالتمس غيرها • وإن هاج عليك الشيطان ، وكل جنده ، ودبروا كل مكائدهم لى تفشل •• لا تخف ، وقل مع المرتل فى المزمور " لولا أن الرب كان معنا ، حين قام الناس علينا ، لابتلعونا ونحن أحياء •• مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم •
الإنسان الناجح لا ييأس أبداً ، حتى إن فشل فى الخطوات الأولى ، فإنه يعود ويقوم •• كما قيل عن الصديق إنه يسقط سبع مرات ويقوم (أم ٢٤ : ٣١) • أى مهما سقط يقوم •
***لكى تنجح ، ضع أمامك دائماً سير الناجحين •**

وذلك لى يكونوا مثلاً عليك أمامك تقتدى بهم ، ولكى تعرف وسائل نجاحهم فى الحياة ، و أسلوب ذلك النجاح ومظاهره ••

سواء فى ذلك أمثلة النجاح فى كل نواحي الحياة : الروحية ، والإجتماعية ، و العائلية ، و الحياة الخاصة •• ولا تنس تأثير سير القديسين •

تذكر أنك صورة الله • والذى على صورة الله يكون ناجحاً •

ولذلك فالإنسان الفاشل ، أو الساقط أو الراسب ، ليس هو على صورة الله ، الذى على صورة الله ، يكون " كالشجرة المغروسة على مجارى المياه ، تعطى ثمرها فى حينه وكل ما يفعله ينجح فيه •
هكذا قيل عن يوسف الصديق " وكان الرب مع يوسف فكان رجلاً ناجحاً " (تك ٣٩ : ٢) •
قل لنفسك : إذا لم أنجح فى حياتى ، فلا شك أكون فاقداً لصورتى الإلهية ، بل أفقد أيضاً الكمال الذى طلبه منا الرب قائلاً " كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) •

هذا من الناحية الإيجابية . أما من الناحية السلبية ، فلا تنس أنك إذا تكن ناجحاً في حياتك ،
فبالتالي ستكون عشرة في كل وسط تعيش فيه ، سواء في وسط العائلة ، أو في الكنيسة ، أ ، في
الخدمة ، أو في محيط العمل . ستعثر الناس الذين سوف يتساءلون متعجبين : أهكذا يكون أولاد الله
* * *

الباب الرابع عشر

الإنسان الروحي يحيا بمبدأ:

إن عشنا ، فللرب نعيش

كتب القديس بولس الرسول إلى أهل رومية يقول " إن عشنا فللرب نعيش ، وإن متنا فللرب نموت .
فإن عشنا أو متنا ، فللرب نحن " (رو ١٤ : ٨)

ليس المهم إذن أن نحيا أو نموت ، إنما المهم أن نكون للرب فى حياتنا وفى موتنا .

إن كنا ، فللرب نأكل ، لكى نأخذ طاقة للجسد نستطيع بها أن نعمل ما يرضيه ، وإن صمنا ، فللرب
نصوم ، لكى تقوى الروح ، وتكون فى صلة قوية بالله إذن طاقة الجسد من أجله ، وقوة الروح من
أجله . تماماً كما قال الرسول " فمجدوا الله فى أجسادكم ، وفى أرواحكم التى هى الله " (١ كو ٦ :
٢٠) .

* * *

كذلك إن تكلمنا ، فللرب نتكلم ، وإن صمتنا فللرب نصمت .

من أجله نتكلم ، ومن أجله نصمت . ومن أجله نتكلم ، فنشهد للحق وللإيمان وللملكوت ، ونعلن
وصاياها للناس ، ونعزى الآخرين ونقويهم ، وننطق بكلام الحكمة النافع للبنيان . . . وكما قال الكتاب
" فم الصديق ينبوع حياة " (أم ١٠ : ١١) . ومن أجل الله نصمت ، عاملين بقول الكتاب " كثرة
الكلام لا تخلو من معصية . أما الضابط شفتيه فعاقل " (أم ١٠ : ١٩) نتكلم حينما يفتح الله
شفاهنا ، فتتطرق أفواهنا بتسبحته (مز ٥٠) . ونصمت حينما نخشى الخطأ ونقول " ضع يا رب
حارساً لفمى ، اخفظ باب شفتى " (مز ١٤١ : ٣) .

* * *

كل عمل نعمله ، ومن أجل الله نعمله . . . ونعمله له ، ومعها وبه . . .

نعمله له ، لأجل ملكوته ، ولمجد إسمه . ونعمله معه ، فى شركة الروح القدس الذى يشترك معنا
فى العمل ، ونعمله به ، أى بنعمته وقوته ومعونته ، وهكذا لا يكون أى عمل من أعمالنا مستقلاً عن
الله . . . ذلك لأننا للرب نعيش . لا لأنفسنا ، ولا للعالم ولا لأهداف خاطئة كما يحدث للبعض

الأهداف خاطئة

هناك أشخاص يعيشون لذواتهم فقط ، وبطريقة خاطئة : كل ما يريد فى الحياة ، هو أن يبني ذاته
وليته يفعل ذلك بطريقة روحية وإنما بأسلوب مادي أو عالمي أوجسدي ! وفى سبيل ذلك قد يضيع
الآخرين ، إذ يزيحهم من طريقة ليبقى هو . . . والأعجب من ذلك ، أنه فيما يحاول أن يبني نفسه ،
يضيعها ويهلكها . كما قال السيد له المجد

" من وجد حياته يضيعها . ومن أضاع حياته من أجل يبعدها " (متى ١٠ : ٣٩) .

وهكذا تحدث السيد الرب عن إنكار الذات (تى ١٦ : ٢٤) ، وعن بذل الذات " يو ١٠ : ١١) (يو
١٥ : ١٣) . إن مشكلة الغنى الغيبي هو أنه أراد أن يتمتع ذاته على الأرض " بخيرات كثيرة " (لو
١٢ : ١٩) . ومشكلة غنى لعازر أنه كان " يتنعم كل يوم مترفها " (لو ١٦ : ١٩) . وسليمان
الحكيم جرب كل متع العالم ، فإذا الكل باطل وقبض الريح (جا ٢ : ١١) . إن الذى يعيش لنفسه
فقط ، هو شخص أنانى . وقد صدق المثل القائل :

ما عاش قط ، من عاش لنفسه فقط .

ينبغى أن توضع الذات فى آخر القائمة ، حينما نرتب الأولويات . فنقول الله أولاً . ثم الآخرين .
ثم الذات . على أن هذا الترتيب لا يكون سليماً ، إن كانت فيه انفصالية . فالعمل لأجل الآخرين ، و
العمل لأجل الذات ، ينبغى أن يكون كلاهما داخل الحياة لأجل الله ، وليساً منفصلين عنه . وهكذا
يكون الله هو الكل فى الكل (١ كو ١٥ : ٢٨) .

وقد يقول إنسان : أنا أعيش لأجل أولادى •

من أجلهم يعمل ويتعب ويشقى • ومن أجلهم يكثر مالا ، ليرك لهم ميراثاً • و العناية بالأولاد واجب مقدس • ولكن الخطأ هو أن يركز الإنسان على أولاده ، ويهمل وواجباته تجاه الله فيهمل نصيب الله فى ماله ، ونصيب الفقراء أيضاً ، ويجعل الكل لأولاده ، يقول سليمان الحكيم " فكرهت كل تعبى الذى تعبت فيه تحت الشمس • حيث اتركه للإنسان الذى يكون بعدى • ومن يعلك هل يكون حكيماً أو جاهلاً ويستولى على كل تعبى الذى تعبت فيه و أظهرت فيه حكمتى •• هذا أيضاً باطل (جا ٢ : ١٨ ، ١٩)

إن الخير الذى يحسب لك عند الله ، هو الخير الذى تفعله أنت ، وليس الذى يفعله أولادك ••

إذن أنهم بأولادك ، واهتم بباقي الناس أيضاً • عش لأولادك •• وعش للمجتمع كله •• بحيث تحب أولادك ، وتعطيهم من تعبك وكذك • وتحب المجتمع كله ، وتخدمه ، وتبذل لأجله ، وتحب الكنيسة وتخدمها وتكون محبتك للكل هى داخل محبتك لله •

* * *

و لا تكن لك محبة خاطئة ، خارج محبة الله ، ولا محبة طاهرة أزيد من محبتك لله •

فهذا الرب يقول " من أحب أباً وأماً أكثر منى ، فلا يستحقنى • ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر منى ، فلا يستحقنى " (مت ١٠ : ٣٧) وهكذا يكون الحب كله لله ، و القلب كله الله ، ومحبة الأولاد و الناس داخل محبة الله • وتكون محبتك الأولى لأولادك ، هى أن تجعلهم يعرفون الله ويحبونه ، حتى تستطيع أن تقول له كما قال السيد " عرفتهم إسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتى به " الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم " (يو ١٧ : ٢٦ ، ٨) •

* * *

لا تجعل لله منافساً فى قلبك ، سواء كان المنافس شخصاً أو شيئاً •

لهذا نرى الرب قد شبه القديسين بخمس عذارى حكيما (متى ٢٥) • ذلك لأن العذراء ليس لها تعلق بإنسان آخر • وعذراوية القلب تعنى أنه ليس له تعلق بشهوة أخرى غير الإلتصاق بالرب • وهكذا قال القديس بولس الرسول " خطبتك لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢ كو ١١ : ٢) • أنظروا إلى داود النى و الملك

– على الرغم مما يحيط به من كل عظمة الملك ورفاهيته – نراه يقول :

" أما أنا فخير لى الإلتصاق بالرب " (مز ٧٣ : ٢٨) •

ويقول للرب " معك لا أريد شيئاً على الأرض " (مز ٧٣ : ٢٥) • إنه يهذأ يصل إلى فضيلة " الاكتفاء بالله " فيقول " ولا يعوزنى شئ " (مز ٢٣ : ١) • وحينما عبر عن الرغبة التى تشبع قلبه ، لم يلتفت إلى رفاهية الملك ، وإنما قال " واحدة طلبت من الرب وأتفرس فى هيكله " (مز ٢٧ : ٤) • و لذلك قال " طلبت وجهك ، ولووجهك يا رب أتمس • لا تحجب وجهك عنى " (مز ٢٧ : ٨ ، ٩) • كانت هذه هى الطلبة الوحيدة التى للملك العظيم داود ••

* * *

الذى يعيش للرب ، لا تهتمه الأوضاع الخارجية ، بل يعيش للرب فى أى وضع ، وفى كل موضع •

ولعل من الأمثلة الواضحة فى هذا الأمر : يوسف الصديق كان يعيش للرب وهو ابن فى اسر • فتغير وضعه إلى عبد فى بيت رجل ثرى ، فظل يعيش للرب فى وضعه الجديد تغير وضعه أيضاً إلى سجين ، ثم على وزير • ولكن الأوضاع الخارجية لم تؤثر على علاقته بالرب إطلاقاً • إنه يعيش للرب كابن ، أو كعبد ، أو كسجين ، أو كوزير • إنه هو هو • يتغير الوضع و الموضع • أما هدفه الوحيد أن يعيش للرب ، فهو هدف لا يتغير •

نقول هذا لأن أناساً يرفضون أن يعيشوا للرب ، إلا إذا كان لهم وضع معين ••

إنا أن يكون لهم فى الكنيسة مركز خاص ، وإلا فإنهم يغضبون وينعزلون ويرفضوا أن يعملوا . .
إما أن يعاملهم الله معاملة خاصة ، ويدالهم بأسلوب معين ، وإلا يتخذون من الله موقفاً مضاداً . .
وهكذا يشترطون شروطاً للمعيشة مع الله ! وإلا يتركونه . . ما هذا يا أختى؟! ما هذا يا أختى?!
لنفرض حتى أنهم طردوك من الكنيسة ، أترفض
لهذا السبب أن تعيش مع الله?!
ينبغى أن تكون للحياة مع الله أهمية كبرى فى قلبك ، لا تتخلى عنها مهما كانت الأسباب و الدوافع و
الظروف المحيطة .

لماذا نعيش للرب؟

أولاً: لأننا خليقه • هو الذى منحنا هذه الحياة :

وهكذا أصبحنا له • وهذه الحياة هى أيضاً له • كان يمكن أن لا نوجد ، ولكنه أوجدنا • ومنحنا هذا
الوجود ، فصرنا له • إن عشنا للرب نعيش • وبخاصة لأنه خلقنا ، كشبهه ، وعلى صورته
ومثاله (تك ١ : ٢٦) • ولا يمكن أن نحفظ بهذه الصورة ، إلا إذا عشنا له ومعه •
* * *

ثانياً : لأنه فداننا ، واشترانا بثمن ، فصرنا له •

وفى هذا يقول الرسول " أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم
من الله • وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن • فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم
التي هى لله " (١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠)
* * *

ثالثاً : لأننا أولاده •• دعى علينا اسمه ••

فينبغى أن نعيش له ، لأنه بهذا " أولاد الله ظاهرون " (١ يو ٣ : ١٠) • يعيشون له ، وبهذا لا
يخطئون • لأن " كل من هو مولود من الله لا يخطئ " • لا يستطيع أن يخطئ ، لأنه مولود من الله " (١
يو ٣ : ٩) • إن لم نعيش له ، وعشنا لأنفسنا أو العالم أو الجسد أو للمادة ، حينئذ سنخطئ ،
ولا نصير أولاداً لله • فنحن نعيش لله ، لكى نحفظ بينوتنا له ، ولكى نحفظ بصورته • فالابن
الضال قال له " لست مستحقاً مستحقاً أن أدعى لك ابناً " (لو ١٥ : ١٩) •
* * *

رابعاً : نعيش للرب ، لأن هذه هى الحياة الحقيقية •

الله هو الحياة (يو ١١ : ٢٥) (يو ١٤ : ٦) • من يلتصق به ، يلتصق بالحياة ، ويكون حياً
بالحقيقة • ومن يفصل عنه يعتبر ميتاً ، مهما كانت له حياة بالحقيقة •• وقد قيل عن الابن الضال
أنه فى حالة خطيته - " كان ميتاً " (يو ١٥ : ٢٤) • وقال الرب لراعى كنيسة ساردس " أن لك
أسماء أنك حى ، وأنت ميت " (رؤ ٣ : ١) • المفروض إذن أن نفهم المعنى الحقيقى للحياة ، وأنه
هو أن نعيش للرب • فى هذا أتذكر أننى وأنا شاب صغير متبت مرة قصيدة عنوانها " حقاً نحن
أحياء " ؟
* * *

لبيتنا إذن نذوق الحياة مع الرب ••

كما قال المرتل فى المزمور " ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب " (مز ٣٤ : ٨) . الذى يذوق هذه الحياة ، يشعر بلذتها ، ويبرى أنه حينما يعيش للرب ، إنما يحيا الحياة الطيبة المثلى المشتهاة ، وأن ذاك أفضل جداً (فى ١ : ٢٣) . بل أن هذه الحياة مع الرب هى عربون الحياة الأبدية السعيدة نعيش للرب هنا ، لكى نستحق أن نعيش معه فى الأبدية السعيدة



ليس معنى ذلك حياة التكريس الكامل . مثل حياة الرهبان و الراهبات ، ورجال الكنوت ، وكل المكرسين و المكرسات . . . فليس الجميع مكرسين للرب ، بينما هذه الآية " إن عشنا فلرب نعيش " هى للجميع ، لكل مؤمن ، لكل عضو فى مدينة الله ، لكل مؤهل للملكوت .

وأيضاً لا نعيش للرب ، بالعبادة الشكلية . .

فكثيرون يواطبون على الصلاة و الصوم و القراءة و الاجتماعات الدينية . . ولهم علاقة بالكنيسة ، ولكن ليست لهم علاقة بالله . لا يعيشون معه ولا يعيشون له . . . وكأن كل عبادتهم مجرد مظاهر خارجية لا ترقى إلى مستوى المعيشة مع الله . وعن هؤلاء قال الرب " هذا الشعب يكرمنى بشفتيه ، أما قلبه فمبتعد عنى بعيداً " (متى ١٥ : ٨) (اش ٢٩ : ١٣) . عليك إذن أن تعيش للرب ، بالقلب و العمل ، وبالروح و الحق (يو ٤ : ٢٣) . فتشعر فى عبادتك بوجود الله فى حياتك ، وبوجودك فى حضرته ، وصلتك به . .

إن الذى يعيش للرب ، يظهر ذلك فى فضائل كثيرة يحيها ، أو تتميز به حياته : إنه يحيا حياة التسليم و حياة الطاعة . لأنه معيشته للرب ، يسلم له حياته و مشيئته . وبالتالى يحيا حياة الطهارة و النقاوة ، و حياة الحب التى ينفذ فيها وصايا الرب عن حب لا عن تغصب . فيقول للرب مع المرتل " فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة " (مز ١١٧) " فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب " (مز ١٢٢ : ١) . وهكذا يعيش فى حياة الفرح بالله .

* * *

و الذى يعيبش للرب ، يحييا فى العالم كغريب .

إنه " ليس من هذا العالم " (يو ١٥ : ١٥) . يضع أمامه قول الرسول : (١ : ١٥) و الذين يستعملون العالم كأنهم لا يستعملونه ، لأن هيئة العالم تزول " (١ كو ٧ : ٣١) . و هكذا عاش أبائنا " أقروا بأنهم غرباء و نزلاء على الرض " (عب ١١ : ١٣) . إنهم يعيشون للرب . أما العالم فيبيد و شهوت معه (ايو ٢ : ١٧) . ما شأنهم إذن به ؟! قال أحد الآباء :

خير الناس من لا يبالي بالدنيا فى يد من كانت .

وهكذا فإن الذى يعيش للرب ، سيصل بالضرورة إلى الزهد فى الدنيا (ايو ٢ : ١٥ ، ١٦) . و الناس فى هذا الزهد على درجات متفاوتة . . و الذى يعيش للرب لا يهتم و يضطرب لأجل أمور كثيرة ، كما كانت تفعل مرثا (لو ١٠ : ٤١) . متيقناً أن الحاجة إلى واحد وهو الله . و البعض الذى يختار هذا النصيب الصالح ن قد يصل إلى حياة التكريس .

* * *

و الذى يعيبش للرب ، لا يخاف الموت ، بل يقابله بفرح :

وهذا النقطة تنقلنا إلى الجزء الثانى من الآية وهو " ، إن متنا ، فلرب نموت " . .

ما معنى : للرب نموت ؟

نموت له ، لكي نلتقى به ، و" ونكون كل حين مع الرب " (انس ٤ : ١٧)

لذلك فالذى يعيش للرب ، يسر أن يخلع هذا الجسد ، ويلبس عدم الفساد ، يلبس الجسد الروحانى السماوى (اكو ١٥ : ٤٤ ، ٤٩) . ويكون كل حين مع الرب . وهذا هو الذى اشتهاه القديس بولس الرسول حينما قال " لى اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح . ذاك أفضل جداً " . فى ١ : ٢٣) . نكون معه فى الفردوس ، وفى اورشليم السماوية ، فى الملكوت ، حسب وعده الصادق " حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً " (يو ١٤ : ٣) .

نموت له ، لكي نراه وجهاً لوجه (اكو ١٣ : ١٢)

وكما قال الرسول " إننا ننظر الآن فى مرآة فى الغز ، ولكن حينئذ وجهاً لوجه . الآن اعرف بعض المعرفة ، لكن حينئذ سأعرف كما عرفت " (اكو ١٢ : ١٢)

* * *

نموت له ، تعنى أيضاً أن نموت من أجله .

كما مات الشهداء وكل المدافعين عن الإيمان . وايضاً كما قال الرسول " لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت . إذن الموت يعمل فىنا " (٢ كو ٤ : ١١ ، ١٢) . أو كما قال الكتاب " لمتت نفسى موت الأبرار . ولتكن آخرتى كأخرتهم " (عد ٢٣ : ١٠) .

* * *

أخبراً ، لبيتنا نجرب أن نعيش للرب ، لكي نموت أيضاً له

نجرب أن نعيش للرب ، ولو يوماً كتداريب (اليوم المثالى) الذى كان يعطى لنا ونحن شباب . وإن نجحنا فى هذا التدريب نكثر منه . و لتأمل مثال اللص اليمين . إنها ساعات عاشها مع الرب . ثم مات معه ، ونال الفردوس . كذلك مثال القديسة بائيسة . لعلها ساعات أو أقل عاشتها معه فى توبتها ، ونالت الحياة . فلنبداً إذن أن نعيش للرب .

الباب الخامس عشر

حياة الغلبة والانتصار

نحن أعضاء الكنيسة المجاهدة على الأرض ، نجتاز هنا فترة اختبار نتعرض فيها لحروب روحية كثيرة ، شرحها القديس بولس الرسول فقال " إن مصارعنا ليست مع لحم ودم ، بل مع أجناد الشر الروحية فى السماويات " (أف ٦ : ١٢) . وقال إنها حرب تحتاج إلى " سلاح الله الكامل ، لكى نقدر أن نثبت ضد مكاييد ابليس " (أف ٦ : ١١) .

إن الله يريدنا أن ننتصر فى هذه الحرب ، و السماء كلها ترقب جهادنا ، وتفرح إذ ترانا غالبين
الملائكة وأرواح القديسين فى السماء ، يصلون لأجلنا لكى ننتصر ، " ويكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب " (لو ١٥ : ٧) . كذلك نعمة الله تعيننا لكى ننتصر ، وروح الله يعمل فىنا لكى نغلب . . . أما إن سقطنا وانهزنا ، فإننا بهذا نحزن روح الله القدوس الذى ختمنا به " (أف ٤ : ٣٠)

* * *

الإنسان الروحي هو إنسان منتصر

لأن روحه قد انتصرت على شهوات الجسد ، وقد انتصرت فى حروب الشياطين . وقد غلبت العالم و المادة . روحه تزفها الملائكة بتهليل إلى السماء ، حينما تأتى ساعته .
الإنسان الروحي ينتصر ، لأنه إنسان قوى ، يعمل فيه روح الله بقوة . وقد صارت إرادته فى تسليم كامل لإرادة الله .

الإنسان الروحي لا يحاول أن ينتصر على غيره

لأنه يحب غيره ، ويقدمه على نفسه فى الكرامة (رو ١٢ : ١٠) ، بينما يأخذ هو المتكأ الأخير (لو ١٤ : ١٠) . إنه يحب أن ينتصر على الشر ، وليس على الأشرار . يحب أن ينتصر على نفسه ، وليس على الآخرين . وهو لا يحب أن ينتصر على الضعفاء و المخطئين ، بل بالأكثر أن يحتملهم . كما قال الرسول " يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعفات " (رو ١٥ : ١) .

* * *

هناك مجالات كثيرة ينتصر فيها الإنسان الروحي :

***إنه ينتصر أولاً على نفسه**

ينتصر فى الداخل أولاً ، لأن أنتصاره الداخلى هو الذى يساعده فى الأنتصار على الحروب الخارجية
الابن الضال (لو ١٥) لم يستطع أن يرجع إلى أبيه ، إلا بعد أن انتصر من الداخلى ، ولم تعد له شهوة فى الكورة البعيدة ، بل شعر فيها بسوء حالته . . .
ومن أعظم الأمثلة على الانتصار الداخلى ، يوسف الصديق . لقد كانت الاغراءات من الخارج قوية جداً ، وكانت تلح عليه كل (تك ٣٩ : ١٠) . كانت الخطية هى التى تسعى إليه . ومع ذلك رفض كل تلك الاغراءات ، لأن كان منتصراً من الداخل ، فاستطاع فى نقاوة قلبه أن يقول " كيف افعل هذا الشر العظيم ، و أخطئ على الله " (تك ٣٩ : ٩) . صدق القديس ذهبى الفم حينما قال :

لا يستطيع أحد أن يضر إنساناً ، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه

أى أن العوامل الخارجية لا تهزمه إلا إذا كان مهزوماً من الداخل أولاً . ولهذا يقول الرب " فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخازج الحياة " (أم ٤ : ٢٣) .
إن القديس أوغسطينوس كان يعيش فى الخطية حينما كان مغلوباً منها ، أى حينما كان يشتهيها . ولكنه حينما انتصر على نفسه من الداخل ، حينئذ قال عبارته الجميلة " جلست على قمة العالم ، حينما أحسست فى نفسى إنى لا أشتهى شيئاً ولا أخاف شيئاً " .

* * *

فإن تعبت يا أخى يوماً ، تأكد أنك متعب من الداخل . هناك ثقب فى نفسك تدخل منه المتاعب الخارجية . لذلك قال الرب عن الإنسان الروحي المنتصر إنه " جنة مغلقة ، عين مغلقة ، ينبوع مختوم " (نش ٤ ك ١٢) .

الخطبة الخارجية ، تبحث عن خطية داخلك ، لكي تتحد معها ، وتفتح لها ابواب القلب وابواب

الفكر

و الإنسان الروحي الذي يود داخله روح الله ، هذا لا تجد الخطية التي في الخارج مكاناً لها في داخله . تطرق على بابه فلا يفتح لها ، فتركه وترحل . . . عدو مثلاً يريد أن يثيرك لكي تخطئ ، فيجذبك غير قابل للاستثارة لأنك قوى في الداخل . ماذا يفعل إذن ؟ أما أن يخجل ويتركك ، أو أن يعتذر لك ، أو يكف عن استخدام هذا الأسلوب معك . . .

* * *

الإنسان الروحي ينتصر على الخطية و الشيطان .

مادام قد انتصر على شهوة القلب من الداخل ، فلا بد أن ينتصر على الخطية من الخارج ، على كل حروبها وكل أفكارها . ولا تخدعه مطلقاً حيل الشيطان نبل كما قال القديس بولس الرسول عنه : لا يطمع فينا الشيطان ، لأن لا نجعل أفكاره (٢كو ٢ : ١١) .

والإنسان الروحي إن حاربته الخطية ، يقاومها بكل قوة .

مستفيداً بذلك من توبيخ القديس بولس الرسول للعبرانيين " لم تقاوموا بعد حتى الدم ، مجاهدين ضد الخطية " (عب ١٢ : ٤) . ومستمعاً إلى قول القديس بطرس الرسول " اصحوا واسهروا ، لأن ابليس خصمكم كأسد زائر . . . فقاوموه راسخين في الإيمان " . إن الإنسان الأول انخدع من حديث الحية (تك ٣) ، و فقد صورته الإلهية ، منهزماً أمام الخطية . أما الإنسان الروحي فليس كذلك . إنه يحب أن ينتصر ، مستفيداً من دروس الماضي .

* * *

إن أسوأ ما في هزيمة الأشرار ، افتخارهم بخطاياهم :

هؤلاء الذين قال عنهم القديس بولس " والآن أذكركم أيضاً باكبياً ، وهم أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك . . . ومجدهم في خزيهم ، الذين يفكرون في الأراضيات " (في ٣ : ١٨ ، ١٩) . أما الإنسان الروحي ، فإن مجده في الآلام التي يتحملها لأجل الرب ، منتصراً على ذلك الخزي الذي يفرح به الخاطئة .

* * *

*الإنسان الروحي ينتصر على العوائق التي تقف في طريق حياته الروحية . وينتصر أيضاً على العوائق التي تعترض نموه الروحي . إنه لا يسمح لشيء أن يعطله لغيره انظروا ماذا قال القديس بولس : " من سيفصلنا عن محبة المسيح؟! أشدة أم ضيق أم اضطهاد ، أم جوع أم عرى ، أم خطر أم سيف؟! ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحبنا . فإني متيقن أنه لا موت ، ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا " (رو ٨ : ٣٥ - ٣٩) .

* * *

الإنسان الروحي لا يقدم أعذاراً إذا لم ينتصر . بل يقدم اعترافاً بالخطأ وتوبة .

إن الأعذار لا تبرر الهزيمة أمام العدو . لقد لجأ كل من آدم وحواء إلى تقديم الأعذار ، فلم تكن مقبولة منهم الله . فالله قد وضع أمامنا كل وسائل النصر وهو مستعد أن يقودنا في موكب نصرته " (٢كو ٢ : ١٤) . العيب إذن إرادتنا . وكل محاولة لتبرير هزيمتنا في حروبنا الروحية ، هي خطية أخرى تضاف على هذه الهزيمة . . .

* * *

*الإنسان الروحي ينتصر أيضاً على الضيقات والمشاكل

المشكلة لا تهزه ، ولا تهزمه ، ولا تضعف معنوياته ، ولا تعكر نفسيته ، ولا يستطيع أن تلقيه في دوامات القلق و الاضطراب و الشك . إنما هو ينتصر على المشكلة ولا يضيق قلبه به ، ولا يفقد سلامه بسببها .

إنه ينتصر على المشاكل بالإيمان وبالصلاة والصبر .

ولعل من الأمثلة البارزة في هذا المجال : أيوب الصديق . كانت المشاكل التي حلت عليه ، أصعب من أن يحتملها قلب إنسان عادي . من ذا الذي يستطيع أن يحتمل فقد كل بنيه وبناته في يوم احد ؟ ويفقد معهم كل ثروته وغناه؟! ولكن هذا الإنسان الروحي لما سمع هذه الأخبار المحزنة قال " الرب أعطى ، الر أخذ فليكن اسم الرب مباركاً " " عرياناً خرجت من بطن أمي وعرياناً أعود إلى هناك " (أى ١ ك ٢١) . لذلك حسناً قال الله عنه إنه " ليس مثله في الأرض . رجل كامل ومستقيم " (أى ٢ : ٣) .

* * *

الإنسان الروحي ، لا ينتصر فقط على الضيقة ، بالاحتمال بل أكثر من هذا يفرم بها .

كما قال القديس يعقوب الرسول " احسبوه كل فرح يا أخوتي ، حينما تقعون في تجارب متنوعة " (يع ١ : ٢) . كما قال القديس بولس الرسول " بكل سرور أفتخر بالحرى في ضعفتي ، لكي تحل على قوة المسيح . لذلك أسر بالضعفات و الشتائم و الضرورات والاضطهادات و الضيقات لأجل المسيح . " (٢ كو ١٢ : ٩ ، ١٠) . و ما أجمل ما قيل عن الآباء الرسل بعد أن سجنوهم ، ثم جلدوهم وأطلقوهم . . . قيل " وأما فذهبوا فرحين . . . لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه " (أع ٥ : ٤١) .

* * *

الإنسان الروحي إذا حلت به ضيقة ، يقول في إيمان : إنها للخير :

متذكراً قول الرسول " كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله " (رو ٨ : ٢٨) . لذلك فالضيقة لا تهزه ، بل تقوى إيمانه ، لأنه يعرف تماماً أن الطريق الموصل إلى الله ، هو طريق ضيق (مت ٧ : ١٤) . فهو يتوقع إذن هذا الضيق ، ويسر به لأنه دليل على أنه سائر في طريق الله . ثم هو بالإيمان ينتظر تدخل الله لإخراجه من الضيقة . وعلى أية الحالات فإنها تحمل له اكليلًا . . . وبهذه المشاعر كلها ينتصر على الضيقة . . .

* * *

*والإنسان الروحي لا يجد لذته في العالم ، بل يفرم بالانتصار على العالم وما فيه من المادة و

الشهوات . . .

وما أجمل ما قاله أحد الأدباء " افرحوا لا لشهوة و نلتموها ، بل لشهوة أذلتموها " . وبالانتصار على الشهوات يثبت الإنسان الروحي إنه ابن الله ، لأن " كل الذين ينقادون بروح الله ، أولئك هم أولاد الله " (رو ٨ : ١٤) . إذا ينقادون بروح الله ينتصرون على الخطية ويفعلون البر ، " المولود من الله لا يخطئ " (١ يو ٤ ، ٥) .

* * *

وحياة الانتصار مفرحة ، لأن الإنسان الروحي يصعب بها قدرة لغيره

ويقدم للناس مثلاً على إمكانية حياة البر ، و على أن حياة الانتصار هي واقع عملي يلمسونه أمامهم . كما يعطى مثلاً عن قووة أولاد الله التي ساعدتهم على الانتصار ، كما قال القديس يوحنا للشباب " كتبت إليكم أيها الشباب " كتبت إليكم أيها الشباب ، لأنكم أقوياء ، وكلمة الله ثابتة فيكم

، وقد غلبتم الشرير " (ايو ٢ : ١) وكرر أيضاً تلك العبارة " وقد غلبتم الشرير " (ايو ٢ : ١٣) .

* * *

*وحياة الانتصار مفرحة من أجل الوعود التي أعطها الرب للغالبين .
وقد سجلت في الرسائل التي أرسلها الرب إلى الكنائس السبع التي في آسيا (رؤ ٢ ، ٣)
فقال لملاك كنيسة أفسس " من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التي في وسط فردوس الله " (رؤ ٢ : ٧) . وقال لملاك كنيسة سميرنا " من يغلب فلا يؤذيه الموت الثاني (رؤ ٢ : ١١) . و المعروف أن الموت الأول هو مفارقة الروح للجسد . أما الموت الثاني فهو الموت الأبدي ، أو هو الحرمان من الله ، والإلقاء في الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (مت ١٣ : ٤٢) .
وقال لملاك كنيسة برغامس " من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى . . وأعطيه اسماً جدياً " (رؤ ٢ : ١٧) .
وقال لملاك كنيسة ثياترا " من يغلب ويحفظ أعماله على النهاية ، فسأعطيه سلطاناً على الأمم . . أخذت أنا أيضاً من عند أبي ، وأعطيه كوكب الصبح " (رؤ ٢ : ٢٦ - ٢٨)
وقال لملاك كنيسة ساردس " وم يغلب سيلبس ثياباً بيضاء ، ولن أمحو اسمه من من سفر الحياة ، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته " (رؤ ٣ : ٥)
وقال لملاك كنيسة فيلادلفيا " من يغلب فسأجعله عموداً ، في هيكل إلهي " (رؤ ٣ : ١٢) .
وقال لملاك كنيسة لاوديكية " من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرش ، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه " (رؤ ٣ : ٢١)

* * *

ما أجمل هذا . . السيد المسيح يريدك أن تغلب ، وأن تجلس معه في عرشه ، في الملكوت الأبدي

وإن كنت من الغالبين ، تأكل من شجرة الحياة ، ومن المن المخفى ، وتلبس ثياباً بيضاء ، وتصير عموداً في هيكل الله ويصبح لك سلطان ، وأسمك في سفر الحياة ، بل يكون لك اسم جديد . .
وإن غلبت تسكن في مدينة الله ، في أورشليم السمائية مع الله و المئكة و القديسين (رؤ ٢١) ، وترث الملك المعد للأبرار منذ تأسيس العالم (مت ٢٥ : ٣٤) ، وحيث يكون المسيح ، تكون المسيح ، تكون أنت أيضاً (يو ١٤ : ٣) ، و تتمتع بما لم تره عين ، ولم تسمع به إذن ، ولم يخطر على قلب بشر (اكو ١ : ٩) . ولا يقوى عليك الموت الثاني ، بل تقوم في مجد ، بجسد سماوي روحاني (اكو ١٥ : ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩) . كل هذه الأمجاد للغالبين .

* * *

حياة النصر . . و الحرب للرب

موكب المنتصرين

لقد قدم لنا السيد المسيح في تجسده الصورة المثالية لحياة الغلبة والانتصار إذ كان منتصراً في كل شيء :

لقد انتصر في كل حروب الشيطان ، كما في التجربة على الجبل (مت ٤) و انتصر في كل حوار له مع الكتبة و الفريسيين و الصدوقيين وكل قيادات اليهود (مت ٢١ - ٢٣) . و انتصر وهو على

الصليب ، إذ أمكنه أن يقدم فداءً وخلصاً للعالم كله ، وداس على الموت بموته ((عب ٢ : ١٤ ،
 (١٥) . كما انتصر على الموت بقيامته . زانتصر على العالم ، إذ قال :
 " ثقوا أنا قد غلبت العالم " (يو ١٦ : ٣٣) ومن جهة البر كان منتصراً ، فقد شابهنا في كل شيء
 ما عدا الخطية (عب ٤ : ١٥) . وقد تحدى اليهود قائلاً " من منكم يبكتني على خطية ؟! " (يو ٨ :
 ٤٦) . و انتصر في كسب محبة الناس ، فقبل عنه " هوذا العالم قد ذهب وراءه " (يو ١٢ :
 ١٩) . ودخل أورشليم منتصراً كملك ، وارتجت المدينة كلها (يو ٢١ : ١٠) . وقيل عن مجمل
 انتصاراته :

" هوذا قد غلب السد الذي من سبط يهوذا " (رؤ ٥ : ٥)

وقيل أنه يغلب كل الموك الذين يحاربونه " لأنه رب الأرباب وملك الملوك (رؤ ١٧ : ١٤) . وإذ
 قد انتصر باستمرار وعدنا الكتاب أنه " يقودنا في موكب نصرته " (يه ١١٤) " بقوة ومجد كثير " (مت
 ٢٤ : ٣٠) .

* * *

وكما قدم لنا الكتاب مثالية انتصارات ربنا يسوع المسيح ، كذلك قدم لنا الكتاب وتاريخ الكنيسة أمثلة
 لانتصار القديسين :

نذكر في مقدمة هؤلاء المنتصرين أبا الآباء ابراهيم :

لقد انتصر انتصاراً عميقاً وعجيباً ، حينما أخذ ابنه وحيداً اسحق ليقدّمه محرقة لله (تك ٢٢) .
 انتصر على مشاعر الأبوة ، وعلى آماله في نجوم السماء ورملة البحر (تك ١٥ : ٥) . و (تك ١٣ :
 ١٦) . بل انتصر من جهة ايمان أيضاً " إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات " (عب
 ١١ : ١٧ - ١٩) .

و انتصر ابراهيم أيضاً على مشاعر القرابة والوطن ، حينما قال له الله " اذهب من أرضك ومن
 عشيرتك ومن بيت ابيك إلى الأرض التي أريك " (تك ١٢ : ١) . فأطاع " وخرج وهو لا يعلم إلى
 أين يذهب " (عب ١١ : ٨) .

* * *

نذكر مثلاً آخر في الانتصار هو أبونا يعقوب : أنتصار من نوع آخر ، هو الصراع مع الله ، إذ
 أمسك به ، وصارعه حتى الفجر ، وقال له " لا أطلقك إن لم تباركني " (تك ٣٢ : ٢٦) ونال البركة
 فعلاً ، وقال له الرب " لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " (تك ٣٢ : ٢٨) .
 كان يعقوب خائفاً من أخيه عيسو . ولكنه لم يعتبر أن الصراع قائم بينه وبين عيسو . وإنما صارع
 مع الله ، مؤمناً أنه إذا انتصر في صراعه مع الله ، ونال منه البركة والوعد والقوة ، حينئذ لا بد
 سينتصر في علاقته مع أخيه ، وقد كان . .
 كان في صراعه مع الله ، قد أخذ الإيمان الذي يقابل به عيسو . إنه درس لنا في الصراع مع
 الله ، حتى ننال منه وعده " يحاربونك ولا يقدر عليك ، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنقذك " (أر ١ : ١٩) .

* * *

مثال ثالث في النصر ، هو أبطال الإجمال .

بولس الرسول الذى قال " جالهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الإيمان . وأخيراً وضع
 لى أكليل البر " (٢تى ٤ : ٧) . بولس الذى وقف أمام ولاية وملوك ، وخرج منتصراً (أع ٢١ :
 ٢٨) .

أثناسيوس الرسول الذى بكل قوة انتصر على أريوس والأريوسية ، ورد على كل هرطقاتهم . وقيل
 له " العالم كله ضدك يا اثناسيوس " فقال " وأنا ضد العالم " .

* * *

مثال رابع للانتصار ، هو الشهداء و المعترفون :

انتصروا على كل التهديدات ، وعلى السجون ، وعلى العذابات التي تفوق احتمال البشر . وثبتوا على الإيمان ، وقابلوا الموت ببسالة عجيبة . وكانوا مثالا رائعا جذب الكثيرين إلى الإيمان . لذلك تكرمهم الكنيسة تكريماً عظيماً ، و نقول إن دماء الشهداء هي بذار أفيمان .

* * *

مثال خامس فى النصره ، هو قديسو الرهبنة و النسك

القديس الأنبا الأنطونيوس مثلاً ، كيف انتصر على محبة المال ، ووزع كل أمواله على الفقراء . وانتصر فى حروب الشكوك وفى كل المخاوف و المفزعات التى وضعها الشيطان فى طريقه . وانتصر فى احتمال الوحدة و الفقر و النسك ، وفى بقاءه فى البرية بلا مرشد أو أنيس لعشرات السنوات . وانتصر أيضاً فى قيادته لكثيرين فى هذا الطريق الملائكى ، حتى أصبح نوراً للعالم ونضع مع القديس انطونيوس فى موكب المنتصرين ، كل رهبان الرهبنة الكبار ، و النسك و المتوحدين و السواح و العموديين . وكل صفوف هؤلاء " الملائكة الأرضيين أو البشر السمايين " كما سماهم التاريخ . هؤلاء الذين انتصروا ثابتين فى حياة الوحدة و الصلاة و التأمل و الموت عن العالم ، و البعد عن تلمنصب و الشهرة .

كيف ننتصر

كل هذه وغيرها أمثلة من نوعيات عاشت حياة الغلبة و النصره ، وتركوا لنا مثالا لنتبع خطواتهم . بقى علينا أن نسأل : كيف يمكننا نحن أيضاً أن نغلب و ننتصر .

لا يمكننا إطلاقاً أن ننتصر ، إلا إذا حارب الرب عنا .

إذا اعتمدنا على مجرد إرادتنا ، وقوتنا ، وخبرتنا ، وذكائنا فلا يمكن أن ننتصر ، لأن العدو أكثر قوة وخبرة وحيلة ، و الرب نفسه قال " بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً " (يو ١٥ : ٥) . إذن لا بد أن يحارب عنا ، هو الذى يدافع عنا وينتصر . وكما قال الكتاب " الحرب للرب . و الرب قادر أن يغلب بالكثير و بالقليل " (اصم ١٤ : ٦) . وأما النصره فهى من الرب (أم ٢١ : ٣١) .

أما أنتصار فكقول الرسول " يعظم انتصارنا بالذى أحبنا " (رو ٨ : ٣٧) .

الرب ينتصر فيها ، حينما نسلمه إرادتنا ، نسلمه تدبير أمورنا ، وحينئذ " يقودنا فى موكب نصرته " (كو ٢ : ١٤) .

* * *

قال السيد المسيح " فى العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم " . لم يقل " ثقوا أنكم ستغلبون " وإنما " أنا قد غلبت " فما فما معنى هذا ؟ معناه إنى أنا الذى سأغلب (فيكم) هذا العالم مرة أخرى إن سكنت فيكم . كما قال بولس الرسول " أحيأ لا أنا بل المسيح يحيا فى " (غل ٢ : ٢٠) .

إذن إن أردت أن تنتصر ، التصق بالمسيح ، اجعله يحارب عنك خذ منه القوة التى بها غلب العالم ، فتغلب .

(بدونى لا تقدورن أن تعلموا شيئاً) بدونى لا تنتصرون (يو ١٢ : ٥) . إذن تمسك بالرب ، بكل قوتك . قل له : لا تتركنى ولا تتخل عنى . أنا بدونك لا أستطيع أن أقاتل اصغرمهم ، كما قال القديس انطونيوس ، ولكننى بك أقول مع القديس بولس الرسول " أستطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى " . إذن الغلبة الحقيقية هى التصاقك بالرب كل حين .

* * *

مشكلتنا الكبرى ، هي أننا نريد أن ننتصر بقوتنا الخاصة ، بارادتنا بخبرتنا ، بذكائنا ، دون

أن ندخل ربنا فى المعركة ..

وفى كل ذلك ننسى قول الرسول " شكراً لله ، الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح " (اكو ١٥ : ٥٧) . نعم ، هذا هو سر الغلبة ، ربنا يسوع المسيح ، إن قاتل معك ، ولهذا يقول بولس أيضاً " يعظم انتصارنا بالذى أحبنا " (رو ٨ : ٣٧) .

* * *

ما أجمل قول الكتاب " الحرب للرب ، و الرب قادر أن يغلب بالقليل وبالكثير " (اصم ١٤ : ٦) .

مادامت الحرب للرب ، إذن هو الذى سيقابل وليس أنت . يجب إذن أن تسلمه قيادة المعركة فى قتالاتك مع العدو ، مع العالم ، مع الخطية ، مع ذاتك ..

عبارة رائعة قيلت فى حروب موسى " للرب حرب مع عماليق " (خر ١٧ : ١٦) . إذن موسى لم يكن هو الذى يحارب عماليق ، ولا يشوع ، بل الرب .. لا تقل : أتركنى يا رب أحارب عماليق ، كلا . بل قل تواضع ، أنا لا أستطيع فحاربه أنت ..

* * *

نفس الوضع رأيناه واضحاً فى الحرب بين داود وجليات ..

قال داود لذلك الجبار " اليوم يحبسك الرب فى يدى " (اصم ١٧ : ٤٦) . لست أنا الذى يغلبك ، وإنما الرب . الرب هو الذى سيحبسك فى يدى . وعندئذ أستطيع أن أجعل لحمك طعاماً لطيور ال السماء .. هذه هى الغلبة ..

" أنت تأتبنى بسيف ورمح ، وأنا آتيك باسم رب الجنود " (اصم ١٧ : ٤٥) . لقد فهم داود السر ، فأدخل الله على ميدان المعركة .

قبل مجئ داود ، كان الناس يتحدثون عن " الرجل الصاعد " عن الجبار وقوته ، ومكافأة من يغلبه . فلما وصل داود ، بدأ يتحدث عن الرب ويدخل الرب إلى ميدان القتال ..

هل انتصر داود إذن لأن يده كانت ماهر فى القتال ، أم لأن الرب حبس جليات فى يد داود ؟ السر كله فى الرب نفسه . لذلك ما أجمل قول داود فى كل حروبه " مبارك الرب الذى علم يدى القتال ، وأصابى الحرب " (مز ١٤٤ : ١) .

* * *

وأنت يا أختى ، هل تحارب وحدك ، أم الله يحارب عنك ؟

مسكين أنت ، إن حاربت وحدك . لأن الشيطان أكثر منك خبرة . له أكثر من سبعة آلاف سنة يحارب البشر . وهو أيضاً أكثر منك حيلة ومعرفة وقوة ، فحذار أن تجاربه بمفردك .

خذ معك إذن سلاح الله الكامل ، الذى تستطيع به أن ترد كل سهام العدو الملتهبة (أف ٦ : ١٣) ، (١٦) . وإن كان قائد الجيش لم يستطع أن يخرج للحرب وحده ، دون أن تخرج معه دبورة النبية (قض ٤ : ٨) . فأنت لا تخرج للحرب بدون الله معك ..

وقبل أن تحارب ، أطلب من الرب أن يدريك ، أن يعلم يديك القتال ، وأصابعك الحرب .. تتلمذ على الرب ، فيستطيع مقلاعك أن يفعل الأعاجيب . وبحصاة واحدة تكسب الحرب . وفى كل حروبك ، استمع إلى قول نبي بطل كموسى :

قفوا وانظروا خلاص الرب . الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون (خر ١٤ : ١٤) .

الرب يقاتل عنك فى كل حروبك : فى الحروب الذى هى داخل القلب ، وداخل القلب ، وداخل الفكر ، وفى الحروب الخارجية أيضاً .. و الروح يشفع فيك بأنات لا ينطق بها . الله يرسل ملاكه إليك فى كل جب ، فيسد أفواه الأسود .

* * *

الإنسان الروحي الذي يختبر الصلاة القوية ، لا يعرف الهزيمة إطلاقاً ..

لأنه بالصلاة يأتي بالرب ، ويدخله الميدان ويسلمه المعركة . لهذا قال داود " جعلت الرب أمامي في كل حين ، لأنه عن يميني فلا أتزعزع .. لا أتزعزع طالما الرب عن يميني ..
كان في كل معاركه يصرخ إلى الرب : إلى متى يا رب تنساني ؟ يا رب لماذا كثر الذين يحزنونني ؟
أسرع وأعني .. (مز ٣ : ٦٩) . أنك تتعب إن قمت بمفردك ، تحارب عدوك بقوتك ..

ولكنك تغلب إن قلت (الله يغلبه لا الإنسان) (أي ٣٣ : ١٣) ..

كذلك نرى خبرة روحية عميقة في قصة أبينا القديس أنطونيوس الذي حاربه الشياطين بقوة وعنف ، وزلزلت المقبرة التي كان يعيش فيها في بدء نسكه . فقال لهم القديس " إن كان الله قد أعطاكم سلطاناً على ، فمن أنا حتى أقاوم الله ؟ وإن لم يكن الرب قد أعطاكم سلطاناً ، فلن يستطيع أحد منكم أن يغلبني " ..

إذن الحرب ليست بينك وبين الأعداء ، وإنما هي أولاً وقبل كل شيء مع الله .. إن صارته حتى

الفجر ، وأخذت منه القوة ، فلن يستطيع عدو أن يغلبك ..

الحرب أولاً في قلبك . هل أنت واثق أن الله واقف معك ، يحارب ويقاوم أعدائك إن وثقت بهذا تقول مع داود النبي " إن يحاربنى جيش فلن يخاف قلبي ، وإن قام على قتال ، ففي هذا أنا مطمئن " (مز ٢٦) ..

الله يحارب عنك ، هذا حق - ولكن ينبغي أن تجاهد ..

* * *

عمل الله معك ، ليس معناه أن تكسل . بل جاهد بكل قوتك . قاوم كل شهوة وكل رغبة خاطئة .
كما قال الرسول " قاوموا ابليس فيهرب منكم " (يع ٤ : ٧) وايضاً " قاوموه راسخين في الإيمان " (ابط ٥ : ٩) . إن مقاومتك تدل على رفضك للخطية . وبذلك تستحق معونة النعمة ..

قاوم نقاط الضعف التي فيك ولا تستسلم لها .. واثبت في الجهاد ، إلى أن تنتشلك يد الله ..

ولا تتيأس أبداً في جهادك ، مهما بذت الحرب صعبة ، ومهما كثرت الفخاخ من حولك . وثق أن السماء ترقب جهادك ، وملائكة وقديسون كثيرون يشفعون فيك ..
وليكن جهادك مسنوداً بيمين بيد الله القوية وذراعه الحصينة ، التي تغني بها داود قائلاً :
" دفعت لاسقط و الرب عضدني . قوتي وتسبحتي هو الرب وقد الرب وقد صار لي خلاصاً " " يمين الرب صنعت قوة . يمين الرب رفعتني " ..

جاهد إذن مع الله ، وجاهد مع نفسك ، وجاهد الشيطان . وكن قوى القلب . وتذكر أن الله كان يختار جبابرة البأس لحروبه ، مثلما استخدم جدعون (قض ٦ : ١٢) وداود (اصم ١٦ : ١٨) . وكما قال عن الكنيسة في سفر النشيد إنها " مرهبة كجيش بألوية " (نش ٦ : ١٠) ، وهكذا النفس البشرية أيضاً ..

* * *

واستخدام أيضاً كل وسائل النعمة :

التصق باستمرار بمزاميرك ، بصلواتك وبقراءاتك الروحية وتأملاتك ، بالترانيم و التسابيح ، و التداريب ومحاسبة النفس واليقظة الروحية . التصق بالكنيسة ، بأب الاعتراف ، بالتناول ، بالاجتماعات الروحية . فإن هذه كلها توفد الحرارة في قلبك ، وتعمق محبة الله فيك ، وتمنح قوة ثلاثتصار . أما إن بعدت عن هذه الوسائل الروحية ، فما أسهل أن تغتر ، ويجد العدو مدخلاً إليك ! ..

* * *

ثق أن كلمة الله سلام قوي يساعذك على الغلبة •

وما أصدق وأعمق قول داود النبي في اختباره : " لو لم تكن شريعتك هي تلاوتي ، لهكت حينئذ في مذمتي " " لأن قولك أحياني " (مز ١١٩) • تذكر أن السيد في تجربته على الجبل ، كان يرد على الشيطان بآيات من الكتاب ، فأرانا أم كلمات الكتاب تصلح سلاحاً للرد على أفكار العدو • وكما قال داود النبي " كلمة الرب مضيئة تنير العينين من بعد " (مز ١٩) •

* * *

رد المزامير والآيات التي تشجعك وتقويك •

مثل المزمور التسعين ، ومزمور الراعي (٢٣) وتغني مع الرسول في قوله " يعظم أنتصارنا بالذي أحبنا " (رو ٨ : ٣٧) • وتذكر وعود الله وتشجيعه لأولاده ، وقوله لزربابل " من أنت أيها الجبل العظيم؟! أما زربابل تصير سهلاً " (زك ٤ : ٧) ، وقوله للقديس بولس " لا تخف •• لآتي أنا معك ، و لا يقع بك أحد ليؤذيك " (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) • وقوله من قبل لأرميا " يحاربونك ولا يقدرُونَ عليك ، لآتي أنا معك ، يقول الرب ، لأنقذك " (أر ١ : ١٩) • وقوله كذلك ليشوع " لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك " (يش ١ : ٥) ••

* * *

عش في محبة الله ، فتنتصر • وعلى الأقل عش في وفاقته •

واستن في جهادك بالصبر و الصمود • وإن اخافك عدو الخير ، تذكر قول بولس الرسول " أستطيع كل شيء في المسيح • الذي يقويني " (في ٤ : ١٣) • وثق أنك كلما نلت خبرة في حروبك الروحية ، سوف تزداد قوة وإيماناً بالانتصار • وحاول أن نعيش باستمرار في جو روي ، وأن تبعد عن الأجواء التي تبرد محبة الله في قلبك • بهذا سوف تحتفظ بحراراتك الروحية ، وتقوى على محاربات العدو • وليكن الرب معك •

فهرست هذا الكتاب

صفحة		
٥		مقدمة الكتاب
٧		الإنسان الروح صورة الله
٨		هو صورة الله
١٧		الإنسان الروحي يجعل الله الأول في كل إهتماماته
٢٧		الإنسان الروحي من صفاته العمق
٣٣	العمق في العبادة	٢٨ العمق في الصلاة
٣٤	عمق التوبة	٢٩ أهمية العمق
٣٥	عمق الإيمان	٣٠ عمق العطاء
٣٥	العمق في الصداقة و الحب	٣١ العمق في الكرازة
٣٦	عمق الشخصية	٣٢ العمق في الخدمة
٣٧		الإنسان الروحي قلبه مع الله
٤٥		الإنسان الروحي إنسان قوى
٥٣		مصادر القوة الروحية واسبابها ومظاهرها وعناصرها
٦٣	أنواع من الضعف	٥٣ مصادر القوة
٦٦	موقفنا من الضعفاء	٥٦ عناصر القوة
٦٨	معالجة الضعف	أنواع الضعف ، أسبابها وعلاجها ٦٣
٧١		الإنسان الروحي لا يعتمد على ذراعه البشرية
٧٩		الإنسان الروحي في مفهوم الراحة والتعب
٨٠		هناك أنواع كثيرة من الراحة
٨٨		لا تجعل راحتك على تعب الآخرين
٩٦		ما معنى الراحة
٩٧		التعب المقدس و الراحة الغير
١٠٥		الإنسان الروحي يجب بالروح لا بالحرف
١١١	الخدمة	١٠٦ الصوم
١١٢	يوم الرب	١٠٧ المطانيات
١١٣	الطقوس	١٠٨ الصلاة

١١٤	العقيدة	١١٠	القبلة المقدسة
		١١٠	العطاء
١١٥	الإنسان الروحي بين الروح و النفس و الجسد		
١٢٢	المستوى الروحي و المقاومة بالمستوى النفساني و الجسداني		
١٢٥	أمثلة للمستويات الثلاثة		
١٢٦	الفرح	١٢٥	الشهوة
١٢٩	الإنسان الروحي من صفاته ضبط النفس		
١٣٣	في العقيدة و التعليم	١٣٠	ضبط اللسان
١٣٤	في الطاعة و الإلتزام	١٣١	ضبط الفكر
١٣٥	في الطوم و الرفعة	١٣٢	ضبط الحواس
١٣٦	في الحياة كلما	١٣٢	ضبط الأكل و الشرب
		١٣٣	من جهة الغضب
١٣٧	الإنسان الروحي يحيا فوق مستوى المرئيات		
١٤٠	الأشياء التي ترى	١٣٨	الأشياء التي لا ترى
١٤٥	الإنسان الروحي له الشخصية المتكاملة		
١٥٢	الخدمة و التأمل	١٤٦	أهمية التكامل
١٥٢	الكلام و الصمت	١٤٦	البساطة و الحكمة
١٥٣	الدموع و البشاشة	١٤٧	الطيبة و القوة
١٥٣	الرحمة و العدل	١٤٨	الحب و الحزم
١٥٤	خطورة الفضيلة الواحدة	١٤٩	الوداعة و الشجاعة
		١٥٠	المحبة و المخافة
		١٥١	المحبة و المخافة
١٥٥	الإنسان الروحي من صفاته النجاح		
١٦٠	مشكلة نجاح الأشرار	١٥٦	أهمية النجاح و صفاته
١٦٢	مقومات النجاح	١٥٨	البداية و النهاية
١٦٥	الإنسان الروحي يحيا بمبدأ إن عشنا فللرب نعيش		
١٧١	كيف نعيش للرب	١٦٧	أهداف خاطئة
١٧٣	ما معنى للرب نموت	١٧٠	لماذا نعيش للرب
١٧٥	حياة الغلبة و الإنتصار		

١٨٣	حياة النصره و الحرب للرب
١٨٥	كيف ننتصر